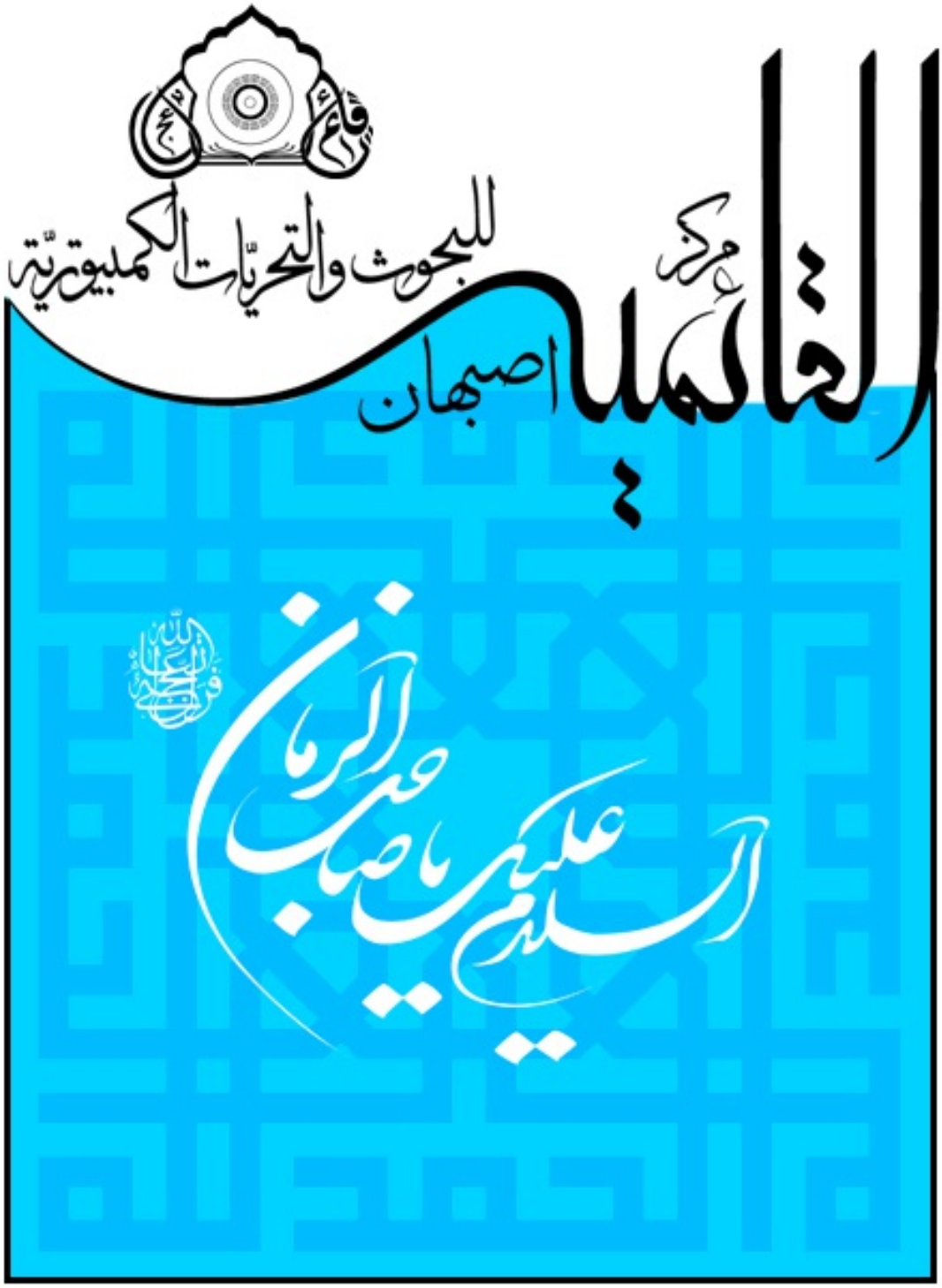

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز

المسماة

تاريخ المستبصر

لابن المجاور

راجعه ووضع هوامشه

ممدوح حسن محمد

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة

٩٢٦٦٤٧٧ - ٩٢٤٩٦٤٠١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

صفه بلاد اليمن و مكه و بعض الحجار: المسماة تاريخ المستبصر

كاتب:

يوسف بن يعقوب ابن مجاور

نشرت فى الطباعة:

مكتبة الثقافة الدينية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
صفه بلاد الیمن و مکه و بعض الحجار: المسماة تاریخ المستبصر ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
مقدمة الناشر ----- ۲۰
القسم الأول ----- ۲۱
اشارة ----- ۲۱
مقدمة [المولف] ----- ۲۱
ذکر أسماء مکة و صفاتها ----- ۲۲
ذکر زواج اهل مکة ----- ۲۴
اشارة ----- ۲۴
فصل: [(سیف الدولة مع بنت عمه)] ----- ۲۵
[صورة مکة] ----- ۲۵
ذکر ولاة مکة من آل الحسن بن علی بن أبی طالب کرم الله وجهه ----- ۲۶
ذکر المعاملات [مکة] ----- ۲۶
من مکة إلی المدینة ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
ذکر فتح أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب هذه الجبال ----- ۲۷
ذکر وادی انظر ----- ۲۸
و من مکة إلی الطائف ----- ۲۹
اشارة ----- ۲۹
بناء الطائف ----- ۲۹
ذکر حصن الهجوم ----- ۳۰
ذکر الوهط ----- ۳۰

ذکر سلیمان بن عبد الملک ابن مروان و خروجه إلی الطائف ----- ۳۱
صفة الطائف ----- ۳۲
من الطائف إلی جبل بدر ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
ذکر السرو ----- ۳۳
ذکر جبل الملحاء ----- ۳۴
ذکر سیوف الصواعق ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
فصل: [(فی فنون السیوف)] ----- ۳۵
و لنرجع إلی الحدیث الأول [(ای: جبل الملحاء ثانیا)] ----- ۳۶
ذکر نهر السبت ----- ۳۶
اشارة ----- ۳۶
فصل: [(مسالة شرعیة)] ----- ۳۷
فصل: [(قول بعض النصاری فی الاسلام)] ----- ۳۷
ذکر شهور الیهود ----- ۳۷
من الطائف إلی صعدة ----- ۳۸
اشارة ----- ۳۸
صفة هذه الأعمال ----- ۳۸
و اما ذهبان ----- ۳۹
من الطائف إلی مکة ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
ذکر الحجاز ----- ۳۹
من مکة إلی جدة ----- ۴۰
اشارة ----- ۴۰

بناء جدة ----- ۴۱
[صورة جدة] ----- ۴۲
ذكر بعض الصهاريج ----- ۴۲
ذكر خراب جدة ----- ۴۲
ذكر فضيلة جدة ----- ۴۳
ذكر أخذ الجزية من المغاربة ----- ۴۴
اشارة ----- ۴۴
فصل: [(فی ذلک ایضا)] ----- ۴۴
فصل: [(ما رای فی المنام)] ----- ۴۵
ذكر الجار ----- ۴۵
اشارة ----- ۴۵
فصل: [(حکایة)] ----- ۴۵
ذكر جزر مطارد الخيل ----- ۴۵
صفة جدة ----- ۴۵
و من مكة إلى المحالب ----- ۴۶
اشارة ----- ۴۶
ذكر جبل كدمل ----- ۴۷
اشارة ----- ۴۷
فصل: [(ما کتب فی الاحجار)] ----- ۴۸
صفة زواج أهل هذه الأعمال ----- ۴۸
ذكر هبة الإمام أبي موسى الأمين بالله هذه الأعمال ----- ۴۸
اشارة ----- ۴۸
فصل: [(فرج بن اسحاق و عبده)] ----- ۴۹
من المحالب إلى صعدة ----- ۵۰

من المحالب إلی زبید ----- ۵۰
اشارة ----- ۵۰
ذکر الأودیة التی یقطع منها الخشب لأجل العمارات ----- ۵۲
ذکر زبید و ما کانت فی قدیم الزمان ----- ۵۲
بناء زبید ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
فصل: [(فی خلق اهل زبید)] ----- ۵۵
ذکر تمام قصة آل زیاد ----- ۵۵
اشارة ----- ۵۵
فصل: [(فی ملوک زبید)] ----- ۵۶
ذکر الجنابذ و قتل الصلیحی ----- ۵۷
[صورة زبید] ----- ۵۸
صفة دار شخار بن جعفر ----- ۵۸
ذکر انقطاع العرب من تهامة ----- ۵۹
ذکر النخل ----- ۵۹
ذکر شجر الکاذی ----- ۶۰
صفة زبید ----- ۶۰
و أسامی أهل هذه البلاد ----- ۶۴
من المهجم إلی زبید ----- ۶۵
اشارة ----- ۶۵
ذکر المغلف و الأسیخلة ----- ۶۵
من زبید إلی عدن علی طریق الساحل ----- ۶۵
اشارة ----- ۶۵
ذکر بیع النخل ----- ۶۵

صفة باب المندب ----- ۶۷
ذکر الفقرات ----- ۶۸
بناء المزدوية المرة ----- ۶۸
ذکر حشمة أهل المنذرية ----- ۶۹
من العارة إلی الحليلة راجعا علی درب الکديحا ----- ۷۰
من العارة إلی المفاليس ----- ۷۰
اشارة ----- ۷۰
ذکر ترن ----- ۷۰
من العارة إلی تعز ----- ۷۱
من العارة إلی عدن ----- ۷۱
اشارة ----- ۷۱
صفة جبل حريز ----- ۷۱
[صورة حصن القاعدة] ----- ۷۱
صفة وادی عبرة ----- ۷۲
ذکر ما کانت عليه عدن فی قديم العهد ----- ۷۲
صفة نقر الباب و حفر النهر ----- ۷۳
ذکر المدن التی کانت حبوسا للملوک ----- ۷۴
ذکر جبل صيرة ----- ۷۴
اشارة ----- ۷۴
فصل: [(زوجة رام جندر و العفريت هنومت، حکايات شتی فی حفر السرب)] ----- ۷۵
ذکر المعجلين ----- ۷۶
ذکر بحيرة الأعاجم ----- ۷۶
بناء عدن ----- ۷۷
اشارة ----- ۷۷

فصل: [(القمر، اهل سیراف و دخولهم عدن)] ----- ۷۷
ذکر ألقاب ملوک العجم الذین تولوا ملک عدن ----- ۷۸
بناء الجامع ----- ۷۹
ذکر أخبار آل زریع بن العباس بن المکرم ولاة عدن ----- ۷۹
ذکر ما شجر بینهم ----- ۸۰
ذکر السبب فی زوال ملک علی بن أبی الغارات و حصولها للداعی سبأ ----- ۸۰
اشارة ----- ۸۰
[(غارة ملک جزیرة قیس الی عدن)] ----- ۸۰
فصل: [قتل الجاشو] ----- ۸۱
فصل: [(قبض توران شاه علی عبدالنبی و یاسربن بلال)] ----- ۸۲
ذکر بناء سور عدن ----- ۸۲
اشارة ----- ۸۲
فصل: [(خروج الانسان من البحر)] ----- ۸۳
[صورة عدن] ----- ۸۳
صفة عدن و ذکرها ----- ۸۳
ذکر الآبار العذبة ----- ۸۳
اشارة ----- ۸۳
فصل: [(بئر زعفران)] ----- ۸۴
فصل: [(حدیث فی الآبار)] ----- ۸۴
ذکر الآبار المالحة بعدن ----- ۸۴
ذکر آبار ماؤها بحر عدن ----- ۸۴
ذکر الآبار الحلوة بظاهر عدن ----- ۸۵
القول علی وقاحة نساء البرابر ----- ۸۵
اشارة ----- ۸۵

فصل: [(فیها ایضا)] ----- ۸۶
فصل: [(فی کلاب عدن)] ----- ۸۶
ذکر وصول المراکب إلی عدن ----- ۸۷
ذکر العشور ----- ۸۸
ذکر تخریج عشور الشوانی ----- ۸۸
الذی لم یؤخذ علیه عشور ----- ۸۹
ذکر ما استجد فی عدن من الوکالة و دار الزکاة ----- ۸۹
اشارة ----- ۸۹
فصل: [(فی وزن العشور)] ----- ۸۹
صفة بیع الجواری ----- ۹۰
ذکر البیع و العیب ----- ۹۰
ذکر خراب عدن ----- ۹۱
من عدن إلی المفالیس ----- ۹۲
اشارة ----- ۹۲
صفة بناء الجب ----- ۹۲
من المفالیس إلی تعز ----- ۹۳
اشارة ----- ۹۳
صفة الحجر الذی فی النقیل ----- ۹۳
[فهرس القسم الاول] ----- ۹۴
القسم الثانی ----- ۹۸
اشارة ----- ۹۸
بناء حصن الدملوة ----- ۹۸
من الجوة إلی عدن راجعا علی طریق حرز ----- ۹۹
من الجوة إلی تعز ----- ۹۹

اشارة ----- ۱۰۰
صفة حصن تعز ----- ۱۰۰
صفة جبل صبر ----- ۱۰۰
اشارة ----- ۱۰۰
فصل: [(إذا رأيت الهلال)] ----- ۱۰۱
ذكر بلاد ينزل فيها الغيث كثيرا ----- ۱۰۱
ذكر المياه و الرياح و ما يتعلق بكل كوكب و برج ----- ۱۰۲
من تعز إلى الجند ----- ۱۰۲
اشارة ----- ۱۰۲
بناء الجند ----- ۱۰۲
صفة جبل البقر ----- ۱۰۳
صفة أكمة سليمان ----- ۱۰۳
صفة الجامع ----- ۱۰۳
اشارة ----- ۱۰۳
فصل: [(وفاة طغتكين)] ----- ۱۰۴
فصل: [(وفاة الصليحى)] ----- ۱۰۴
بناء ذى جبلة ----- ۱۰۵
اشارة ----- ۱۰۵
فصل: [(اشتراء المعاقل)] ----- ۱۰۵
بناء المخلاف و نجا ----- ۱۰۶
ذكر تغلب الفقهاء فى حصن التعكر ----- ۱۰۶
صفة بناء ذى جبلة ----- ۱۰۶
و نذكر عجائب إقليم اليمن و ما فيها من الغرائب ----- ۱۰۷
و من جملتها حصن أشيح ----- ۱۰۷

و نجد الحنشين ----- ۱۰۷
و حصن ثريد ----- ۱۰۷
و مثابة فيه بدر الفضة ----- ۱۰۸
من ذی جبلة إلی صنعاء ----- ۱۰۸
اشارة ----- ۱۰۹
بناء صنعاء ----- ۱۱۰
ذکر قصر غمدان ----- ۱۱۱
اشارة ----- ۱۱۱
فصل: [(بناء القصور)] ----- ۱۱۲
صفة جبل المذيخرة ----- ۱۱۳
صفة جبل شبام ----- ۱۱۳
صفة صنعاء ----- ۱۱۳
اشارة ----- ۱۱۳
فصل: [(خروج الجيوش لإستفتاح البلاد)] ----- ۱۱۴
ذکر تفصيل الفتوحی ----- ۱۱۵
عجائب ذمار ----- ۱۱۶
صفة جبل لشی ----- ۱۱۶
صفة نکاح أهل هذه الأعمال ----- ۱۱۶
صفة وادی الظهر ----- ۱۱۷
من صنعاء إلی المحالب راجعا ----- ۱۱۷
من صنعاء إلی مأرب ----- ۱۱۸
اشارة ----- ۱۱۸
ذکر هد سد المأزمين ----- ۱۱۸
اشارة ----- ۱۱۸

فصل: [(فی المعادن)] ---- ۱۲۰
من مأرب إلی الجوف ---- ۱۲۰
اشارة ---- ۱۲۰
صفة هذه الأعمال ---- ۱۲۰
من مأرب إلی صنعاء راجعا ---- ۱۲۱
من صنعاء إلی صعدة ---- ۱۲۱
اشارة ---- ۱۲۲
ذکر خراب صعدة القدیمة ---- ۱۲۲
بناء صعدة، بناء الشرف ---- ۱۲۲
اشارة ---- ۱۲۲
فصل: [(فی أمر الزیدیة)] ---- ۱۲۳
من صعدة إلی ذهبان ---- ۱۲۳
من صعدة إلی نجران ---- ۱۲۴
اشارة ---- ۱۲۴
صفة مدینة قرقر ---- ۱۲۴
اشارة ---- ۱۲۴
فصل: [(سوق العمدین و بنو عبدالمدان)] ---- ۱۲۴
صفة بئر الصفر ---- ۱۲۵
صفة نجران تهامة ---- ۱۲۵
اشارة ---- ۱۲۵
فصل: [(اشتقاق بحران)] ---- ۱۲۶
القول فی زوال ملک آل حمزة ---- ۱۲۶
اشارة ---- ۱۲۶
فصل: [(فی أحوال الإبل)] ---- ۱۲۶

ذکر طریق الرضراض ----- ۱۲۷
ذکر انقطاع طریق الرضراض ----- ۱۲۷
ذکر الفیض ----- ۱۲۸
صفة إقلیم نجد ----- ۱۲۸
صفة ماء الهباءة ----- ۱۲۹
صفة بئر العاصمیة ----- ۱۳۰
ذکر أودیة نجد ----- ۱۳۰
ذکر الکرم ----- ۱۳۰
اشارة ----- ۱۳۰
فصل: [(الشعراء و الأعرابی)] ----- ۱۳۱
حکایة [عن أبی عمرو الدمشقی قال ...] ----- ۱۳۱
ذکر ذمام العرب ----- ۱۳۲
اشارة ----- ۱۳۲
فصل: [(دعبل و المطلب)] ----- ۱۳۲
فصل: [(السقا و الأعرابی)] ----- ۱۳۲
فصل: [(نزول الجراد)] ----- ۱۳۴
فصل: [(أکل الجراد)] ----- ۱۳۴
ذکر زواج أهل نجد ----- ۱۳۴
و من صعدة إلی صنعاء راجعا علی طریق الجدید ----- ۱۳۵
اشارة ----- ۱۳۵
ذکر الرؤیا ----- ۱۳۶
من تعز إلی زبید راجعا ----- ۱۳۶
اشارة ----- ۱۳۶
صفة طیر الدلنقوق ----- ۱۳۶

من زبید إلی حجة ----- ۱۳۷
اشارة ----- ۱۳۷
بناء حصن مسار ----- ۱۳۸
اشارة ----- ۱۳۸
فصل: [(حدیث ...)] ----- ۱۳۸
من زبید إلی غلافقة ----- ۱۳۹
اشارة ----- ۱۳۹
فصل: [(فی ظهور البنات)] ----- ۱۳۹
بناء غلافقة ----- ۱۳۹
اشارة ----- ۱۳۹
فصل: [(دور الزمان)] ----- ۱۳۹
فصل: [(منع الحطب و إشعال الخیوش)] ----- ۱۴۰
فصل: [(قول إبلیس)] ----- ۱۴۰
فصل: [(جوار أبی دلف)] ----- ۱۴۰
ذکر بئر الرباحیة ----- ۱۴۱
جزیرة فرسان ----- ۱۴۱
ذکر جزیرة الغنم ----- ۱۴۲
ذکر جزیرة الناموس ----- ۱۴۲
من زبید إلی الأهواب ----- ۱۴۲
اشارة ----- ۱۴۲
بناء الأهواب ----- ۱۴۳
من عدن إلی شبام ----- ۱۴۳
اشارة ----- ۱۴۳
صفة العغو ----- ۱۴۴

بناء شبام ----- ۱۴۴
ذکر شبام ----- ۱۴۵
صفة الدور ----- ۱۴۵
صفة شبام ----- ۱۴۵
اشارة ----- ۱۴۵
فصل: [(قدوم المراکب إلی عدن)] ----- ۱۴۶
فصل: [(فی الکنی)] ----- ۱۴۷
صفة قرن ابن إبراهیم ----- ۱۴۷
اشارة ----- ۱۴۷
فصل: [(غزل نساء الیمن)] ----- ۱۴۷
من شبام إلی ظفار ----- ۱۴۷
اشارة ----- ۱۴۷
فصل: [(قصة الراکبین)] ----- ۱۴۸
ذکر خراب ظفار ----- ۱۴۹
ذکر مدن هدمت خوف الأعادی و لم یصلها العدو ----- ۱۵۰
صفة الطریق القدیمة ----- ۱۵۰
صفة الریاح الثلاث ----- ۱۵۱
صفة المنصورة ----- ۱۵۱
ذکر جزیرة سقطری ----- ۱۵۱
ذکر السبعة الطیور ----- ۱۵۲
من المنصورة إلی ریسوت ----- ۱۵۲
من المنصورة إلی قلهات ----- ۱۵۳
اشارة ----- ۱۵۳
ذکر نسبة المهریة ----- ۱۵۳

بناء قلهات ----- ۱۵۴
اشارة ----- ۱۵۴
فصل: [(مشی المقلوب)] ----- ۱۵۴
ذکر جبل السعتری ----- ۱۵۴
ذکر الإباضیة ----- ۱۵۵
من المنصورة إلی عدن ----- ۱۵۵
اشارة ----- ۱۵۵
علم مکنون و سر مکتوم ----- ۱۵۶
ذکر الإباضیة ----- ۱۵۶
ذکر السلقلقیات ----- ۱۵۷
ذکر بلاد الخوارج و الإباضیة ----- ۱۵۷
اشارة ----- ۱۵۷
فصل: [(فی سب علی)] ----- ۱۵۷
ذکر استفتاح أعمال عمان ----- ۱۵۸
ذکر استفتاح الخوارزمیة قلهات ----- ۱۵۸
صفة بتان العنبر ----- ۱۵۸
صفة قلهات ----- ۱۵۹
من قلهات إلی مسقط ----- ۱۵۹
اشارة ----- ۱۵۹
صفة العنة ----- ۱۵۹
صفة صحار ----- ۱۶۰
صفة دار الختمة ----- ۱۶۰
بناء قیس .. سکنها المجوس ----- ۱۶۱
و لماذا سمیت جزیرة قیس ----- ۱۶۱

نسبة الجاشو ----- ۱۶۲
اشارة ----- ۱۶۲
فصل: [(نسبة قبيلة زناتا)] ----- ۱۶۳
صفة اللؤلؤ ----- ۱۶۳
صفة جزيرة قيس ----- ۱۶۴
ما الجزيرة فی الأصل ----- ۱۶۵
ذكر ما فعل صاحب قيس ----- ۱۶۶
صفة القالی ----- ۱۶۷
صفة البحرين ----- ۱۶۷
[فهرس القسم الثانی] ----- ۱۶۷
تعريف مركز ----- ۱۷۷

صفه بلاد اليمن و مكه و بعض الحجار: المسماة تاريخ المستبصر

اشارة

سرشناسه : ابن مجاور، يوسف بن يعقوب، ق ۶۹۰ - ۶۰۱

عنوان قراردادی : [تاريخ المستبصر]

عنوان و نام پديدآور : صفه بلاد اليمن و مكه و بعض الحجار: المسماة تاريخ المستبصر/ لابن المجاور؛ راجعه و وضع هوامشه ممدوح حسن محمد

مشخصات نشر : قاهره : مكتبه الثقافة الدينيه ، م۱۹۹۶ = ۱۳۷۵.

مشخصات ظاهری : ص ۳۳۹

وضعيت فهرست نويسی : فهرستنويسی قبلی

يادداشت : كتابنامه به‌صورت زيرنويس

عنوان ديگر : تاريخ المستبصر

موضوع : عربستان -- جغرافيای تاريخی

موضوع : يمن -- جغرافيای تاريخی

رده بندی كنگره : DS۲۲۲/۷/الف۲ص۷

شماره كتابشناسی ملی : م۸۱-۷۶۳۵

مقدمة الناشر

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد للّه رب العالمين، و نشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، و نشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله، شهادة نلقى بها ربنا يوم العرض عليه ...

و بعد،،،

فيسر «مكتبة الثقافة الدينية» أن تقدم للمكتبة الإسلامية هذا السفر الجليل من كنوز تراثنا الإسلامی، و هو كتاب: «تأريخ المستبصر» لمؤلفه: «ابن المجاور» و هو كتاب فی تاريخ مكة و الحجاز و بلاد اليمن، لم تعرف وفاة مؤلفه.

و لنا هنا وقفة، حيث اختلفت المراجع فی نسبة ابن المجاور، و لم تتفق له على اسم واحد، فغالبية المراجع تذكره على أنه: «أبو الفتح، يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيبانی» و هكذا أورده الزركلی فی «الأعلام» و أيضا ورد بنفس الصورة فی «موسوعة العلوم الإسلامية و العلماء المسلمين» و هكذا ورد على غلافة الكتاب- ط. ليدن سنة ۱۹۵۱- ۱۹۵۴ و هی نسبة خاطئة.

فقد أورد المؤلف فی ص: ۲۸۱ من هذه الطبعة الجديدة، التی بين أيدينا ما نصه:

تاريخ المستبصر، ص: ۶

«و كتب والدی محمد بن مسعود بن على بن أحمد بن المجاور البغدادی النيسابوری ...».

و هكذا نجد أن المؤلف قد ذكر اسم والده بالكامل، إلا أنه لم يذكر اسمه هو أو كنيته.

و قد ذكرت صاحبة «الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية» تحت عنوان: «تاريخ المستبصر» ما يلی:

لمحمد بن مسعود بن ... الذی كان حيا سنة ۶۲۶ ه/ ۱۲۲۸ م.

مخطوط رقم ۴۶۳ مكتبة المتحف العراقى.

و هو كتاب فى تاريخ مكة و الحجاز و بلاد اليمن، لم تعرف وفاة مؤلفه، و قد ذكر المؤلف اسمه فى الورقة ۱۵۸ من هذه النسخة و هو: ...

و يلاحظ أن المؤلفة هنا اعتبرت أن النسبة الواردة فى المخطوط فى الورقة ۱۵۸ أو فى ص ۲۸۱ من الطبعة التى بين أيدينا هى للمؤلف نفسه، بينما نجد عبارة المؤلف صريحة فى قوله: «و كتب والدى ...».

من هنا كان حرصنا على عرض كل هذه الاختلافات و وضعها بين يدى القراء الأعزاء و الباحثين المتخصصين سائلين اللّه تعالى أن يهدينا إلى سواء السبيل ...

إنه سبحانه نعم المولى و نعم النصير

الناشر

تاريخ المستبصر، ص: ۷

القسم الأول

اشارة

تاريخ المستبصر، ص: ۹

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

مقدمة [المولف]

الحمد للّه الذى رفع السماء عبرة للناظرين و بسط الأرض و جعل فيها آيات للموقنين و أودع فى اختلاف الألسن و الألوان باختلاف الأقاليم و البلدان بصائر المستبصرين و شواهد عموم رحمته و سبوغ نعمته للعالمين، و صلى اللّه على سيدنا محمد المصطفى من خلقه فى السموات و الأرضين و على آله الطيبين و أصحابه أجمعين، و بعد.

فإن فن التاريخ و لا سيما ما يتعلق بمعمورة الأرض و عروض بلادها و أطوالها و أوضاع مبانيها و مسافات مغانيها و تصوير أقطارها و تبيين أحوال أمصارها من أبدع الفنون و أغربها و أبعدها غورا و أعجبها، تجدد لك أوراقه البالية المدائن الدارسة يرصاصها و قصورها و يحيى موات فصولها و أبوابها القرون الطامسة فى طى حروفها و سطورها.

هذا و لا مرية لذوى العقول و الأديان فى أن مكة- زادها اللّه شرفا- أم القرى و سرة الأرض المعمورة، و أحب بلاد اللّه إلى اللّه و رسوله فى السنن المشهورة[۱]، ثم

تاريخ المستبصر، ص: ۱۰

إن أيمن ما حولها من البلدان و أبركها مملكة اليمن المخصوص بالبركات الثلاث النبوية فى جواهر السنن منبع الحكمة و معدن الفقه و الإيمان من سالف الزمن، فخصصت هذين القطرين فى هذا الكتاب بذكر ما يتعلق بهما فى هذا الفن من بيان البقاع و البلاد و المدن و الجبال و البحار و شرح المنازل و المغانى و مقادير المسافات فى المفاوز و المقار ثم تصوير كل بقعة منه حتى كأنك تراها رأى العين و توقف بها على أرجائها فيغنيك ذلك عن الأين فى البين، و لا يعدم كل بقعة من نادرة جرت فيها من الأخبار و شعر نظم فى سلكها قديما من الأشعار.

و هذا أوان الشروع فى مقصود الكتاب، و تسهيل الحجاب، و فتح الباب، و اللّه ميسر الأسباب، إنه كريم وهاب.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۱

ذكر أسماء مكة و صفاتها

سماها اللّه تعالى بأربعة أسماء: مكة و البلد و القرية و أم القرى.

قال اللّه تعالى: وَ هُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ[۲] فإذا الكلام على هذا الاسم.

قال الزجاج: مكة لا تنصرف لأنها مؤنثة، و هى معرفة، و يصلح أن يكون اشتقاقها بكة لأن الميم تبدل من الباء، كما يقال: ضربة لازب و لازم، و يصلح أن يكون اشتقاقها من قولهم مككت العظم إذا مصصته مصا شديدا حتى لا يبقى فيه شىء، شبهت بذلك لشدة ازدحام الناس فيها.

و قال ابن فارس: مككت العظم إذا أخرجت مخه، و المك الاستقصاء، و فى الحديث: «لا تمككوا على غرمائكم».

و فى تسمية مكة بهذا الاسم أربعة أقوال:

أحدها: أنها مسافة يأتيها الناس من كل فج عميق، فكأنها هى التى تجذبهم إليها، من قول العرب امتك الفصيل ما فى ضرع أمه.

الثانى: من قولهم: مككت الرجل إذا أردت تخوّفه، فكأنها تمككك من ظلم فيها، أى تهلكه، كما قال:

يا مكة الفاجر مكّى مكاو لا تمكى مذحجّا و عكّا

تاريخ المستبصر، ص: ۱۲

و الثالث: أنها سميت بذلك لجهد أهلها.

و الرابع: لقلة الماء بها.

و قد اتفق العلماء أن مكة اسم لجميع البلدة، و اختلفوا فى بكة على أربعة أقوال:

أحدها: أنه اسم للبقعة التى فيها الكعبة، قاله ابن عباس رضى اللّه عنهما.

و الثانى: أنها ما حول البيت، و مكة ما وراء ذلك، قاله عكرمة.

و الثالث: انها اسم للمسجد و البيت، و مكة اسم للحرم، كما قاله الهروى.

و الرابع: أن بكة هى مكة قاله الضحاك و احتج لتصحيحه ابن قتيبة و قال بأن الباء تبدل من الميم و يقال ضربة لازم و لازب.

و أما اشتقاق بكة فمن البك، يقال: بكّ الناس بعضهم بعضا أى دفعه.

و فى تسميتها بكة ثلاثة أقوال[۳]:

أحدها: لازدحام الناس بها، قاله ابن عباس.

و الثانى: تبك أعناق الجبابرة، أى تدقها، فما قصدها جبار إلا أهلكه اللّه، قاله ابن الزبير.

و أما تسميتها بالبلد فقد قال اللّه عز و جل لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ[۴] يعنى مكة و البلد فى اللغة صدر القرى.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۳

و أما تسميتها بالقرية فقال اللّه عز و جل: وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً أى ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى انتقال عنها لخوف أو ضيق يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ الرزق الواسع الكثير، يقال: أرغد فلان إذا أصاب خصبا و سعة فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ أى كذبت محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ[۵] و أصل الرزق بالنعم و أكثر اشتقاقه منه و ذلك أن اللّه تعالى عذب كفار مكة بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف و العظام المحرقة و كانوا يخافون من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و من سراياه.

و القريـة اسم لمـا يجمع فيهـا جماعـة كثيرة من النـاس، و هـذا اسم مـأخوذ من الجمع يقـال: فريت الماء فى الحوض إذا جمعته فيه، و يسمى ذلك الحوض مقراة.

و أما تسميتها بأم القرى فقد قال اللّه عز و جل: وَ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَ مَنْ حَوْلَها[۶] يعنى مكة.

و فى تسميتها بذلك أربعة أقوال:

أحدها: أن الأرض دحيت من تحتها، قاله ابن عباس، و قال ابن قتيبة: لأنها أقدمها.

و الثانى: لأنها قبلة يزوها الناس.

و الثالث: لأنها أعظم القرى شأنا.

و الرابع: لأن فيها بيت اللّه عز و جل.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۴

قال ابن المجاور[۷]: و مما قرأت فى كتاب الفاكهى قال: قال لى رجل من أهل مكة قال أعطاه كتابا بعض أشياخه فإذا فيه أسماء مكة فإذا فيه مكتوب: مكة و برة و بسّاسة و أم القرى و الحرم و المسجد الحرام و البلد الأمين.

و قالوا: و من أسمائها صلاح، و قال القائل فى ذلك: ... صلاح و قال كانت تسمى فى الجاهلية النشاشة لأنها تنش من فيها، أى تخرجه منها.

قال ابن المجاور: و حدثنى هندى بالهند أنها تسمى عند الهنود مكى مسير.

و قال بعض الفضلاء: اسمها كوسا، و احتج بقول الشاعر:

سألت عمرا عن فتى اسمه‌يحيى و ثان اسمه عيسى

فقال: يحيى أبصرته جالسابالفجّ يحلق رأسه موسى

و أبصرت عيسى داخلا قريةهى التى قد سميت كوسا

و يسمونها التجار عروق الذهب، و يسمونها البغاددة مربية الأيتام.

و قد ذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب أن مكة من الإقليم الثانى تنسب إلى المريخ، و بناها إبراهيم الخليل عليه السلام، و هواها صحيح وجوها طيب و ليلها أطيب من نهارها لأنها تنزل فى لياليها الرحمة على من بها، و ماؤها من الآبار و أطيبها ماء الشّبيكة و الوردية و الواسعة، و هى بئر وراء جبل أبى قبيس، فيها يربح الفقير، و جميع ذلك بنته أم العزيز زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۵

و أهلها عرب و أشراف من نسل الحسن بن على بن أبى طالب، و ما بقى من أهلها قرشيين على مذهب الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، و هم رجال سمر، لأن جلة مناكحهم الجوارى السود من الحبش و النوبة، طوال الجثث صحيحين اللغة قليلين المال كثيرين العشائر و القبائل ذوو قناعة، و قد قال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «القناعة غنى» و قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «القناعة كنز لا ينفد».

و كان أحدهم يبقى على قرص و قليل سمن ثلاثة أيام بلياليها، و فى ذلك أنشد الإمام أبو عبد اللّه محمد بن إدريس الشافعى يقول:

أمتّ مطامعى و أرحت نفسىفإن النفس ما طمعت تهون

و أحييت القنوع و كان ميتاو فى إحيانه عرضى مصون

إذا طمع أحلّ بقلب عبدعلته مذلة و علاه هون

و ملبسهم النصافى النيسابورى الرفيع و يتحزم بنصفه الثانى و يرمى بما فضل منها، و لبس نسائهم القنوع (و سيأتى[۸] ذكر القنوع فى أعمال صنعاء) و البراقع، و مأكولهم اللحم و السمن و الخبز، و أساميهم سالم و مسلم و غانم و غنام و فراح و فارح و قاسم و هياب و نهاب و وثاب و مطاعم و مطاعن و مفرج و فارج و قاسم و قائم و ضاحك و ضحكان و سلال و فلال و سيار و هبار و راشد و رشاد و رشد و شاكر و مشكر و فاضل و فضائل و طالب و ظالب و واصل و حاصل و راجى و مرتجى و راجح و ناجح و فاتك و مالك و مهيوب و هياب و وهّاس و رعاش و حواس و كناس و قادم و مقدم و مشمر و هانى

تاريخ المستبصر، ص: ۱۶

و مهنا و زاكى و طائب و ظافر و ناجى و منجى و جابر و لاحق و سيار و صابر و جابر و عارس.

ذكر زواج اهل مكة

اشارة

فى العاشر من ذى الحجة يخطب زيد بنت عمرو و فى العاشر من المحرم يدخل كل واحد منهم على عرسه بالنظرة و التظهير، قلنا: و لم ذاك؟ قالوا: لأن كلا منا يعيش مع الحاج فى كل فن من الفنون من حرام و حلال، فإذا رحل الحاج دار الخطب و النكاح و الأفراح و الأعراس بين الناس.

فإذا تزوج رجل من أهل مكة و قطع المهر و أراد الدخول على المرأة يخضب الرجال أيديهم و أرجلهم تزينا، و كذلك جميع أهل اليمن و حضر موت، و يحضر كل أصدقائه من الأهل و الأقارب و بيده قرطاس مشرور مكتوب عليه اسم الآتى مع وزن المبلغ و عدده يقدمه قدام العروس كلّ على قدر حاله وسعة ماله، و كذلك تفعل النساء، و يخرج العريس إلى الحرم و يطوف سبعا و يصلى فى مقام إبراهيم ركعتين و يقبّل الحجر الأسود، و يخرج بالشمع إلى بيت العروس فتجلى عليه و يدخل عليها و يبقى عندها سبعة أيام، ففى اليوم السابع يخرج يضم الطرح الذى طرح له و يدبره رأس مال فى يده، و عند ذلك يفتح له دكانا يعيش به، و يكون ذلك الطرح دينا عليه.

و كل من تزوج من القوم الذين حضروا العرس يرجع يرد إليهم الذى أخذ إلى كل واحد من القوم مثل الذى جاء به إليه أو أزيد منه، و كذلك يفعلون فى سائر أقاليم اليمن.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۷

و كانت أهل مكة فى سالف الدهر يشترون العبيد و يقطعون عليهم قطعة تعطى لسيده كل يوم بيومه، و كذلك النساء تقطع المرأة قطعة على جواريها فى تحصيل الذهب فترجع الجارية ترجو الفرج أو تبذل الفرج للرجل و الحرج فى هرج و مرج، و إلى الآن هذا موجود فى عدن من الغريب و أهلها، و ليس هذا الفن عندهم عار بل تفتخر النساء بذلك، و كذلك كان فى أيام الجاهلية كل جارية لا تبذل فرجها ينكر عليها إلى أن نزلت هذه الآية: وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً[۹] فهى من ذلك العهد و هم على ذلك العهد باقون.

و إذا خرج السيد و العبد و الجارية إلى أشغالهم خليت المرأة فى الدار وحدها حتى إنها تبرك على أربع إذ ليس لها شغل تشتغل به فيرجع بروكها على وركها عادة و ألفوه إلفا.

و يقال: إذا تخاصم رجل و امرأته و اغتاظت المرأة منه غاية الغيظ تقول المرأة لزوجها: لا شك أنك على أنى أكسره، و المعنى أنك تريد أن أقعد على عجزى، فيقول لها زوجها: باللّه عليك لا تفعلى ذلك.

فصل: [(سيف الدولة مع بنت عمه)]

دخل سيف الدولة بن عبد اللّه بن حمدان على بنت عمه، و يقال:

بنت خاله و هى باركة على أربع، و هى تنظم لها حب عقد لؤلؤ فقال لها سيف الدولة: بكم هكذا؟ قالت له: بالموصل، قال لها: اشتريت، فقالت له: و أنا بعتك،

تاريخ المستبصر، ص: ۱۸

و قضى منها شغله ... فلما أصبح من الغد جاء الخادم يتقاضى ثمن ما اشتراه فقال سيف الدولة للوزير: اكتب لها منشورا بتسليم الموصل، فما أعجب الوزير هذا القول و أمسك عن الكتب، فقال له سيف الدولة: اكتب لها، فواللّه لقد أخذت منها فردا يسوى جملا أحمر، أو يقال: جمل عراقى، كما قال:

نعم أقول لو ان القول مقبولظل الهوى و تمادى القال و القيل

ليس السلام بشافى القلب من دنفما لم يكن فيه تخميش و تقبيل

و ليس يرضى محب عن أحبتهحتى يفوز بما ضم السراويل

و لأجل ذلك تكبر أعجاز نساء الحجاز لأنهم يربونه قصدا.

و يطلع بها من جميع الخضر مثل البطيخ و الخيار و القثاء و الباذنجان و الكراث و يأكلونه بالتمر و الفجل و ما أشبه ذلك و بها الرطب الطيب من البرنى و المكتوم.

و يقال: إنه كان فى قديم الأيام يجتمع بها من جميع الأزهار و الفواكه و الثمار و الرياحين، و من جملة ذلك أنه كان يزرع فى زهران الزعفران، و كان يرفع إلى بغداد كل عام بعد الخرج و المؤن ثمانون ألف دينار، و قيل: ثمانية عشر ألف دينار، و هو الأصح، و جميع ذلك كان من الزرع و الضرع و دخل الأشجار و جنى الثمار و سقى الأنهار و مراعى الإبل و دخل النخيل.

فلما دار الدهر نقص جميع ما ذكرناه لاختلاف النيات مع قلة الأمانات، و كل من بها يستعمل الطيب من الرجل و المرأة، و فى يد كل واحد من القوم سيف و لم يرموا العدة من أيديهم إلا فى شهر اللّه الأصم رجب، عظّم اللّه حرمته.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۹

و بناء البلد بالحجر و الجص و بناء الطبقة الثانية بالشكل، و هذا فى زمان معاوية بن أبى سفيان، و صارت بعده فى أيام أبى عبد اللّه محمد المهدى باللّه أمير المؤمنين لما بنى الحرم الشريف كل دار تشابه حصنا من الحصون لأجل إحكامها، و بنى الأمير هاشم مدينة ظاهر مكة ما بين درب الثنية و المسفل تسمى مربعة الأمير، فكان يسكن بها جنده و خدمه و حشمه و بقى البلد عامرا، و خربت فى دولة الأمير عيسى ابن فليتة و بقيت خرابا إلى دولة الأمير قتادة بن إدريس بن مطاعم بن عبد الكريم و جدّد فيها آثارا و مواضع شتى و أراد أن يسكن فيه الغرباء و قريش و يسكن هو و جميع أهل الشرف مكة فمات على غفلة و بطل جميع العمل من طول الأمل.

و أدار الأمير قتادة بن إدريس على مكة سورا من الحجر و الطين، و ذلك على رءوس الجبال و بطون الأودية، و ركب عليه أربعة أبواب: باب درب المعلى ينفذ إلى عرفات، و باب درب الثنية ينفذ إلى مدينة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و يسمى باب جدة، و باب العمرة، و باب المسفلة ينفذ إلى اليمن، و باب الصغير ينفذ إلى الصفا المصافى و الصحيفة و هو واد ليس عليه طريق- على هذا الوضع و الترتيب- و اللّه تعالى أعلم بالصواب.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۰

[صورة مكة]

و صورة مكة شرفها اللّه تعالى على هذا الوضع و الترتيب:

تاريخ المستبصر، ص: ۲۱

ذكر ولاة مكة من آل الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه

الأمير منصور بن مكثر بن عيس بن مكثر بن قاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد اللّه بن أبى هاشم بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد اللّه بن موسى الجون بن عبد اللّه ديباجة بنى هاشم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، و الأمير حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعم بن عبد الكريم ابن عيسى بن الحسين بن سليمان بن على بن عبد اللّه بن موسى الجون، و هاهنا يرجع النسبين [كذا] إلى فرد نسب.

فهؤلاء الذين نزلوا مكة من أيام دولة الإمام عبد اللّه الخليفة أبى جعفر بن هارون الرشيد إلى سنة تسع عشرة و ستمائة.

و فى هذا التاريخ ملكها السلطان الملك المسعود صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن محمد ابن أبى بكر بن أيوب بن شاذى بن مروان بن محمد.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۲

ذكر المعاملات [مكة]

و نقد البلد ذهب مصرى و بها يضرب على عيار المصرى يسوى الدينار أربعة و عشرين علويا، و يحسب كل علوى أربعة دراهم كل درهم ستة فلوس، فلما رجعت الدولة لآل أيوب ضربوا الدراهم الكبار، و يقال: أول من ضرب هذا الدرهم الكبير بها المعز إسماعيل بن طغتكين فى اليمن، و أول من ضرب الدراهم الكبار بمكة الملك المسعود يوسف بن محمد على قوانين اليمن، يسوى الدينار المصرى أربعة دنانير و نصف ملكى يصح ثمانية عشر درهمّا يحسب كل أربعة [دراهم] دنانير دينار مكى و كل درهم ثلاث جوز كل جوزة ثمانية فلوس و كل فلس أربع درّس.

قال ابن المجاور: و كل ما كان يصح فى أول العهد بعلوى رجع ذلك الشىء بدرهم كبير.

و الرطل مائة و ثلاثون درهما و هو ست أواق يحسب كل أوقية أحد و عشرون درهمّا و ثلث و به يباع جميع الحوائج و العطر، و من اليمن ثلاثمائة و عشرين درهمّا، و به يباع الثياب و السكر و العسل و جميع الحوائج الحلوة، و من اللحم أربعمائة درهم، و به يباع اللحم و الشحم و الهريسة و المجبنة و الألية، و من السمن ثمانمائة درهم، و به يباع السمن و الزيت و الخل و الشيرج، و الذراع اليد فى أيام الموسم و أيام الصدقة و إذا كان بعد الموسم بمدة شهر كامل زيد فى الذراع، و فى سنة اثنتين و عشرين و ستمائة زيد فى الذراع و رجع الذراع على ذراع مصر، و كانت صنجة مكة فى بغداد تصح المائة خمسة و تسعين دينارا.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۳

فلما تولى ملك الحجاز طغتكين الكاملى نقص المائة الدينار فصار الآن تصح المائة المكية ببغداد أربعة و تسعين دينارا، و جميع ما يباع بمكة مقايضة كج بكج، و يباع الحنطة و سائر الحبوب بالصاع و يحسب الصاع أربعة أمداد و كل مد أربعة أرباع رطل، و يباع الأدم بالبيعة كل بيعة مائة من يصح الحمل ببيعتين و نصف، و يحسب العوار ثلاثة أصناف: عوار الذى يكون فى أوسط الطاق خدش بسكين فى رقبة الطاق، و الثانى الشعرانى، و هو الذى يكون فى الشعر، و المقفع يكون قد تقفع الكيمخت من على الجلد، و كذلك اليابس من الدهن و الخفيف و الأسود، و الأديم الجيد و هو الثقيل النقى الطاهر عنابى الوجه مشتبك بعضه ببعض مبرأ من العيوب التى ذكرناها.

قال ابن المجاور: هذا فى اليمن و نواحيها يكون يسوى كل مائة من بخوارزم على الصفة التى ذكرنا سبعين دينارا.

و يدبغ الأديم فى جميع إقليم اليمن و الحجاز و نواحيها و يبيعونه طاقات بالعدد، و كذلك الحبشة و أعمالها، و يسميه العجم أديم خوش و فى كشك من أعمال الهند كذلك، و ما تدبغ الأدم إلا بالقرظ، و يدبغ فى مكة جلود الجمال و البقر و الغزلان، و كان مسافرو خراسان يشترون جلود البغال الفحولة من رستاق الموصل و سواد إربل و تدبغ فى مكة، و قد بطل جميع ذلك من سنة عشر و ستمائة لظهور الكافر بخراسان و الرى.

و الأديم الخفيف يصلح للعراق و الشام لأنهم ينشرون الطاق حتى يجعلوه على الكيمخت، و ما يريدون فى خوارزم و خراسان إلا الأديم الثقيل لأنهم يبطنون به الخف، و يقال فى الأثمان: يسوى الخوارزمى و الفنا أربعة دوانيق ربكية و خفة عشرة دنانير و كذلك الروم.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۴

و يقال: إن الصديق بمنزلة الرأس و العدو بمنزلة الرجل، و لأجل ذلك لبست أهل هذه النواحى أرجلهم أجود ما يكون من الملابس.

حدثنى محمد بن رزق اللّه قال لى: هل ترون فى خراسان كوكب سهيل؟

قلت: لا و اللّه، قال: لهذا لم يصح لهم دباغة الأدم، قلت: و كيف ذاك؟ قال: كل إقليم يطلع عليه و فيه سهيل يصح فيه دباغة الأديم لأنه يحمره و يصيره إلى ما ترى من الليونة و النعومة.

من مكة إلى المدينة

اشارة

على طريق بنى عصبة و هم السرو، من مكة إلى بطن مر أربعة فراسخ و هو واد طيب، و بنى فيه بعض أمراء مكة من الشرق قصرا، و هو الآن خراب، و إلى الهدى أربع فراسخ، و إلى برزة أربع فراسخ، و إلى شابة أربع فراسخ، و إلى المدينة قدر أربع فراسخ، و إلى هجر قدر سبع فراسخ، أرض عزة، و هى أرض بنى سليم التى فتحها أمير المؤمنين على بن أبى طالب، كرم اللّه وجهه.

ذكر فتح أمير المؤمنين على بن أبى طالب هذه الجبال

حدثنى عيسى بن أبى البركات بن مظفر البغدادى بمكة قال: إنى قرأت فى بعض الكتب أنه كان لبنى سليم فى الجاهلية نحل عظيم فكان إذا جاءهم عدو دخّنوا فى الأكوارات- يعنى النحل- فكان يطير و يعلو الجو فيبان لناظره شبه غمامة

تاريخ المستبصر، ص: ۲۵

من كثرته، فإذا تعلّى انحدر و نزل على خيل العدو و نكد عليهم فعند ذلك تنهزم خيل العدو من بين أيديهم، و كان بنو سليم قد قهروا جميع أعدائهم بهذا الفن و بقوا على حالهم إلى أن أظهر اللّه عز و جل الإسلام و خرج النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و من معه من الصحابة إلى هذه الأعمال، ففعلت بنو سليم ما تقدم ذكره، فلما صعد النحل الجو و انحدر على عساكر الإسلام نادى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: أين يعسوب الدين؟ فلم يجبه أحد، فقال: أين أمير النحل؟ فلم يجبه أحد، فقال: أين على بن أبى طالب؟

فلما سمع على بن أبى طالب- رضوان اللّه عليه- ذلك من لفظ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم جذب ذا الفقار[۱۰] و حمل على النحل، فأدبرت النحل على أثرها راجعين على بنى سليم و لدغتهم، فهربت بنو سليم بين أيدى النحل إلى رءوس الجبال و بطون الأودية و فتح اللّه جبال بنى سليم على يد أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

فلما استتم الفتح و استقام النصر قال بعض الصحابة للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم: يا رسول اللّه شبهت على بن أبى طالب باليعسوب و هو النحلة؟ فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «المؤمن كالنحلة لا تأكل إلا طيبا و لا يخرج منها إلا طيب» فمن ذلك الحين و [تلك]

الواقعة لقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب بيعسوب الدين أمير النحل.

و إلى الآن يجلب من هذه الجبال نحل، أى عسل يشترى منه الحاج و الحجاز و بعض أهل اليمن.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۶

ذكر وادى انظر

قال ابن المجاور: رأيت فى المنام ليلة السبت سادس شعبان سنة أربع و عشرين و ستمائة كأن إنسانًا يقول لى: إن فى أعمال المدينة يثرب واد مسروق و جبال و شعاب لم يفهم أحد كيف دخوله، قلت له: ما يسمى؟ قال: وادى انظر، قلت:

و ما المعنى فيه؟ قال: إنه سأل إنسان شيخًا من أهل هذا الوادى فقال له: من أين الشيخ؟ فقال: من وادى انظر، قلت: و ما المعنى فى هذا الاسم؟ قال: لأنه واد للإسلام به عز، قلت: و من أين سكانه؟ قال: هم قوم من أولاد حام بن نوح، عليه السلام، و هم مع ذلك قوم لا عرب و لا عجم و لا هند و لا حبش و لا ترك و لا نبط بل لهم لغة منهم و فيهم، قلت: فكم يصح دوره؟ قال: فرسخين أو مسيرة يومين، و لا يزال الأمير قاسم بن المهنا بن جماز الحسينى يرعى إبله و نعمه فيه، و أرضه ذات مزارع و عيون و أمن و سكون، و قد خلت من الناس، فسألت عن زمان فقلت:

ما السبب فى خلوها؟ قال: إن اللّه عز و جل قلب عاليها سافلها.

قال ابن المجاور: و فى هذه الأيام قتل الأمير قاسم بن المهنا بن جماز ابن عمه شيحة و تولى بعد قتله الأمير هاشم بن قاسم على ملك مكة، و مع ذلك يمكن أن يكون هذا الوادى فى هذه الأودية و الجبال و الشعاب مسروق لم يعلمه أحد من الأعراب سوى سكانه، و العلم عند اللّه.

و إلى الخضراء من يثرب أربع فراسخ و به أعين و نخيل و يسكن أهلها فى أخدار الشعر إلى الآن و إلى عين النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أربع فراسخ و هى عين جارية و عليها نخيل و هى

تاريخ المستبصر، ص: ۲۷

أواخر الجبال و الأودية و أول الفلاة و الرمال، و إلى عمق أربع فراسخ و به أعين و نخيل، و أحرق نخلها الأمير عز الدين أبو عزيز قتادة بن إدريس سنة خمس عشرة و ستمائة.

و إلى نجد أربع فراسخ و تسمى مبرك و هى أرض قفر و بها بركة عظيمة خلقها الرحمن، و يقال: اغتسل بها و من مائها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فلا يزال بها الماء طول الدهر من بركات النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و تمر على ثلاثة جبال تسمى البرانين فإذا كنت طالبًا المدينة فاترك جبلين منها على يسارك، و إن كنت طالبًا مكة فاتركهما عن يمينك و امش بالقرب من الجبال لكى لا تضل، لأنه واد فيه رمل أبيض يشابه دقيق السويق، و لا شك أنه لا ممر إليه إلا فى هذا المكان.

و إلى بئر على بن أبى طالب رضى اللّه عنه أربع فراسخ، و هى بئر عظيمة البناء يروى الحاج منها و من حولها من الأعراب ما عندهم من المواشى و غيرهم.

و إلى قباء أربع فراسخ، و كانت مدينة قبل المدينة، و قيل: بنيت فى زمن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و فى مسجدها قبلتان: إحداهما إلى المشرق و الثانية إلى الكعبة، لما أمر اللّه سبحانه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن يوجه وجهه نحو الكعبة [حيث] قال: فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ[۱۱] ثم إلى المدينة فرسخ بين نخل باسقات شامخات.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۸

و من مكة إلى الطائف

اشارة

من مكة إلى منى فرسخ، و إلى المشعر الحرام فرسخ، و إلى جبل عرفات فرسخ، مبتدى وادى نعمان، و فيه أراك و نخل.

ألا هل لأيام المحصب أوبةو هل لى بهاتيك القباب حلول

و هل لليالى الخيف بالخيف مرجعو هل لمبيت بالجمار سبيل

و هل لى بأعلام المعرّف وقفةو بالسرح من وادى الأراك مقيل

و إلى برقة ثلاثة فراسخ، و به قبر الأمير شكر بن أبى الفتوح الذى استفتح جدة، و إلى المرزة أربع فراسخ، و الأصح ستة فراسخ، و إلى الحجر فرسخين [كذا] و يكون جوازك على جبل عال يسمى عفر.

قال ابن المجاور: و لا شك أنه يسمى غزوان، و به قال الشاعر:

إذا خفت يوما من أمير عقوبةفلى باللوى من راس غزوان منزل

بناء الطائف

قرأت فى كتاب الفاكهى قال: حدثنى الحسين قال: حدثنى على بن الصباح قال: حدثنى ابن الكلبى، عن إياد بن نزار، و يقال: عن أبيه، عن أبى صالح، عن ابن عباس قال: كان بالنخع و ثقيف رجلان من إياد بن نزار يقال لأحدهما: ثقيف، و هو قسى بن منبه ابن بنت أفصى بن دعمى بن إياد بن نزار، و الآخر: النخع بن

تاريخ المستبصر، ص: ۲۹

عمرو بن طهمان بن عبد مناة بن يقدم بن أفصى بن دعمىّ بن إياد بن نزار، فخرجا و معهما غنيمات لهما فيها عنز لبون و هما يشربان من لبنها، فعرض لهما مصدّق ملك من ملوك اليمن فأراد أن يأخذ من غنمهما الصدقة، فقالا: خذ منه أيتهن شئت، فقال: آخذ صاحبة اللبن، فقالوا: إنما معيشتنا و معيشة هذا الجدى من لبنها، فأبى إلا أخذها فقتله أحدهما، فقال له صاحبه: لا يجمعنى و إياك بلد و لا تحوينا أرض، فإما أن تصعد و أنحدر، و إما أن تنحدر و أصعد، فقال النخع: أنا أصعد.

فأتى النخع بيشة فنزلها، و مضى ثقيف إلى وادى القرى فكان يأوى إلى عجوز يهودية يكمن عندها بالليل و يعمل بالنهار، فعند ذلك اتخذته ولدا و اتخذها أما، فلما حضرها الموت قالت: يا بنى، إذا أنا مت فخذ هذه الدنانير و هذه القضبان من الكرم فإذا نزلت بلدا فاغرس هذه القضبان فإنك لا تعدم منها رزقا.

ففعل ثقيف ذلك ثم أقبل حتى نزل موضعا قريبا من الطائف، فإذا هو بجارية حبشية على ظهر ترعى مائة شاة لمولاها، فأسرّ طمعا فيها و قال: أقتلها و آخذ الغنم، فألقى فى نفسها ما أراد بها، فقالت له: يا هذا، كأنك طمعت نفسك أن تقتلنى و تأخذ غنمى؟ قال: نعم، قالت له: لقد عدلت[۱۲] و لو قتلتنى و أخذت الغنم ما نجوت، فأنا جارية عامر بن الظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر، و هو سيد أهل الوادى و أنا أظنك غريبا خائفا، قال: نعم، قالت: أفلا أدلك على خير مما أردت؟ قال: بلى.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۰

قالت: إن مولاى إذا طلعت الشمس يأتى إلى هذه الصخرة فيضع ثيابه و قوسه و جفيرته عندها و ينحدر فى هذا الوادى يقضى حاجته و يتوضأ من العين التى فى الوادى ثم يرجع و يأخذ ما ترك و ينصرف إلى رحله و يأمر مناديا ينادى: ألا من أراد العيش و التجمع

فليأت دار عامر بن الظرب، فيقبل جميع من أراد ذلك، فاكمن له تحت الصخرة و خذ ثوبه و قوسه و جفيرته فإذا رآك و قال: من أنت؟ فقل: غريب فأنزلنى، و خائف فأجرنى، و عزب فزوجنى، إن كنت برا شريفا.

فقال: أنا أفعل جميع ما ذكرت، قال: فخرج عامر بن الظرب كعادته فاستخفى له ثقيف، فلما دخل الوادى فعل ثقيف ما أمرته به الجارية، فقال عامر بن الظرب:

انطلق، فانطلق معه فانحدر إلى قومه، و نادى مناديه فأقبلت الناس يهرعون إليه، فأكلوا و تجمعوا، فقال لهم عامر: ألست سيدكم؟ قالوا: بلى! قال: و قد أجرتم من أجرت و آمنتم من آمنت و زوجتم من زوجت؟ قالوا: بلى! فقال عامر: هذا قسى بن منبه، فزوجه فى الحال ابنته، فولدت لثقيف عوف و دارس و سلامه، ثم تزوج بأختها بعدها فولدت له قاسم، و أقام بالطائف و غرس تلك القضبان من الكروم فنبتت و أطعمت، و بنى المكان فسمى الطائف لأنه طاف البلاد و سكن بها.

و قيل: ما سمى ثقيفا [إلا] لأن أباه ما ثقف حتى ثقف عامرا حين أمنه و زوجه، و ثقف الكرم حين غرسه فسمى ثقيفا.

حدثنا محمد بن أبى عمرو قال: حدثنا شعبان بن جريج عن مجاهد فى قوله عز و جل: لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ[۱۳] قيل:

تاريخ المستبصر، ص: ۳۱

القريتان مكة و الطائف، و أما الرجل فقيل: هو عتبة بن ربيعة، و كان ريحانة قريش يومئذ، و قالوا: بل هو مسعود بن معتب.

ذكر حصن الهجوم

حدثنى أبو على أحمد بن على بن آدم اليزنى قال: كان حصن الهجوم جبلا مدورا فى وسط قاع صفصف فجاء الأنباط، و هم من نسل اليونانيين النصارى، و يقال: الروم، و قد بقى من تذاكيرهم طى القنوات و مجارى الأعين و حجر الطواحين التى يطحن عليها القرظ لأجل دباغة الأدم.

قال الراوى: و دور كل حجر منها ثمانية أذرع فى الارتفاع إلى سبعة أذرع، و ليس هذا من عمل العرب لأنه لا يتدبر لهم فيه عمل و لا يستدير لهم فى أيديهم و لا يتصور فى خواطرهم بل هذا و ما أشبهه من عمل الجبابرة و حكمة الأوائل.

و ما ذكرت تلك الأحكام إلا لما نذكره من بناء الحصن و ذلك أن الأنباط جاءوا و بنوا حول الجبل الحجر المنقوش المربع طول كل حجر منه سبعة أذرع فى عرض ثلاثة أذرع و ما زال القوم فى بنائه إلى أن حاذى البناء ذروة الجبل، فلما استتم البناء به على حسب المراد بما أراد الفكر بنوا بعده الأسوار و الأبراج، و هو على وضع ما تقدم ذكره، و ركب عليه باب واحد و حفر فى داخل القلعة بئر عظيم عميق فظهر فى البئر مع تمام الحصن الوافر ماء يحاكى الشهد فى حلاوته و الماورد فى رائحته و عين الحياة فى صفائه.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۲

فلما دار الدهر بالسنين و الشهور ارتدم ما بين الأمة من التقارب و الاتصال و تقاربت بهم الآجال و تباعدت عنهم الأحوال إلى أن أظهر اللّه عز و جل الإسلام ففتحها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بالسيف، و بقى الحصن على حاله إلى أن وصل ملك الحجاز إلى الأمير عز الدين أبى عزيز قتادة بن إدريس فأمر بهدم الحصن فهدم خوف أن لا يعصيه فيه أحد من الأعراب، و بقى الحصن خرابا إلى الآن، و يسمى عند أهله حصن الغراب.

ذكر الوهط

حدثنا معبد بن عبد الرحمن المخزومى قال: حدثنا شعيب عن عمرو بن دينار قال: كتب عمرو بن العاص فى وصيته و ذلك فى الوهط و جعلها صدقة لا- تباع و لا توهب و لا تورث: و هى للأكبر من أولادى و المتبع فيها عهدى و أمرى، فإن لم يقم بعهدى و لا أمرى

فليس له ولاء، يعنى بذلك الوهط، حتى يرثه اللّه تعالى قائما على أصوله.

حدثنا محمد بن منصور قال: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار قال: عرش عمرو بن العاص فى الوهط مائة ألف عود كل عود بدرهم.

و الوهط قرية من أعمال الطائف بينهما ثلاثة أميال فكان كل فاكهة الطائف و مكة من ذلك الوهط.

حدثنا محمد بن موسى القطان قال: حدثنا محمد بن الحجاج الثقفى قال:

تاريخ المستبصر، ص: ۳۳

حدثنا عبد العزيز بن أبى رواد عن عطاء عن ابن عباس قال: كان الطائف من أرض فلسطين، فلما قال إبراهيم [كما حكى القرآن الكريم]: رَبَّنا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ[۱۴] قال: فرفع اللّه تعالى له موضعها إلى الطائف فى موضعها.

قال حدثنى محمد بن فارس القرشى قال لى: ما بقى فى الوهط من الشجر سوى شجرة توت و هى إلى الآن وقف عليهم.

ذكر سليمان بن عبد الملك ابن مروان و خروجه إلى الطائف

حدثنى محمد بن صالح البلخى قال: حدثنا محمد بن إبراهيم قال: كنا مع عبد العزيز بن أبى رواد فى المسجد الجرام فأصابنا مطر شديد و ريح شديدة فقال عبد العزيز: خرج سليمان بن عبد الملك إلى الطائف فأصابهم نحو من هذا ببعض الطريق فهالهم ذلك و خافوا فأرسل إلى عمر بن عبد العزيز، و كانوا إذا خافوا شيئا أرسلوا إلى عمر، فقال له سليمان بن عبد الملك: ألا ترى ما نحن فيه؟ فقال:

يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمته، فكيف بصوت عذابه!.

و خرج سليمان إلى الطائف، قال: فلما قدم إليها لقيه أبو زهير، أحد بنى ثقيف، فقال: يا أمير المؤمنين اجعل منزلك عندى، فقال: إنى أخاف من الصداع،

تاريخ المستبصر، ص: ۳۴

فقال: كلا، إن اللّه قد رزقنى خيرا كثيرا، قال: فنزل ورمى بنفسه على البطحاء فقيل له: الوطاء، فقال: لا، البطحاء أحب إلىّ، فلزمه بطنه فأتى بخمس رمانات فأكلهن، و أتوه بخمس أخر فأكلهن، ثم قال: أعندكم غيرها؟ قالوا: نعم، فجعلوا يأتون بخمسة خمسة حتى أكل سبعين رمانة، ثم أتى بخروف وست دجاجات فأكلهن، و آتوه نصيبا من الزبيب يكون فيه قدر مكوك على نطع فأكله جميعا ثم نام، وانتبه فدعا بالغداء فأكل مع أصحابه.

فلما فرغ دعا بالمناديل فكان فيها قلة من كثرة الناس فلم يكن عندهم من المناديل ما يسعهم، فقال: كيف الحيلة يا أبا زهير؟ فقال أبو زهير: أنا أحتال، فأمر بالصرح و الخزامى و ما أشبههما من الشجر فأتى له بما يمسح به سليمان يده، ثم شمه فقال: يا أبا زهير دعنا و هذا الشجر وخذ هذه المناديل فأعطها العامة، ثم قال سليمان: يا أبا زهير هذا الشجر الذى ينبت عندكم أشجر الكافور هو؟ قال: لا، فأخبره بخبره فأعجب سليمان، و قد قال امرؤ القيس الكندى:

كان المدام وصوب الغمامو ريح الخزامى و نشر القطر

يعلّ به برد أنيابهاإذا طرّب الطائر المستحر

فلما فرغ قال أبو زهير: افتحوا الأبواب، ففتحت و دخل سليمان مع الناس فأصابوا بستانا ذات أكمام و أتمام من الخير و الفواكه فأصابوا الفاكهة، فأقام سليمان يومه و من الغد ثم قال لعمر: ألا ترى أنا قد أضرينا بهذا الرجل؟ فرحل و نظر إلى الوادى و خضرته مع طيب رائحته فقال: للّه در قيس، أى واد نزل! و نظر إلى عناقيد عنب يظنها الحرار فقال له عمر: يا أمير المؤمنين، هذه عناقيد العنب، فأقام

سبعا ثم رجع إلى مكة.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۵

و وصف بعضهم النارنج فأنشأ يقول:

و روضة يتركنى زهرهابالحسن و النضرة مبهوتا

أنعت منه حسن نارنجهاو لم يكن من قبل منعوتا

و صحت فى الناس: ألا من يرىزبرجدا يحمل ياقوتا

و قال فى السوسن:

سقيا لأرض إذا ما نمت ينبهنىقبل الهجوع بها صوت النواقيس

كأن سوسنها فى كل ساقيةعلى الميادين أذناب الطواويس

و قال فى المنثور:

و منثور حططت إليه رحلىو قد طلعت لنا شمس النهار

كشبه دراهم من كل فنيخالطه كبار مع صغار

و قال فى الياسمين:

و ياسمين آتاك فى طبقهقد أسكر الناس (..) من عبقه

قد نفض العاشقون ما صنع البين بألوانهم على ورقه

و قال فى اللينوفر:

و لا زوردية تاهت بزرقتهابين الرياض على زرق اليواقيت

كأنها فوق طاقات لها صبغتذبائل النار فى أطراف كبريت

و قال فى النرجس:

و أحداق مسهدة عوانىسرقن السحر من حدق الغوانى

على قضب الزبرجد شاخصاتحوين صفات نور الأقحوان

بأحداق من الكافور صيغتمكحلة الجفون بزعفران

تاريخ المستبصر، ص: ۳۶

صفة الطائف

الطائف سامية باردة الماء صحيحة الهوى كثيرة الفواكه، زراعتهم الحنطة اللقمية التى تشابه اللؤلؤ، و أهلها من ثقيف و قريش على زى أهل مكة فى الأكل و اللبس، و أهلها يرثون البنت عند الموت و لم تورث بنت أحدهم الدراهم، و كذلك بنو هذيل و مضر و بجيلة

و جميع أهل السراة و جميع العرب الذين هم سكان بأرض الحجاز و ما حول مكة.

و للقوم عصبية عظيمة، إذا مات بها أحد لم يحمل جنازته إلا الشبان و مع ذلك يقولون: سلم سلمك اللّه، هذا ما وعد اللّه نعم القاضى، و هم يتداولون النعش إلى الجبانة، و هم الذين يحفرون القبر.

حدثنا الزبير بن أبى بكر قال: حدثنا عمر بن أبى بكر الرملى قال: أخبرنى بعض أهل العلم من قريش قال: ما استنّ للنوائح و احرباه إلا من بعد موت حرب بن أمية فناحت نوائحه و احرباه، فجعلن النوائح للناس كلهم يقلن: و احرباه من ذلك العهد.

و به قبر عبد اللّه بن العباس رضى اللّه عنهما.

و جميع عملهم دباغ الأدم و يدبغ بها الأديم المليح الثقيل المعروف بها و هو الذى يصلح لخوارزم، و كل نبق يغرس فى هذه البلاد يطلع مكتسبى [كذا] و به يطحن السدر و هو سويق النبق من نبق العراق ليس له شوك و كذلك شجرة فى زبيد مما يلى القرتب.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۷

من الطائف إلى جبل بدر

اشارة

من الطائف إلى المعدى ستة فراسخ و به تنحت قدور البرم التى يفخر حجرها على سائر الأحجار.

حدثنى شيخ قدورى بهذا قال: إن الحجر الأملس لا يعمل فيه الحديد إلا الفولاذ.

و إلى خبت عنتر خمس فراسخ و هو عنتر بن زبيبة العبسى، و هى أرض ذات شعاب و مكسرات و بها بئر عذب فرات، و إلى حدان ستة فراسخ، و إلى بحرى خمس فراسخ، و به تزرع الحنطة فى العام مرتين، بعد كل ستة أشهر مرة، و هذا خلاف كل العالم فى الزروع.

و إلى الدرب فرسخين [كذا] و إلى أرض ليلى العامرية و قيس بن الملوح، و يقال: إن ليلى العامرية و قيس بن الملوح كانوا فى هذه الأرض و ماتوا بها، و فى قبيلتها يقول الشاعر:

ألا لسيت أمى بالمنا عامريةإذا صابها ضيم دعت يالعامر

و إلى نوا فرسخ، أول معاملة بجيلة، و هم الذين يسمون السرو.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۸

ذكر السرو

فأما السرو فإنهم قبائل و فخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان بل مشائخ منهم و فيهم، و هم بطون متفرقون، فإذا خرج أحدهم إلى سفر أتت المرأة الى عند المخلف، أى عشيق تلك المرأة، يحاضنها إلى أن يرجع زوجها، فإذا قرب المسافر من منزله نادى بأعلى صوته: أيها المخلف اللجوج، قد حان وقت الخروج، و يدخل المسكن غفلة فإن وجده فى المسكن قتله، و إن كان قد خرج فقد عفا اللّه عما سلف.

و سألت رجلا منهم فى مكة فقلت له: أيها الرجل و النزيل ماذا يصنع المخلف؟

فردّ أسوأ الجواب فقال: يسحق الخبز و يمحق المرأة.

و غاية حج القوم عمرة أول رجب و قد ضمن لهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضى اللّه عنه- تلك العمرة بحجة كاملة

مقبولة[۱۵] فإذا دخلوا مكة ملأوها خزا من الحنطة و الشعير و السويق و السمن و العسل و الذرة و الدخن و اللوز و الزبيب و ما يشابه ذلك، و لذلك يقول أهل مكة: حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب، و السرو أمنا نكسب منهم القوت.

يقال: إن معامله يوازى مائتى قرية أو أكثر، و من جملة القرى المائتين المسلم

تاريخ المستبصر، ص: ۳۹

و عقدة و الفرع و حدا و الراهن و سعموم و نزيف، و بها وقعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب مع الأفعى فقتله.

و به جبل إبراهيم الخليل، عليه السلام، و منهور و الفروات و الشعبين و اللقاع و حرف و الرجعين و هى قرى جماعة، و بهذه الأعمال كانت وقعة بنى تميم و بكر ابن وائل و فى حرب منها هلك لقيط بن زرارة أخو حاجب بن زرارة و حسن.

و إلى الفرداء ستة فراسخ، و الى الملحاء ستة فراسخ، و هو جبل عظيم و اللّه أعلم.

ذكر جبل الملحاء

حدثنى أبو على أحمد بن محمد بن آدم اليزنى قال: لما ملك تبع جزيرة اليمن و أرض حضرموت و بلاد الأحقاف و الحجاز و أراد أن يخرج إلى ناحية العراق فجاء إلى هذا الجبل و أراد أن يحفر فيه سربا عظيما فجهز تحت الأرض مسيرة ثلاثة فراسخ أو أكثر من ذلك مستفلا منحدرا، فلما حفر هذا القدر أمر أن يحفر فى أواخر السرب بلدا عظيما، و الأصح سوقا عظيما، بدكاكين متقابلة مصطفة على خيط واحد ما مقداره ألف دكان و نقر من وراء الدكاكين الدور و الأملاك.

فلما تم عمله ملأ كل دكان من الدكاكين صنفا من الأمتعة و الأطعمة و من الحوائج و العقاقير و ما يحتاج إليه من ثقيل و خفيف ذخيرة له، و حفر فى وسط السوق بئرا واسعا عميقا[۱۶] فى الطول و العرض، و جمع جميع الأموال التى كانت معه

تاريخ المستبصر، ص: ۴۰

و كنزها فى البئر و جعل الذهب بيان لأنه قد نصب على خرزة البئر عودا معرضا و فيه طلسم إذا أنزل إنسان رجله على العود المعارض دار العود، و فى العود سيف مصنوع قاطع يضرب الإنسان نصفين يرميه فى البئر.

قال ابن المجاور: و ما أظن السيف أصله إلا من الصاعقة التى ضربها يافث بن نوح، عليه السلام.

ذكر سيوف الصواعق

اشارة

حدثنى عيسى بن أبى البركات بن مظفر البغدادى قال: أما سيوف الصواعق فثلاثة، و قيل: سبعة، و قال آخرون: بل أربعة عشر سيفا، ضربت فى أيام يافث بن نوح، عليه السلام، و ذلك أنه لما مات نوح، عليه السلام، وقع الخلف بين أولاده فى طلب الرئاسة فتفرقوا، فطلب يافث المغرب و بنى بها مدينة جابلقاه، و طلب أخوه حام المشرق و بنى بها مدينة جابرسا، و أما ما كان من أمر يافث فإنه جمع الأموال أموال الربع المسكون و عباها خزين و عمل عليها طلسما و ركب السيوف على الطلسمات، و بقيت الكنوز على حالها إلى أيام ذى القرنين، فحينئذ أبطل الخضر عمل الطلسمات و أخذ ذو القرنين تلك الكنوز.

قال ابن المجاور: و إحدى تلك السيوف فى جبل الملحاء فى البئر التى فيها الكنز الذى أودعه تبع.

و يقال: إنه يسبك من الصاعقة وزن حبة خردل على الفولاذ و يضرب منه سيف

تاريخ المستبصر، ص: ۴۱

لم يحمل لغمد بل يوضع فى جراب خزف، و قيل: إذا وقعت الصاعقة لم تسكن إلا إذا أفلت عليها الخل و إنها إذا وصلت الماء وقفت

و إذا لم يفلت الخل عليه فإنه يخرق تخوم الأرض، و الأصل فيه أنه عمود من حديد جهنم، نعوذ باللّه منها.

فصل: [(فى فنون السيوف)]

قال اللّه عز و جل: لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً[۱۷] قال بعضهم: الحقب أربعة آلاف سنة، و السنة أربعة عشر ألف شهر، و الشهر أربعة آلاف يوم، و اليوم أربعة آلاف ساعة، و الساعة مقدار سبعين ألف سنة من سنى الدنيا.

قال ابن سلام: مساكين أهلها، نسأل اللّه أن يعيذنا من شرها، و يؤخذ قياس نارها و حديدها من قياس أيامها و ساعاتها.

و يقال: إن السيوف المذكورة أربعة أصناف:

الصنعانى: يضرب فى صنعاء، متقدم قصير، لأنه سيف الرجالة، يقطع اليابس سوى الرطب، و علامته أن يكون فى وسطه مرازب، و يقال: مرازب واحد، و كثير ما توجد هذه السيوف فى جبال اليمن عند العرب.

و الكرمانى: قديم ضرب فى أيام دولة ملوك العجم بكرمان، و هو قضيب مادّ، ما بين القصير و الطويل، و أصل هذه السيوف من الفولاذ، و بلد هراة مخصوص به.

و قيل: بل كان عندهم معدن يستخرج منه الحديد، و غاية ما توجد هذه السيوف عند الأكراد الشارونية و البلوج و الكوشان و الأوغان و السرهدية من أعمال غزنة.

و الإفرنجى: سيف طويل ماد بالمرة و ما يطولونه إلا لأجل الفرسان، و أصله من

تاريخ المستبصر، ص: ۴۲

تكاسير نعال الخيل و يسقى من نداوة زرع بلادهم، لين بالمرة و يقطع فى اللين دون اليابس و لربما قطع اللحم فى البدن و سلم العظم، و غاية ما تجلب هذه السيوف المعروفة عندهم فى علب الخشب، و علامته أن يكون به كف إنسان فهو الجيد، و يقال: إن الذى نقش على سيوفه ذلك ضرب أربعمائة سيف لم يضرب مثلها فى الربع المسكون.

فلما رأى ملك الروم هذه الصنعة الشريفة أمر بقطع يده اليمنى، فلما فعل به ذلك ارتحل من المدينة التى كان يسكنها و نزل بمدينة أخرى فضرب بيده اليسرى أربعمائة سيف آخر و نقش عليها الكفوف، فما جرب سيف من تلك السيوف إلا تراه و هو حديد أبيض و فى وسطه مرازب.

و الهندى: أصناف شتى، فمن جملتها الباخرى، يضرب فى السند و أصله من حديد و فولاذ هراة و علامته أخضر اللون كأنه السلق، و شىء منه أحمر يشبه لون النار يرفع الدرهم و يبرى مرسغ الجمل، و صنف يأتى من الروهينيا يضرب فى بعض الأقاليم يتلوى و هو قضيب ماد فيه جوهر شبه الغبار و هو ما بين ذلك قواما، و الصنف الثالث فيه أهلة يضرب فى خور فوفل و يقال: بحار يديها سيوف طوال عراض بالمرة ذات جوهر عال لا غليظ و لا دقيق إلا وسط و هو يقطع فى اللين لا غير، و منه فلالك الشاهى يضرب فى الكوز، و يقال فى مرهب سيوف طوال عراض بالمرة، الواحد خفيف مرهف و علامته أن يكون جوهره أربع أصابع و هو غليظ خشن كخشونة خضرة الكراث اول ما ينبت قد اشتبك بعضه فى بعض شبه ثعابين ملتفين، و أربع اصابع منه شبه جمع الذر[۱۸] على الشىء حلو، و يبان الجوهر فى

تاريخ المستبصر، ص: ۴۳

أرض السيف شبه فضة شبكت مع الحديد، يبان جوهره أبيض صاف و الأرض منه زرقاء سماوى.

و يقال: إنه أهدى إلى الملك قطب الدين أيبك الأبثل من هذه السيوف سبعين بندا إلى سبعين سلسلة.

و يرى فيها مائية و نداوة شبه ماء الزلال، إذا رفعته انحدر و إذا حططته صعد، يابس يقطع فيما يرطب، و به يضرب أعناق الجواميس قدّام البيوت فى يوم عيد لهم، و خاصيته إذا معص فؤاد إنسان يغسل سيفا من هذه السيوف و يشرب ماءه يزول عنه ما يشتكى من

المعص.

و أما السيوف فى العالم فكثيرة الأصناف و تضرب فى كل بلد و إقليم إلا هذه الأربعة الأصناف الذين ارتفعوا دون غيرهم و عرفوا من بين جنسهم و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات[۱۹].

و لنرجع إلى الحديث الأول [(اى: جبل الملحاء ثانيا)]

فصار أهل هـذا الزمان يدخلون كبب غزل الوبر و يصـطحبون معهم سـراجا و مقدحة و خطافا و فتل وبر يشد خيط الوبر فى رأس باب الغار، و كلما مشى أحدهم نشر الغزل و الخطاف، فإذا وصلوا الى الدكاكين رأوا فيها من جميع الأمتعة و الأقمشة و قد تهرت من طول المدى و الحديد قد علاه الصدأ، و الصفر قد تزنجر، فيأخذ جميع ما يرى له فيه رمق، و يجد بعض القوم ذهبا و فضة و دراهم.

تاريخ المستبصر، ص: ۴۴

و إذا رجع القوم لا يزالون يكببون غزل الوبر و هم راجعون إلى فم السرب، فذلك العمل دأب القوم.

و يقال: إن بها ثلاث طرق إحداها تنفذ إلى سوق عكاظ، و الثانية إلى جبل الملحاء، و الثالثة تنفذ إلى برية فيد، و هى أقربهن مسافة.

حـدثنى أبو على بن آدم اليزنى قـال: كثير من الرعـاة ممن يحمـل الـذئب على غنمه فيقوم الراعى يطـارد الـذئب يريـد يقتله فيقع على المطلب، و هو طريق تنفذ إلى وسط البئر التى تقدم ذكرها، و طريق وسـطى و هى التى بجبل الملحاء، و البعيدة التى تلى سوق عكاظ، و المكان الى الآن باق ينزله من أراد على ما تقدم ذكره.

و إلى أبيـدة فرسخ و هى قرية حصـينة فى واد نزه، و إلى العقيق سـتة فراسخ، و هو بلد يدبغ فيه الأدم و منه يجلب القرض إلى مكة، و بها الأمير أبو الحسن بن المعلم يقول:

قل يا رفيق .. المستهام .. متى يفيق المستهام

هذى المنازل و العقيق فأين ليلى و الخيام؟

و قال أيضا:

قف بالخيام المشرفات على الحماو امزج دموعك فى مغانيها دما

و إذا مررت على العذيب فقل لهل شربة تروى الصدى من الظما

إنى ندمت على الذين ترحلوايوم الغوير و حق لى أن أندما

فوددت لو سمحوا علىّ بعودةيبرا بها الطرف القريح من العما

يا عين لا يذهب بناظرك العمافلربما دنت الديار و ربما

إن بات جسمى فى سهام فإن لىقلبًا يتيمّا بالعقيق متيما

تاريخ المستبصر، ص: ۴۵

و إلى تبالـة ثمان فراسـخ، و إلى الجبل ثمان فراسـخ، و هو جبل بنى بـدر و جميع من بها يهود، و الحصن حصن مكين فى طرف جبل عال، و اللّه أعلم.

ذكر نهر السبت

اشارة

قالت أهل الذمة: إنه فى أرض التيه، و حدثنى يهودى صائغ بعدن قال: إن نهر السبت فى أرض يقال لها: صيون و الأصح أنه فى الحجاز ظهر، و هو نهر رمل سيال يجرى من ليلة الجمعة إلى غداة يوم السبت لم يقدر الإنسان يعبره من شدة جريانه فى ذلك اليوم و يسكن باقى الأسبوع، و وراء هذا النهر من اليهود مائة ألف ألف رجل و امرأة و هم زائدون على العدّ خارجون عن الحد، و القوم عرب يعقدون القاف الألف فى لغتهم، و فى جملة القوم أولاد موسى بن عمران عليه السلام، و يقال: إنما حصلوا هؤلاء اليهود فى هذه الأرض و الأعمال إلا من غزوة بختنصر البابلى لليهود بأرض الشام و ديار مصر و الأصح لإظهار اللّه عز و جل محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم فخرجوا هاربين من خيبر و وادى القرى و سكنوا هذه الأراضى، و إلى الآن إذا تاه بعض الحجاج بطريق مكة و وصل إلى القوم فبعضهم يقتله و آخرون يقبلونه و يردونه على أحسن حال.

فصل: [(مسالة شرعية)]

مما ذكره الإمام أبو عبد اللّه محمد بن عمر بن الحسن الرازى فى كتاب معرفة الأديان: مسألة شرعية، قال:

إن لليهود يوما إذا عمل فيه إنسان شغلا حل دمه، فإن لم يعمل فيه الشغل حل دمه، قلنا: و ما ذاك؟ قال: إذا ولد لليهودى طفل ففى سابع يوم الطفل يطهر- أى

تاريخ المستبصر، ص: ۴۶

يختن- فإذا اتفق سابع الطفل يوم السبت وختن الطفل حل دمه لكسر سنته، و إن لم يختن حل سفك دم والده لمخالفة والده الشرع، و ذلك شرعهم لأنه قال بترك الأوامر.

فصل: [(قول بعض النصارى فى الاسلام)]

قال بعض النصارى: إن الإسلام عجيب! قلت: و ما رأيت من العجب؟

قال: إن تنصر الإنسان حل قتله يعنى لامتناعه[۲۰] فى دخول الدين الحنيفى و إن أسلم قطع- أى ختن- فجريان الدم فى الحالتين حاصل، و كذلك اليهودى قتله فى الحالتين حاصل على الخبر الأول، و اللّه أعلم.

ذكر شهور اليهود

قمرية و أوسط المسير تشرى و مرحشون و كسليو و طيبث و شفط و آذار و نيسن و إير و سيون و تمّز و أوب و إيلل[۲۱]، و يعمل على هذه الشهور جميع يهود الربع المسكون.

ما الفسح؟ فى أعياد اليهود خرج فيه بنو إسرائيل من مصر هاربين من بعد

تاريخ المستبصر، ص: ۴۷

أن تخلصوا من العبودية و قربوا القرابين كما مثّل لهم، و هى سبعة أيام تسمى الفطير لا يجوز لهم أكل اللحم و لا إمساكه فى الرحل، و فى اليوم الآخر منها غرق فرعون فى بحر سوف، و هو القلزم و يعرف هذا اليوم بالكبس[۲۲].

ما العنصرة؟ هو السادس من سيون يسمى عشر مشتق من الاجتماع و هو حج من الخجوج لإدراك الغلال.

ما الكفور؟ هو اليوم العاشر من تشرى و هذا ربما يسمى العاشوراء، و أما الكفور فهو من تكفير الذنوب، و هذا اليوم فقط هو الذى فرض على اليهود صومه و القتل على من لا- يصومه، و مدة الصوم خمس و عشرون ساعة يبتدى بها قبل غروب الشمس فى اليوم التاسع و يختم بمضى ساعة بعد غروبها فى اليوم العاشر، و لا- يجوز أن يقع الكفور فى يوم الأحد و لا- فى يوم الثلاثاء أو فى يوم

الجمعة.

ما المظلة؟ هى بلغتهم مصلى و هى سبعة أيام، أولها الخامس عشر من تشرى، و كلها أعياد يجلسون فيها تحت الظلال من الأغصان و الخلاف و العنب و الزيتون، و قد أمروا أن يسكنوا فيها تذكارا لإظلال اللّه إياهم فى أرض التيه بالغمام.

ما العربا؟ تفسيره ما الخلاف؟ و هو آخر عيد المصلى أعنى بذلك الحادى و العشرين من تشرى، و هو أيضا حج لهم.

ما التبريك؟ هو عيد مشتق من البركة، و هو بعد عرابا بيومين.

ما الحنكة؟ هو عيد مشتق الاسم من التنظيف، و هو ثمانية أيام، أولها الخامس و العشرين من كسليو، يسرجون فيها على أبواب دورهم فى الليلة الأولى سراجا

تاريخ المستبصر، ص: ۴۸

واحدا، و فى الثانية اثنين، إلى أن تتم الثمانية الأيام ثمانية سرج، و ذلك تذكار لهم من أصغر ثمانية إخوة قتل بعض ملوك اليونان، فإنه كان قد تغلب عليهم، كان يفترع من عذاريهم و يطوف ببيت المقدس على بغلة.

ما البورى؟ هو اسم مشق من الاقتراع و الفأل، و هو الرابع و العشرين من آذار يتلوه نيسن، و يعرف أيضا بعيد المجلة، أى مغلا، و سببه أن هيمون وزير احشويرش أى أبرويز بن أنوشروان كان يكايدهم أيام كانوا ببابل فدبر عليهم و استأذن فى صلبهم فانقلب الأمر عليه فى هذا اليوم فصلب، و لهذا يعملون تماثيل مصلوبة و يحرقونها و يفرحون بذلك، و لليهود فى شهره صيام و نوافل و أسبابها أمور حدثت فحرّمته و أوجبت الامتناع عن الطعام.

و كذلك إذا حاضت المرأة عندهم يسكنونها وحدها و تعزل لها آنية تأكل فيها و تشرب منها و لا يقربها أحد حتى تخرج من طمثها، أى حيضها، فإذا خرجت منه غدت إلى الحمام فغسلت و امتشطت و تجىء بعد ذلك إلى بيت بئر تسمى طومى.

قال ابن المجاور: و لهم ببغداد بئر تسمى بئر طومى فى محلة خرابة بين خرزة، و هو بئر مدرج، و قد عرض فى وسط البئر عود على خرزة البئر، و قد ضرب فى الخشبة سلسلة طويلة إلى أن يصل إلى آخر السلسلة ثم إلى قرار الماء، فتخلع المرأة ما عليها من الأثواب و تلزم السلسلة، و لا تزال تسقط فى الماء، أى تغوص، و تنبع إلى أن تقول لها امرأة من أعلى البئر: نظفت، أى تطهرت، فإذا سمعت المرأة ذلك علمت أنها طهرت من نجس الحيض، فحينئذ تلبس جميع ثيابها و جميع اليهوديات يلقينها حين تطهر المرأة.

تاريخ المستبصر، ص: ۴۹

و يقال فى الأمثال: شاور المسلمين، و نم عند النصارى، و تعشّ عند اليهود، و يقال: إن للمسلم فرجه، و للنصرانى ماله، و للمجوسى رئاسته، و لليهودى بطنه.

من الطائف إلى صعدة

اشارة

حدثنى محمد بن زنكل بن الحسين الكرمانى قال: إن من الطائف إلى المعدن أربع فراسخ، و إلى الران ثمان فراسخ، و إلى محرى ثمان فراسخ، و إلى الدروب أربع فراسخ، و إلى يافع ثمان فراسخ، و إلى عدا ثمان فراسخ، و إلى ران كيسه أربع فراسخ، و هو جبل ذو طول و عرض و عليه مجاز الخلق، و إلى صفى أربع فراسخ، و هو سوق يقوم يوم الجمعة، و إلى خفن أربع فراسخ، و إلى مدر أربع فراسخ، و إلى بلاد بنى قرن أربع فراسخ، و إلى بلاد بنى عبد الدار عشرون فرسخا، و إلى ذهبان سبع فراسخ.

صفة هذه الأعمال

و حدثنى الراوى قال: جميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض فى الكبر و الصغر كل قرية منها مقيمة بأهلها، كل فخذ من فخوذ العرب و بطن من بطون البدو فى قرية، و من جاورهم لا يشاركهم فى نزلها و سكنها أحد سواهم، و قد بنى فى كل قرية قصر من حجر و جص و كل من هؤلاء ساكن فى القرية له مخزن فى القصر يخزن فى المخزن جميع ما يكون له من حوزه و ملكه و ما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم، و يكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعه.

تاريخ المستبصر، ص: ۵۰

و يحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر و السن، ذو عقل و فطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه و لا يخالفه أحد فيما يشيره عليهم و يحكمه فيهم.

و جميع من فى هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان و لا يؤدون خراجا و لا يسلمون قطعة إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه، فلهذا لا يزال القتال دأبهم، و يتغلب بعضهم على مال بعض و يضرب قرابة زيد على أموال عمرو و هم طول الدهر على هذا الفن، و جميع زرعهم الحنطة و الشعير و شجرهم الكروم و الرمان و اللوز، و يوجد عندهم من جميع الفواكه و الخيرات و أكلهم السمن و العسل، و هم فى دعة اللّه و أمانه، و هم فخوذ يرجعون إلى قحطان و غيرهم من الأنساب.

و اما ذهبان

فهى أم القرى بلاد عز، و يقال: إن دور أعمالها أربعون فرسخا، و هى نجد اليمن، و الأصح أطراف أعمال نجد اليمن من شرقى تهامة، و هى قليلة الجبال مستوية البقاع.

و نجد اليمن غير نجد الحجاز، غير أن جنوب نجد الحجاز يتصل بشمال نجد اليمن.

و إلى بلاد قحطان أربع فراسخ، و إلى راحة بنى شريف فرسخان واد فيه وضعت مدينة البصرة و يسمى درب العقيق، و إلى صعدة عشرون فرسخا و هى مدينة ذات عمارة و أرض نزه و درب أمن.

تاريخ المستبصر، ص: ۵۱

قال ابن المجاور: و فى هذا الطريق من الأمم و البلاد و المدن و القرى ما لا يعد و لا يحصى و لا تحويه أقلام الدواوين، أى فى صنعة الحساب.

و شرب أهل البلاد من أنهر سائحة، و بعضهم يشرب من آبار ماؤها خفيف على الفؤاد ذات هضم ولذة.

من الطائف إلى مكة

اشارة

راجعا من الطائف إلى حدب الرنج فرسخان، و هو كهف جبل، و إلى الطود الأعظم ثلاث فراسخ جبل طويل و هو الذى يسمى الحجاز.

ذكر الحجاز

قال الأصمعى: سميت بذلك الحجاز لأنها احتجزت بالحرار الخمس، منها حرة بنى سليم و حرة و اقم، و يقال: احتجز الرجل بإزار أى شده على وسطه، و منه قيل: حجزة السراويل، و قول العامة حزّة خطأ.

و قال الخليل: لأنه فصل ما بين الغور و الشأم و بين البادية.

و قال الجوهرى: إنها حجزت بين نجد و الغور.

و قال أهل اليمن: مكة يمانية، و الدليل على برهانه قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم [وقد] وقف على المتكأ و قال: «هذا شأم و هذا يمن».

تاريخ المستبصر، ص: ۵۲

و قال أهل الطائف: مكة تهامية لأن ما بين نجد و تهامة جبل يسمى الطود الأعظم، فكل ما غرّب منه فهو تهامة، و ما شرّق منه فهو نجد.

و قال أهل العراق: مكة أرض الحجاز.

قال ابن المجاور: إن الطود الأعظم على هذا الوجه هو الحجاز بعينه لأنه حجز ما بين نجد و تهامة، و يقال: إنه جبل متصل إلى اليمن، و ديار العرب هى الحجاز التى تشتمل على مكة و المدينة و اليمامة و مخاليفها و نجد الحجاز المتصل بالبحرين، و ليس فى سائر الأقاليم أطيب منه لا أصح من جوه و هواه، كما قال:

اسكندرية دارىلو قر فيها قرارى

لكنّ ليلى بنجدو بالحجاز نهارى

و بادية الشأم و اليمن المشتملة على تهامة و نجد اليمن و عمان و مهرة و حضرموت و بلاد صنعاء و عدن و سائر مخاليف اليمن.

فما كان من حد السرين فهى تنتهى إلى ناحية يلملم حتى تنتهى إلى ظهر الطائف ممتدا إلى بحر اليمن إلى بحر فارس شرقّا من اليمن فيكون ذلك نحو من ثلثى بلاد العرب، و ما كان من السرين على بحر فارس إلى قرب مدين راجعا إلى حد الشرق على هجر إلى جبل طيئ ممتدا على ظهر اليمامة إلى بحر فارس من الحجاز و مدين.

و ما كان من حد اليمامة إلى قرب المدينة راجعا على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين إلى البحر فمن نجد.

تاريخ المستبصر، ص: ۵۳

و ما كان من عبادان إلى الأنبار و نواحيها لنجد و الحجاز على طيئ و أسد و تميم و سائر قبائل مضر بادية العراق.

و ما كان من حد الأنبار إلى بالس و نواحيها لبادية الشأم على أرض تسمى بريهٔ حسان إلى قرب وادى القرى و الحجر من بادية الجزيرة.

و ما كان من بالس إلى أيلة موجها للحجاز على بحر فارس إلى ناحية مدين معارضا لأرض تبوك حتى يتصل بديار طيئ من بادية الشأم.

و على أن من العلماء من يقسم هذه الديار و زعم أن المدينة من نجد لقربها منها و أن مكة من تهامة اليمن لقربها منها.

من مكة إلى جدة

اشارة

من مكة إلى عين أبى سليمان فرسخ، و هى عين جارية و قد غرس عليها نخل و شجر السدر، و إلى مقتلة الكلاب فرسخ، و كان السبب فيه أن لرجل من الأعراب كلبّا فحمل الكلب على رجل من أهل الحلة فنيبه و عوره فقتل المنيوب الكلب، فجمع صاحب الكلب بنى عمه و جمع المنيوب أهله و قامت الحرب بين الفريقين، و ما زالوا على قتالهم إلى أن قتل الجميع فعرف المكان بمقتلة الكلاب.

و إلى الركابية فرسخ، و هى بئر حول جبلين على يسار الدرب تسمى رشان، و فيه بعض الأعراب يقول:

أيا جبلى رشان باللّه خبّرامتى جازكم بدر الحجاز معرّضا

تاريخ المستبصر، ص: ۵۴

و إلى حدة فرسخ، و كانت أرضا مودعة لبنى البدرية فباعوها فاشتراها منهم سليمان بن على بن عبد اللّه بن موسى و استخرج العين، و قيل: كانت العين على حالها فبقيت فى أيدى القوم مدة زمان يستعملونها فى إدراك الغلال، فاشتراها منهم الشريف الحسين بن ثابت السديدى و غرس فى جميع البلاد نخلا مقدار عشرين الف نخلة و القوم ملاكها إلى سنة اثنتين و عشرين و ستمائة.

و فى هذا التأريخ ملك الأمير طنبغا الملك الكامل ولاية الحجاز و ملك نخل الأشراف مستهلكا لها و أخذ هذا النخل فى جملة ما أخذه، و النخل رجع الآن سلطانى.

و يقال: إنما عرف حدة بهذا الاسم لأنه آخر حدود وادى نخلة و الأصح أنه من وادى الصفراء إلى القرين فرسخ، بناية الأمير هاشم، و كان يوقف فى الموضع رتبة خيل يجيرون القوافل فى الطرق و كان لهم على كل جمل دينار علوية، و هو حصن صغير مربع مبنى على أكمة بالحجر و الجص، و قد بنى على دوره ثلاثة عشر برجا صغارا تحتها بئر طيبة الماء عذبة، و إذا قل الماء فى حدة فمنها يستقى الماء أهل حدة.

و يقال: إنما سمى القرين قرينا إلا لأنه أقرن نصف الطريق ما بين مكة وجدة، و يقال: أقرن ببنائه العدل و الأمن.

و إلى كتانة فرسخ، يقال: إن اللّه عز و جل أهلك الحبشة الواردين بالفيل من صنعاء بهذا المكان.

تاريخ المستبصر، ص: ۵۵

و إلى الثديين ميل و هو بين جبال عوال آخر الوطأة و أول الأودية و قد كان قصرا بنى بالجص و الحجر و الآن خراب.

و إلى وادى السدرة فرسخ و هى شجرة سدر صغيرة على أيمن المحجة و منها رجع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و كل من يجوز الوادى يأخذ من أوراقها لأجل البركة و لم تبرح السدرة على حالها لم ينقص منها شىء إلى الآن.

و إلى الغار نصف فرسخ، و إلى الفج الأخضر نصف فرسخ، و إلى الفرع نصف فرسخ، و إلى مثوب نصف فرسخ، و إلى أبو[۲۳] الرحم ميل و هو جبل صغير على أيسر الدرب، و إلى النهود ميل و هم اثنا عشر جبلا متفرقين شبه النهود، و إلى المينة نصف فرسخ، و تسمى الحديبية، و يقال: إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم وصل إلى هذا فصار كلما سار تبعد عليه الطريق فرجع منها و قال: ما أبعدك لا قربك اللّه، و الموضع سبخة طويلة فى أرض وطيئة مثل الكف، و إلى جدة نصف فرسخ.

بناء جدة

حدثنى موسى بن مسعود النساج الشيرازى قال: لما أسلم سلمان الفارسى، رضى اللّه عنه، تسامعت أهلوه بالخبر فقصدوه و أسلموا على يد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و سكنوا جدة لأنهم كانوا تجارا.

و قال بعضهم: بل هى بناء خسرو بن فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن بهرام.

تاريخ المستبصر، ص: ۵۶

و مما ذكره أبو عبد اللّه محمد بن إسحاق بن عباس فى كتاب الفاكهى قال:

أول من اتخذ جدة ساحلا عثمان بن عفان و كان قبل ذلك بموضع يسمى الشعيبة.

قال ابن المجاور: و الشعيبة هو خور عظيم و مرسى قديم مقابل وادى المحرم، لا شك أنه كان قبل جدة لأن ما فى تلك النواحى مرسى أدنى منه و لا آمن عاقبة.

قالت العجم: فلما خربت سيراف انتقلت أهل سيراف إلى سائر سواحل البحر [كما تقدم ذكره] فوصل قوم منهم و فيهم اثنان: أحدهما

يسمى سيار و الثانى مياس فسكنوا جدة و أداروا على البلد سورا من الحجر الصم بالجص، فلما ابتدأوا فى المقام بها بنوا هذا السور و جعلوا عرض الحائط عشرة أشبار فبقى السور على حاله حتى تمكنوا من المقام فبنوا على وجه السور سورا ثانيا من الحجر الكاشور منقوش، أى منحوت مربع، بالجص و جعلوا عرض الحائط خمسة أشبار فصار عرض الحائطين الملتزقين بعضهما إلى بعض خمسة عشر شبرا.

و ركب عليه أربعة أبواب: باب الرومة و باب المدبغة، و كان عليه حجر حفر فيه طلسم إذا سرق فى البلد سارق وجد بالغداة اسم السارق مكتوبا فى الحجر، و باب مكة، و باب الفرضة مما يلى البحر، و حفر حوله خندق عظيم فى الوسع و العمق، فكان يدور ماء البحر حول البلد و يرجع ما فضل منه إلى البحر، و البلد يصير شبه جزيرة[۲۴] فى وسط لجج البحر.

تاريخ المستبصر، ص: ۵۷

فلما حصن الفرس البلد غاية التحصين خاف القوم من ضيعة الماء فبنوا ثمانية و ستين صهريجا داخل البلد و بنوا ظاهر البلد مثلها، و الأصح أنه بنى بباطن البلد خمسمائة صهريج و بظاهر البلد مثلها، و اللّه أعلم.

[صورة جدة]

و صورتها على هذا الوضع و الترتيب:

تاريخ المستبصر، ص: ۵۸

ذكر بعض الصهاريج

ابو الطين عامر و المريابنى و الحفيرة و النخيلات و صهريج أبى بكر و الحجرى و الصرحى و صهريج السدرة و الحوار و الفرحى و صهريج يحيى الشريف و الودية و المبادر و صهريج البيضة و البركة و صهريج أم ضرار و صهريج بركات و صهريج سليمان العطار و الطولانى و العرضانى، فكان إذا وقع الغيث و امتلأت منه الصهاريج التى بظاهر البلد كانت العبيد تنقل ماء الصهاريج على الدواب فتقلبه فى الصهاريج التى عندهم فى الدور، و كذلك صهريج الأخميمى و صهريج مسجد الأبنوس و صهريج الجامع و صهريج ردرية و صهريج محمد بن القاسم، و كان يبقى الماء عندهم من العام إلى العام و هم فى أكل و شرب و غسل و هزل وجد و هرج و مرج.

ذكر خراب جدة

أنفذ صاحب مكة إلى شيخ التجار بجدة و طلب منه حملا حديدا، فقال الشيخ للغلام و هو واقف عنده: أعطه حملا حديدا، فجاء الغلام فأعطى الرسول حملا حديدا، فلما فتح الحمل الحديد قدام الأمير بمكة وجده قضبان ذهب، فرد الرسول راجعا و قال: قل للشيخ يتفضل و ينعم و ينفذ إلىّ بحمل ثان من حديد هذا العين.

فلما علم التاجر بقصة الحال نادى الغلام و قال له: ما أعطيت الرجل؟ قال:

حمل حديد أصفر من طول الخبا و قد علاه الصدى من طول المدى، فتحقق

تاريخ المستبصر، ص: ۵۹

الشيخ عند ذلك أن الحمل كان قضبان ذهب و عرف أنه قد طمع فيهم، فقصد الشيخ إلى شيخ كبير كان عندهم فى السن فشاوره فى أمره و ما يصنع، فقال له الشيخ: الذى عندى أنكم قوم موسرون فخذوا جميع ما تحتاجون إليه و يركب كلّ مركبه و ينطلق فى هذا البحر الواسع، و أى موضع أعجب الرجل منكم نزله و سكنه بعد أن تخلوا البلد كجوف حمار أو كرأس ليس فيه خمار، فعند ذلك عبوا أمتعتهم فى المراكب و رفع كلّ قلعه و دخلوا البحر و ذلك فى سنة ثلاث و سبعين و أربعمائة.

و يقال فى رواية أخرى: إن العرب جاءوا و حاصروا القوم فلما قل عليهم الماء ركبوا مراكبهم و عدوا فى البحر فسكن قوم منهم السرين و الراحة و عثر و الجرعة و الدرعة و دهلك و بيلول وجدة من جزيرة فرسان و المخاء و غلافقة و الأهواب و الثميد و جزيرة ذهبان و كسران و بندر موسى و باب موسى.

فلما خلت الأرض من الأحباب ملكها الأعراب فى دولة الأمير داود بن هاشم.

قال ابن المجاور: و رأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى: ما استفتح جدة من الفرس إلا مضر بن هاشم، و الأصح شكر بن أبى الفتوح، و من عهدهم خربت و اندرست و بقيت الآثار خاوية على عروشها كما قال الشاعر:

لا بلّغ اللّه نفسى فيك منيتهاإن كان بعدك بعد الدار غيّرنى

جعلت دمعى على ذكراك محتسّباو الدمع عنوان ما يخفى من الحزن

و أقسمت مقلتى ما لا تظن بهفالذكر يجرى و يجرى الدمع فى سننى

و قائل لى قد بانوا فقلت لهقد فرّق اللّه بين الجفن و الوسن

تاريخ المستبصر، ص: ۶۰

و لأبى بكر أحمد العبدى:

يا راقد الليل بالإسكندريةلى‌من يسهر الليل وجدا ثم أسهره

ألاحظ النجم تذكارا لرؤيتهو إن جرى دمع أجفانى تذكّره

و أنظر البدر مرتاحا لرؤيتهلعل عين الذى أهواه تنظره

و قال ابن الدمينة:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجدلقد زادنى مسراك وجدا على وجدى

لئن هتفت ورقاء فى رونق الضحىعلى فننى غصن من البان و الرند

بكيت كما يبكى الوليد و لم يكن‌جليدا و أبديت الذى لم يكن يبدى

و قد زعموا أن المحب إذا دنايمل و أن النأى يشفى من البعد

بكلّ تداوينا فلم يشف ما بناعلى أن قرب الدار خير من البعد

و قال آخر:

ليالينا بذى الأثلاث عودىلتورق فى ربا الأثلاث عودى

فإن حديثكم فى القلب أحلىو أطيب نغمة من صوت عود

ذكر فضيلة جدة

مما ذكره أبو عبد اللّه بن محمد بن إسحاق بن عباس فى كتاب الفاكهى قال: حدثنا محمد بن على الصائغ، قال: حدثنا خليل بن رجاء قال: حدثنا مسلم ابن يونس، قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن ضوء بن فخر قال:

كنت جالسّا مع عباد بن كثير فى المسجد الحرام فقلت له: الحمد للّه الذى

تاريخ المستبصر، ص: ۶۱

جعلنا فى أفضل المجالس و أشرفها، فقال: أنت فى جدة الصلاة فيها بتسعة عشر ألف صلاة و الدرهم فيها بمائة ألف و أعمالها بقدر ذلك يغفر اللّه للناظر فيها مد بصره.

قال ابن المجاور: و ما أظن هذه البركة إلا من جهة أم البشر حوّى صلوات اللّه عليها لأنها مدفونة بظاهر جدة.

و كان الفرس قد بنوا عليها ضريحا بالآجر و الجص محكما بقى إلى سنة إحدى و عشرين و ستمائة فعند هذا التأريخ تهدم و ارتدم بعضها على بعض و لم يعد بناءه، و رأيته عامرا قائما، و قد رأيته خرابا و قد ارتدم بعضه على بعض، و هو موضع مبارك مستجاب فيه الدعوة.

ذكر أخذ الجزية من المغاربة

اشارة

حدثنى إسماعيل بن عبد السيد بن البيع البغدادى قال: إن الأمير على بن فليتة ابن قاسم بن محمد بن جعفر بن أبى هاشم كان يأخذ من المغاربة جزية فى جدة إذا قدموا للحج، كان يأخذ من كل رأس سبعة يوسفية وزن كل يوسفى ثلاثة عشر قيراطا و حبة بوزن مكة، و كان القواد يوزنون المغاربة أيضا على كل رأس يوسفى فى دية الكلب.

و الموجب لذلك أنه جاء فى جدة كلب فأخذ رغيف خبز فالتامت المغاربة فقتلوه فقامت القواد ليقتلوا المغاربة، فلما رأت المغاربة عين الهلاك أقروا على

تاريخ المستبصر، ص: ۶۲

أنفسهم أن يزن كل واحد منهم يوسفى فى دية الكلب، فتقرر ذلك عليهم فكانوا يزنون للأمير سبعة يوسفية و يوسفى للقواد و صار المبلغ ثمانية يوسفية على كل رأس.

و من لم يزن كانوا يأخذونه و يدلونه فى صهريج من صهاريج جدة، و الأصح فى صهريج مسجد الأبنوس، و يقال: إنهم كانوا يصيرونهم إلى جزيرة صندلة، و قيل: إلى جزيرة أبى سعيد و يعلقون أحدهم بحقوه و قد عرش بها أخشاب لهذا الفن.

فإذا حج الناس و قضوا مناسكهم و أفاض كلّ راجعا إلى مقصده فحينئذ يخرجون المغاربة من الصهاريج و الجور و قسطوهم على المراكب الراجعة إلى مصر و الراجعة إلى عيذاب و القلزم.

فصل: [(فى ذلك ايضا)]

سئل قائد من القواد: لم تأخذون منهم هذا اليوسفى و هم أشد الناس بخلا و أنزق الناس فى الخلق؟ قال: لقول الشاعر:

و خذ القليل من البخيل و ذمهإن القليل من البخيل كثير

قال الحسن بن محمد بن الحوت: ليس هو كذلك و إنما كان يزن أحدهم سبعة يوسفية و نصف كل يوسفى ستة و عشرون قيراطا و حبتين بوزن مكة، و فى دية الكلب نصف يوسفى فصار المبلغ ثمانية يعقوبية، أسس ذلك فى دولة الأمير عيسى ابن فليتة و بقى يحيى على حاله إلى أواخر دولة الأمير مكثر، فلما كثرت الأقاويل و وصل هذا الخبر إلى مسامع العالم أنفذ صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب إلى الأمير مكثر بأربعة آلاف أردب حنطة، و الأصح ستة آلاف أردب، إلى جدة و إلى مكة و قال له: خذ هذا القدر و اترك عن المغاربة الجزية مع دية الكلب، فأزال الأمير

تاريخ المستبصر، ص: ۶۳

مكثر ذلك كله فى سنة ست و ثمانين و خمسمائة، و بقى الأمر على حاله فى أيام الأمير قتادة بن إدريس بن مطاعم بن عبد الكريم و أراد ان يرد الشيء إلى أصله، يعنى أخذ الجزية من المغاربة فأدركه الموت و ارتفع عنهم.

حدثنى أبو الربيع سليمان بن الربيع الطرابلسى قال: و كان ملوك الفاطميين يوزنون، المغاربة جزية على كل رأس دينارين و قيراطين.

فصل: [(ما راى فى المنام)]

قال ابن المجاور: رأيت فى المنام ليلة الثلاثاء ثالث عشر ذى القعدة سنة أربع و عشرين و ستمائة كأنى حدثنى الأمير ناصر الدين فاروت والى عدن، و فى هذا التأريخ تولى إمرة الحاج إضافة إلى ولايته الأولى، و كان الحاج قد رجع من مكة إلى اليمن، و كأنه يقول: كل من حج و رجع إلى الهند يوزنه عبد الغفور بن أحمد ابن محمد بن محمد الصناديقى البصرى جزية عن كل رأس اثنين و تسعين قلى، و لو أن الحاج عقّال لما سافروا إلى الهند إلا فى مركبى حتى كنت أعطيهم مقرعتى فيأمن القوم من شر عبد الغفور فى أخذ الجزية منهم، و بنو مهدى ولاة زبيد ما كانوا يستحلون أخذ المكوسات من أحد ما خلا الحاج، و إنهم كانوا يأخذون منهم مقام الدرهم ثلاثة دراهم.

ذكر الجار

اشارة

و هو مرسىّ قريب من جدة ترسى فيه المراكب الواردة من الديار المصرية و هو بحر أسود جيفه و موج هائل تبطل فيه حيلة السابح.

فصل: [(حكاية)]

سمعت من ألفاظ جماعة بمكة و غيرها أنه وقع من يد بعض السراملة

تاريخ المستبصر، ص: ۶۴

قدوم بهذا المكان فشد فى وسطه جراب و نزل ليأخذ الفاس فلما غور فى النزول سمع هاتفًا يقول له: إلى أين أنت نازل يا عبد اللّه؟ فقال: نزلت لآخذ ما انفلت من يدى، فرد عليه الهاتف: انفلت من مركب بهذا المكان أنجر فهو فى النزول إلى قيام الساعة، و اللّه أعلم و أحكم.

ذكر جزر مطارد الخيل

يقال إنه فى قديم العهد لم يكن هذا بحرا و إنما كان عرصة إلا- أنه لا فرق بين بر العرب و بر السودان، فلأجل ذلك أن السودان كانت تملك إقليم اليمن جميعا دائما فى زمن الجاهلية و الإسلام، و لما كثر الماء فى البحر و ظهرت صعوبته من قريب صاروا يعدونه فى المراكب، فلما غرّق البحر هذه الأراضى و كل موضع كان عاليا رجع جزيرة فى البحر يقال لها جزر المطارد، أى مطارد الخيل، و يقال: ان العرب فى قديم الزمان كانوا يطاردون الخيل فى قعر هذا البحر لما كان ناشفًا، و يقال: مرابط الخيل بهذه الأمكنة و العلف و الشجر موجود.

صفة جدة

هى مدينة صغيرة على ساحل البحر و هى فرضة مكة، و ليس يمكن بها السكون لازدحام الخلق بها فى أيام الموسم الحاج لأنه يلتام إليها من جميع أطراف بلاد العالم و الربع المسكون و البحر المعمور من ديار مصر و المغرب و الهند و اليمن، و إذا قل الماء على أهلها نقلوه من القرين من نصف الطريق ما بين مكة وجدة،

تاريخ المستبصر، ص: ۶۵

و أهلها من نسل العجم و بناؤهم من الحجر الكاشور و خوص و كلها خانات، و الخان المعروف بها خان البصر، و هما خانان متقابلان بمخازن كبار، و يقال: إنه بنى بظاهرها الأمير شمس الدين طنبغا خان كبير عظيم سنة ثلاث و عشرين و ستمائة، و كل من بنى بها بيت خوص يزن للسلطان فى كل بيت فى السنة ثلاثة دراهم ملكية، و أما الدور التى هى بالحجر و الجص فليس عليها شىء لأنها ملك لأصحابها و فى تصرف أربابها.

و يقال: إنما سميت جدة جدة لأنها دفن بها أم البشر حوّى، عليها السلام، فهى جدة جميع العالم، فلما بنى هذا البلد عرف باسم جدة، أى حوى زوج أبى البشر عليه السلام.

و يقال: إنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة البحار و الأنهار من أقطارها و أرجائها فصارت بلاد العرب جزيرة من جزائر العرب.

و من مكة إلى المحالب

اشارة

من مكة إلى القرين فرسخ، بناه الأمير هاشم، و إلى البيضاء فرسخين [كذا] و إلى ايدام ثلاثة فراسخ، بئر حفره أمير المؤمنين على بن طالب وجدده القائد الحسين بن سلامة.

و إلى وادى المحرم ثلاثة فراسخ و منه يحرم حاج اليمن، و إلى فرع خمس فراسخ، أرض بنى شعبة، ليس يلبس نساؤهم إلا الأدم، و ذلك أن المرأة تأخذ طاقين من الأدم تخيط بعضه إلى بعض و تقور فيه قوارة و تكتسيه، فإذا مشت بان جميع

تاريخ المستبصر، ص: ۶۶

بدنها من فوق و من تحت، و إذا رأى غريب المرأة على ذلك الزى يقول لها: استترى فيقول له زوجها: اكسها، و إن كانت امرأة عريانة و هى لابسة فيقول له زوجها:

اكسها، فإن كساها و إلا قتله لأنهم يقولون: من ستر غيّر.

و لم يكن فى جميع العالم أضل من هؤلاء القوم و لا أسرف و لا أجرم و لا أخسر منهم فى أخذ مال الحاج لأنهم يسمون الحاج جفنة اللّه، فإذا قيل لهم فى ذلك يقولون: إذا حضر جفنة اللّه لخلقه أكل منه الصادر و الوارد.

و إذا قلت لأحدهم: قطع اللّه رزقك من الحرام! يقول: لا، بل قطع اللّه رزقك من الحلال، ما ترى عندنا من الخير سوى هذه الجبال السود لا لنا زرع و لا ضرع و لا أخذ و لا عطا، و جميع ما تعملونه أنتم مع حاج آخر جاء مقابل الكعبة من الفضائح و الغنائم فسلطنا اللّه عليكم حتى نستقضى للحاج منكم الحق و ثلث الباطل، و لذلك تقول العجم فى أشعارها:

از سيم قوافل انه بل آيدنه رباطى‌زيرا كه همه توشه حجاج ربايند

و إلى السرين ثلاث فراسخ، بناية الفرس على ساحل البحر، و إلى وادى الأثلاث ثلاث فراسخ، و إلى حصارة خمس فراسخ، و إلى حلى سبع فراسخ، بلد فيه جامع و منارة، و أول من أخربها غازى بن متكلان من بنى حارث الكردى فى أيام دولة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، و بقى المكان على حال إلى أن أعاد بناءه موسى ابن على بن عطية، و هو إلى الآن مالكها، و جميع هذه الأعمال

لبنى كنانة، و إنما اشتق اسم حلى من الحلى الذى جمعه السامرى من بنى اسرائيل فى أيام هارون بن

تاريخ المستبصر، ص: ۶۷

عمران عليهما السلام و جعل منه صورة عجل، كما قال اللّه تعالى: فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ[۲۵].

و فى مشارق هذه الأعمال قوم يقال لهم البهيمية و هم يرجعون فى الأصل إلى آل عامر، و يرجع آل عامر إلى سنحان، فإذا نزل بهم ضيف يقول له: بم تعشّى؟

يقول: بكذا، و بم تغدّى؟ و ما يقدم له إلا ما طلب و اشتهى عليهم، فإذا تعشى يقول الرجل لزوجته: روحى أكرمى الضيف! فتجىء المرأة فتنام فى حضن الضيف إلى الصباح، بلا خوف و لا حذر، و يقوم الصبح كلّ يغدو إلى شغله.

فإذا خطب زيد بنت عمر و أنعم له عمرو بإيجاب القول دخل زيد إلى بنت عمرو و استفضها و بات معها طول ليلته، فإذا أصبح خرج و ترك نعليه فى بيت بنت عمرو فيعلم عمرو أنه رضى بها، فحينئذ يعقد له عقد النكاح، و إن لبس حذاءه و غدا علم عمرو أن زيدا لم يرض ببنته، و هذا فى أجاويد هؤلاء القوم.

و مصاغهم الصّفر و الحديد و الرصاص، و لباسهم الجلود المدبوغة، و جواهرهم الودع، و مهرهم قطع الطريق و منع السبل.

و إلى الدبساء خمس فراسخ، و ثغر وادى عمق و هو سخل و يعرف بشرم الجارية، خور من البحر، يخاض فيه مخاضة، و ما عرف بها إلا أنه خاضته الحجاج، فلما توسطوه زلق جمل و عليه جارية فوقعت الجارية فى البحر فأخذها المد و راحت فعرف الشرم، أى الخور، بالجارية.

تاريخ المستبصر، ص: ۶۸

و إلى ذهبان أربع فراسخ، و سكانه عرب مجمّعة من بنى أسد و بنى ريح و بنى عاصم و بنى رفدة، إذا نزل بهم نزيل يقولون له: بوّس و ساحق و عض و عانق، يعنى صاحبة البيت، و لا تدخل معها، أى لا تطأها، فإذا أدخلت معها أدخلنا معك هذا الخنجر.

و يسمى وادى الدّوم، و ما سمى بذلك إلا لكثرة نخل الدوم بها، و هو شجر المقل، و فى وادى الدوم يقول الشاعر:

و آخر عهدى منك يوم لقيتنىبأسفل وادى الدّوم و الثوب يغسل

و يرى جبل كدمّل مما يلى البحر.

ذكر جبل كدمل

اشارة

و هو نصف الطريق ما بين الحجاز و اليمن و أول بطن عثر، و يقال: خبت عثر و يقال: كامل و امرأته و حماره، و هم ثلاثة أجبال: جبل كدمل فى البحر و فى لحفه جبل صغير يسمى الحمار، و يقابله فى البر جبل يسمى الكليتان، و الكليتان هى التى تسمى المرأة، فيقال: كدمل و زوجته و حماره، و لا شك أن هؤلاء كانوا جنّا أو بنى آدم مسخوا جبالا و أحجارا، و جبل كدمل هو فى الأصل معدن الحديد.

قال ابن المجاور: و كم سألت على أن أقع لهم على علم تحقيق فلم يحصل ذلك.

و إلى بيض أربع فراسخ، و هو واد، و إلى الراحة أربع فراسخ، و تسمى محل

تاريخ المستبصر، ص: ۶۹

أبى تراب، و تسمى راحة المؤيد، و هو المؤيد أحمد بن غانم بن قاسم بن غانم، و هى قديمة بنتها الأشراف.

فصل: [(ما كتب فى الاحجار)]

قال ابن المجاور: رأيت فى المنام ليلة الخميس غرة رمضان سنة عشرين و ستمائة كأنى أقرأ كتابة على حجر منقوش، و كان الحجر بنى فى جملة أحجار محراب الجامع و إذا فيه مكتوب: إن الراحة و الحوى بناه العجم.

حدثنى عبد اللّه بن محمد الراحى بزبيد سنة تسع عشرة و ستمائة أنه وجد على باب الراحة مكتوب: رَبِّ لا تَذَرْنِى فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ[۲۶] فخرج من المدينة هذه عشية يوم الجمعة ألف جرير يتبعها ألف بعير عليها ألف عذراء و أصبح صباح يوم السبت لا يدرى أسماء رفعتهم أم أرض بلعتهم و لا علم لهم خبر، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

و وجدنا أيضا سطرا مكتوبا: بدّلنا حمل در بحمل بر و ما مسنا ضر، و اللّه المستعان.

و وجد مكتوب أيضا فى مدينة أبى سيار من أعمال حران: طلبنا البر بالدر فما وجدناه.

و فى المدينة ثلاثمائة و ستون بئرا على كل بئر صخرة عليها مكتوب: لا إله إلا اللّه موسى كليم اللّه، مع التالى لها: كلهن ينبشن و تحفر بيدك تشرب الماء.

و إلى هجر أربع فراسخ، و من هنا إلى حران يعرف بالدرب، و من هذه الحدود

تاريخ المستبصر، ص: ۷۰

إلى زبيد يسمون أهلها الشمة لأن هذه الأعمال تسمى فى زبيد الشام و تسمى الساعد، و ليل هذه الأعمال طيب و نهارها كرب فيقال: حرض ليلها طابة و نهارها مصلابة، و اللّه أعلم.

صفة زواج أهل هذه الأعمال

من يوم تدرك البنت إلى يوم تعرس لم يمكنوها من النتف بل تطول الشعرة مع طول الأيام، و تربيها إلى أن تضفرها دبوقة، و يقال: إنه يدهن و يسرح و يغسل بالدر و الطين، أى الشعرة، فإذا كان ليلة عرسها ضفرت شعرتها دبوقتين، و تشد كل دبوقة منهما فى إحدى فخذيها و تجلى على زوجها، فإذا خلا بها وقعد منها مقعد الرجل من المرأة فحينئذ يمسك الرجل تلك الدبوقتين و لا يزال يمدهما إلى أن يقلعهما من الأصل، فإذا قلعهما استفضها بعد ذلك، فإذا أصبحت من الغد تزورها قرابتها و مع كل واحدة منهن صحن زبد فيقولون لها: كيف حالك مع الزبة؟ فتقول:

بخير كبياع الدبة، و تداوى الموضع بالزبد ليرد عنها الألم، لأنه يقلع الشعر مع الجلد، و هذا زى القوم.

و إلى الهدية ثمان فراسخ، و منها يجلب الزنجبيل الطرى، و إلى المحالب فرسخان، و هى أرض عنترة العبسى و قومه و لها واد يسمى مور.

تاريخ المستبصر، ص: ۷۱

ذكر هبة الإمام أبى موسى الأمين باللّه هذه الأعمال

اشارة

حدثنى عبد اللّه بن محمد بن يحيى المهجمى قال: لما كثرت الأشراف بأرض الحجاز خرج منهم قوم إلى العراق فى خلافة الإمام أبى موسى محمد الأمين باللّه أمير المؤمنين ابن هارون الرشيد و استوهبوا منه أرضا يقيمون فيها و يأكلونها، فأقطعهم من مكة إلى الهلية طولا و من صعدة إلى ساحل البحر عرضا، فبقيت هذه الأعمال فى أيدى القوم و هم فى عيش هنىء يأتيهم رزقهم رغدا من كل جهة،

و بقى يحيى بأساميهم إلى سنة خمس عشرة و ستمائة، فضعفت القوم و دخلت عليهم يد الغز فخرجوا من البلاد و خرجت البلاد من أيديهم و صارت فى حوز الغز و فى قبضتهم، و أحد من تولى بها من القوم الشريف المؤيد بن أحمد بن قاسم بن غانم، و انقرضوا و لم يبق لهم فى البلاد خبر، كما قيل:

عنا العقيق و أقوى منه معهدهو حال ما فيه عما كنت أعهده

فما الوقوف بربع لا محاسنهتجلى و لا يومه يرجى و لا غده

فصل: [(فرج بن اسحاق و عبده)]

تولى أعمال الكدراء القائد بلال فى دولة الأمير فاتك بن محمد و نشأ فى عهده القائد فرج بن إسحاق فكان يأكل و يشرب إلى أن عبر أكله الحد فضجر منه خاله بلال، فلما رأى ذلك خرج فرج بن إسحاق و معه عبد أسود و كانوا يقطعون الطرق ما بين حرض و المحالب مدة عامين و نصف، بينا هم فى حالهم عاملون إذ قال العبد الأسود لفرج: يا مولاى، أخاف إذا وصلت مع بلال تنسانى، فأنشد فرج قول الشاعر:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروامن كان يألفهم فى المنزل الخشن

فما زال[۲۷] العبد يردد البيت إلى أن حفظه، فمات القائد بلال و طلب فرج بن إسحاق، فلما حضر ولوه أعمال الكدراء فرجع فى الأمر و النهى و الأخذ و العطا، فلما طال البعد على العبد طلب سيده و دخل الكدراء فكتب البيت المقدم ذكره فى رقعة و عرضها على فرج بن إسحاق، فلما وقف على الرقعة طلب العبد و أدخله و أحسن إليه غاية الإحسان و ولاه موضعا يعيش فيه باقى عمره، و فيه يقول:

ظباء فى الفلا سنحواهم منحوا و ما منحوا

و صادوا ثم ما صيدواهم أخذوا و ما صفحوا

هم قتلوا فتّى وجداو قالوا: إنهم مزحوا

تاريخ المستبصر، ص: ۷۶

ألا شلّت رماتهمألا يدرون من جرحوا

قتيلا من سهامهمعلى دمه قد اصطلحوا

سقى الصهباء ممتزجافمغتبق و مصطبح

ألا يا أيها الركبان و الركب الذى انتزحوا

بكم قد ضاقت الدنياو ضاق الأمر فانفسحوا

إلى الكدراء فارتحلواو قائد جيشها امتدحوا

عليكم بابن إسحاقففى فرج لكم فرح[۲۸]

و فتح باب العطا على نفسه لكل قاصد و وافد و لكل دان و ناء فلامه الناس على ما يفعل فى إتلاف الأموال و المحصول، فأمر أن يكتب على باب داره:

من عز بز و لم تؤمن بوائقهو من تضعضع مأكول و مذموم
لا بارك اللّه فى مال أخلّفهللوارثين و عرضى فيه مشتوم

و إلى الفحمة فرسخ و نصف و تسمى ذؤال، و ذؤال كل ما هو بين البحر و الجبل من مقابلة، و يوجد بها الموز الطيب و الرمان المليح، و يقال: إنه يجلب من جبال اللوى و إنه فيها غير مملوك، و يقال: إن المفاليس و القحمة على طالع، و ذلك أنه إذا ظهر فى غرب البلاد فساد و بدا منهم خلاف نهب الأشعوب المفاليس و نهب المعازبة القحمة فى لمح الطرف، لأن هذه القبائل مقاومة لهاتين المدينتين و هم عصاة طغاة.

تاريخ المستبصر، ص: ۷۷

و قد بنى جمال الدين على بن الحسن بن وهب مقابل القحمة على جبل حصن الأضوح فى غرة شوال سنة اثنتين و عشرين و ستمائة، و كان قديما خربه ملك من ملوك العرب، وجدد ابن وهب بناءه و أحكمه غاية الإحكام.

و من القحمة إلى محل إبراهيم ثلاث فراسخ، و إلى سفاكا ثلاث فراسخ، و هو حصن بنى على أعلى قلة جبل عاص على ملوك اليمن، و منه يجلب الحمر، و هو التمر الهندى إلى كل بلد.

و فى هذه البلاد عقد لم تسلك لكثرة شجرها و وعرها، و يقطع من هذه العقد خشب يسمى الرقع يعمل منه النشاب و يسلف منه على النجارين من الديوان كل ألف فردة بدينارين ملكية، و يكون بهذه العقد النارنج و الأترج و الليمون و الموز ضائع لا مالك له، و هذه الأشجار بين أنهار و عيون، و يوجد فى مياهها الحيات العظام.

و إلى زهران ربع فرسخ، حصن بناه العرب فى وطأة مثل الكف فاستفتحه الملك المسعود يوسف بن محمد سنة عشرين و ستمائة.

من المحالب إلى صعدة

من المحالب إلى حردة ثلاث فراسخ، و إلى المدارة ثلاث فراسخ، و هو وادى الصما و به الوحش الكثير، و إلى شمر فرسخان، و إلى قلحاح فرسخ، و إلى الأفرور

تاريخ المستبصر، ص: ۷۲

ثلاث فراسخ، و إلى الظّهيرة فرسخان، و يعرف بوادى اليمانى، و ما سمى هذا الموضع بالظهيرة إلا أنه ظهر فى فم واديين فى وادى مور، و له من وادى حوث، و وادى حرف أوله وله من الجبال الشرقية، فإذا سال الوادى وصل جريانهما إلى الظهر فى ساعة واحدة يحبس كلّ صاحبه، فكل من قوى على الآخر سده ورد جريانه و يبقى الآخر فى السيل إلى أن تزول حدته، فحينئذ يقوى العاجز على القوى لقطع حدته و يخرب، و لا يزالان على حالهما إلى أن يفرغ الواديان من جرى السيول، و هذا دائم إذا صادف حد الواديين فى ساعة واحدة.

و إلى شطب خمس فراسخ، بناه آل برمك، و قيل: أواخر البرامكة الذين كانوا سكنوا هذه المدينة، و يقال: إن نسلهم باقون و لكن ضعفت بهم الحال و قل فيهم المال.

و إلى حوث عشرة فراسخ، سرير ملك الشرف من آل الحسن بن على بن أبى طالب، و إلى صعدة أربعة عشر فرسخا، و هو سرير ملك عبد اللّه بن حمزة الحسينى.

من المحالب إلى زبيد

اشارة

من المحالب إلى المهجم ثلاثة فراسخ، و يقال: إنما سميت المهجم بالمهجم لأن الأشراف كانت تهجم عليهم كل حين فكان القوم إذا رجعوا إلى أوطانهم سألوهم: أين سريتم؟ يقولون: المهجم، و اسمها سردد، و عليها سور، و قد خرب واندثر، و يشرف عليها جبل يحاكى عنان الأفق يسمى ملحان تغطى ذروته الغيم،

تاريخ المستبصر، ص: ۷۳

و قد بنى على أعلى ذروته مسجد يسمى الشاهر لأنه اشتهر برفعه على ما حوله من الأعمال، و يقال: إنه مسكن الخضر، عليه السلام، و هو جبل عال عاص على الملوك باليمن.

و بها من الحصون ما شاء اللّه شبه قطع الشطرنج بيان لناظره علوها من أبعد مكان، يعنى من تهامة، و أهله قوم من آل حمير و منهم الذى يقول:

ستذكر قومى نجدتى و مكارمىو ما فعلت قومى بقيس أفاعلا

بنيت لهم مجدا من النجم و العلىو صاروا خيار الناس ثم الأقاولا

فحمير أرباب الملوك و خيرهافهم من قديم الدهر كانوا الأفاضلا

و فى هذا الجبل تنبت الشمة.

و إلى الكدراء خمس فراسخ بناها الملك دقيانوس على جاحف الوادى ما بين أراك و شجر.

و حدثنى عمر بن على بن مصبح قال: حدثنى يوسف بن الهمدانى قال: إنى قفّزت حصانى جاحف الوادى فقفز قعره و كان عرضه يومئذ فى ذلك العهد ثلاثة أذرع و عمقه مثل عرضه فى أواخر دولة الحبشة و أوائل دولة بنى مهدى، و الآن صار واديا عظيما يكون عرضه أكثر من ثلاثة آلاف ذراع لأن السيل أكله، و لم يكن فى قديم الأيام واديا بل كان الوادى وسط المدينة و كان على البلد سور و خندق و أبواب.

قال: و أهلها يشربون الماء من جاحف الوادى و للاستعمال يستقون من آبار عندهم، لأن مياه آبارهم مالحة، و لم يبنوا دورهم إلا من آجر يخرجونه من الأرض من الردوم، و طول كل آجرة نصف ذراع فى عرض مثلها من بناء الأوائل.

تاريخ المستبصر، ص: ۷۴

و حدثنى عمر بن على بن مصبح قال: جاء بعض الأيام سيل عظيم فى بعض السنين و جاء السيل مع جريانه برجل ميت قد مصته الأرض و قد صار شبه القد طوله سبعة أذرع، و قيل: خمسة أذرع مقلدا بسيف، فقصوا الأثر فوجدوا أنه كان دفن قائما فى أيام دقيانوس الملك.

و استدل على ذلك أنه ما كان القوم يدفنون موتاهم إلا قياما، و يقال: كذلك دفن إبراهيم الخليل، عليه السلام، و دفن عبد المؤمن بن على الكوفى و محمد بن الحسين بن تومرت البربرى فى حصن الغار، و يسمى حصن المهدية، و إنما يفعلون ذلك ليكون الملك قائما فيهم إلى يوم الدين، و هذا هو الجنون بعينه.

و مما ذكره عمارة بن محمد بن عمارة فى كتاب المفيد فى أخبار زبيد أن القائد الحسين بن سلام اختط مدينة الكدراء على وادى سهام و اختط مدينة المعقر على وادى ذؤال، و يقال: معاملة الكدراء من الدومتين إلى قرب المزحف طول إلى المسجد الذى بناه ابن وهب قريبا من القحمة، و فى الجبل إلى البحر طول، و دخلها كل يوم ألف دينار، و تسمى سهام كما قال:

أرى الشأم يدنو كل يوم و ليلةو يبعد منى سردد و سهام

ففروجى و قلبى فى دمشق و مهجتىو جسمى منىء قد حواه سهام

و قال آخر:

ما لى و صحبة سكان العقيق و هم‌إن عاهدوا غدروا أو ذكروا جحدوا

يا حبذا جاحف الوادى إذا لعبت‌فيه الغصون و غنى طيره الغرد

تاريخ المستبصر، ص: ۷۵

ذكر الأودية التى يقطع منها الخشب لأجل العمارات

من معاملة ذؤال وادى نبع و وادى ريمان و وادى عرم و وادى جابية و المداراة، و فى وادى زبيد سخمل و الفائشى، و غاية شجره الإسحل و السيسان، و بطحوات، و اليمن وادى نخلة خلاف وادى مكة و واسط، و فى أودية الشأم وادى رماع و وادى

تاريخ المستبصر، ص: ۷۸

الكدراء و وادى سردد و وادى مور، و جميع هذه الأودية يقطع منها الخشب لأجل العمارة، و إلى فشال أربع فراسخ، و يعد سبعة تلول رمل و سبعة أودية.

و أما فشال ففيه نحو ثمانمائة قرية ما يزرع أهلها إلا على المطر الدخن و الذرة، و زرع الشيخ محمد بن معيبد بها الحنطة و الشعير و طلع سنة ثلاث و عشرين و ستمائة، و زرع أولاد أخيه العجل و معيبد الأرز، فلما زرع بها و حصد قلعه القوم من الأصول سنة أربع و عشرين و ستمائة، و إلى وادى رمع نصف فرسخ، و هو واد عظيم.

و قد ذكر فى الكتب: لا يزال السيل يأكل فى الوادى إلى أن يصل الأكل إلى الخيف جبل ببرع فإذا وصله ظهر على القوم كنز ذهبا يستغنى منه جميع أهل اليمن.

و إلى قونص نصف فرسخ، و يسمى وادى العرق، و به قتل الملك المسعود إسماعيل بن طغتكين بن أيوب، و إلى زبيد أربع فراسخ، و اللّه أعلم بالصواب.

ذكر زبيد و ما كانت فى قديم الزمان

قيل: إن جميع أرض زبيد كانت حمى مهلهل و كليب، و ذلك من حد الحجف إلى أنف قونص و فيه قصره و بركته و إصطبله الذى كان يربط فيه خيله، و ذلك على ذروة جبل عال مشرف على تهامة، فكان يقعد فى القصر و ينظر الأرض تحته شبه زمردة خضراء مع جرى السواقى و الأنهر، لأنه كان يقال: بها ستمائة ألف عين، و قيل: ستون ألف عين، و قيل: ستة آلاف عين، و الأصح ستمائة عين،

تاريخ المستبصر، ص: ۷۹

و يقال: ستون عينا سائحة على وجه الأرض كلها عذب فرات، فمن نداوة الأرض رجعت الأرض مخضرة دائما ذات رياض و أشجار و وحش، فبقى الحمى على حاله إلى أن وقعت الحرب بين القوم أربعين خريفا، و القصة مشهورة و لا حاجة إلى ذكرها، فجاء ملك بعد القوم ردم الأعين و سد أعينها، و لا شك أنه معن بن زائدة الشيبانى.

و الدليل على صحة مقالتنا أن الحجرين الطاحونين الملقين على باب غلافقة من زبيد كانت تدور على تلك المياه و الأعين، و كان بها وخم من كثرة نداوة الأرض و المياه، و كل أرض تكون على هذه الصفة تكون وخمة من كل بد.

حدثنى جعفر بن عبد الملك بن عبد اللّه بن يونس الخزرجى الجرجانى قال:

قدمت اليمن فى دولة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب و كنا نستقى الماء من الآبار بأيدينا و نشرب، فغار الماء فى زماننا هذا سنة خمس و عشرين و ستمائة إلى أن بلغ عمق البئر خمس عشرة قامة فزال الوخم و اعتدل الماء و الهوى، و الآبار التى فى سكة المدينة

طولها ست عشرة قامة و ما حول البلد اثنتا عشرة قامة تزيد لا تنقص.

و أما حدود حمى كليب و مهلهل فكان من الحجف إلى أنف قونص إلى رأس رمع، و جميع جوار زبيد و أوديتها إلى حد النوبتين و قوارير طولا فى عرض مثله، فلما سدد الأعين و قل الماء طلع فى الخبت شجر الأراك و الطرفاء إلى أن رجعت عقدة عظيمة.

تاريخ المستبصر، ص: ۸۰

بناء زبيد

اشارة

حدثنى عبد الرحمن بن أحمد بن الراجى قال: كان فى أرض زبيد عقدة طرفاء و أراك و كان حول العقدة قصور و قرى جماعة إحداها المتامة و النفير من غربى البلد مدينتان عظيمتان، و من جملة عظمهما أنه كان يخرج منهما فى كل ليلة جمعة و خميس خمسمائة رقيص لزيارة الصالحين، و جنيجر شرقى البلد بناء دقيانوس، و واسط ما بين الغرب و اليمن فكان يخرج من هذه البلد كل يوم ستمائة فارس يتلاقون فى أرض زبيد التى هى الآن عامرة فبقوا على حالهم زمانا طويلا إلى أن مل بعضهم بعضا.

و خرج مشائخ القوم إلى العراق فى دولة الإمام أمير المؤمنين الأمين ابن هارون الرشيد و عرّفوه حالهم و خبرهم و قالوا له: نحن قوم من الأعاشر و جميعنا بنو عم و يجرى بيننا قتال، فقال الأمين: من منكم الكبير؟ فأشاروا إلى رجل، قال: و من من بعده؟ فأشاروا إلى آخر، و ما زال يسألهم و يخبرونه حتى عد القوم خمسة جماعة، فولّى الشيخ الكبير عليهم، و قال للحاضرين: إذا مات هذا فيتولى من بعده الثانى، و إذا تولى الثانى ثم مات فليتولّ الثالث، و إذا مات الثالث فليتولّ الرابع، فإذا مات الرابع فليتولّ الخامس، و عقد للشيخ على أصحابه و بنى عمه.

و خرج القوم من مدينة السلام بغداد راجعين فمات الشيخ الذى عقد له الأمين البيعة، و تولى بعده الثانى فمات، ثم تولى الثالث فمات، فتولى الرابع، فلما قرب من البلد مات الرابع فأبى الخامس أن يتولى فعزل نفسه، خوفا من الموت، فولاها رجلا

تاريخ المستبصر، ص: ۸۱

من بنى عمه، فلما دخل البلاد جباها و أنفذ بمال من خراج البلد إلى مدينة السلام، فلما كان ما كان من قصة الأمين و قتله و تولى المأمون الخلافة عصى الرجل المتولى فى اليمن و تغلب على البلاد و قطعها و صار يرفع الدخل إلى خزانته.

فلما كان سنة تسع و تسعين و مائة أتى إلى المأمون بقوم فيهم رجل من ولد عبيد اللّه بن زياد فانتسب أحدهم فقال: اسمه محمد بن قلان بن عبيد اللّه بن زياد ... إلى عبيد اللّه بن زياد، و انتسب منهم رجل إلى سليمان بن هشام بن عبد الملك، و من هذا الرجل الوزير خلف بن أبى الطاهر وزير جياش بن نجاح، فقال المأمون لهذا الأموى: إن الإمام أبا جعفر المنصور عبد اللّه بن محمد بن على ابن عبد اللّه بن عباس ضرب عنق سليمان بن هشام و ولديه فى يوم واحد، فقال الأموى: أنا من ولده الأصغر سليمان و منا قوم بالبصرة.

و انتسب رجل إلى تغلب و اسمه محمد بن هارون، فبكى المأمون و قال: أنى لى بمحمد بن هارون؟ يعنى وافق اسمه اسم أخيه محمد الأمين ابن هارون الرشيد، فقال المأمون: أما الأمويان فيقتلان، و أما التغلبى فيعفى عنه رعاية لاسمه و اسم أبيه.

قال ابن زياد: و ما أكذب الناس يا أمير المؤمنين، يزعمون أنك حليم كثير العفو متورع عن سفك الدماء بغير حق، فإن كنت تقتلنا بذنب فلم ننزع يدا من الطاعة و لم نفارق فى بيعتك رأى الجماعة، و إن كنت تقتلنا يا أمير المؤمنين بجنايات بنى أمية فيكم فاللّه تعالى يقول: وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى[۲۹] فاستحسن المأمون

تاريخ المستبصر، ص: ۸۲

كلامه فعفى عنهم جميعا، و كانوا أكثر من مائة رجل، ثم أضافهم إلى أبى العباس الفضل بن سهل، ذى الرئاستين، و يقال: إلى أخيه

الحسن بن سهل.

فلما بويع لإبراهيم ابن المهدى ببغداد فى المحرم سنة اثنتين و مائتين وافق ذلك ورود عامل اليمن بخروج الأشاعر عن الطاعة، فأثنى الحسن بن سهل على محمد بن زياد و على المروانى و على التغلبى عند المأمون و إنهم من أعيان الرجال و أفراد الكفاة، و أشار بتسييرهم إلى اليمن، يعنى أن ابن زياد يكون أميرا، و ابن هشام وزيرا، و التغلبى حاكما مفتيا، فمن ولد التغلبى محمد بن هارون قضاة زيد و هم بنو أبى عقامة، و لم يزل الحكم فيهم يتوارث حتى أزالهم على بن المهدى حين أزال دولة الحبشة، فخرج الجيش الذى جهزه المأمون إلى بغداد لمحاربة إبراهيم بن المهدى، و حج ابن زياد و من معه سنة ثلاث و مائتين و سار إلى اليمن و فتح تهامة بعد حروب جرت بينه و بين العرب، و اختط زبيد فى شعبان سنة أربع و مائتين، و فى هذا التأريخ مات الإمام أبو عبد اللّه محمد بن إدريس الشافعى بمصر.

و حج من اليمن جعفر، مولى ابن زياد، بمال و هدايا سنة خمس و سافر إلى العراق فصادف المأمون بها فعاد جعفر هذا فى سنة ست إلى زبيد و معه ألف فارس من مسودة خراسان و سبعمائة فارس فعظم أمر ابن زياد و ملك إقليم اليمن بأسره الجبال و التهائم، و تقلد جعفر هذا أمر الجبال و اختط بها مدينة المذيخرة و هى ذات أنهار، و البلاد التى كانت لجعفر تسمى إلى الآن مخلاف جعفر، و كان جعفر هذا أحد الكفاة الدهاة، و به تمت دولة ابن زياد، و هذا الذى اشترط على العرب بتهامة أن لا يركبوا الخيل.

تاريخ المستبصر، ص: ۸۳

و ملك ابن زياد حضرموت و ديار كندة و الشحر و المرباط و أبين و لحج و عدن و التهائم إلى حلى، و ملك من الجبال الجند و أعماله و مخلاف جعفر و مخلاف المعافر و صنعاء و صعدة و نجران و بيحان.

و واصل ابن زياد الخطبة لبنى العباس و حمل الأموال و الهدايا السنية هو و أولاده من بعده، و هم إبراهيم بن محمد هذا الذى هو الملك و أقام فى الملك بعده زياد ابن إبراهيم فلم تطل مدته، ثم ملك بعده أخوه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم و طالت مدته، فلما أسن و بلغ الثمانين فى الملك تشعب عليه من دولته بعضها، فممن أظهر له بعض ما يكره ملك صنعاء، و هو من أولاد التابعة من حمير، و اسمه يوسف بن أسعد بن يعفر، و لكنه كان يخطب لأبى الجيش و لأبويه، و كانت ترفع أموال إلى أسعد بن يعفر لا تزيد على أربعمائة ألف دينار فى السنة يصرف بعضها فى المروة و لقاصديه.

و أما صاحب بيحان و نجران و جرش فهمّ أيضا بأن يخرج من طاعة ابن زياد، و همّ صاحب صعدة فثار بها الشريف الحسنى المعروف بالرسى.

و يقال فى رواية أخرى: إن أمير المؤمنين محمد الأمين ولّى محمد بن زياد بن محمود بن منصور اليمن فجاء محمد بن زياد إلى أرض الحصيب فوجد قوما يقتتلون فى كل يوم إلى ضحوة نهار و يفترقون، فدخل بينهم و أصلح بينهم، و بنى قصرا على باب غلافقة، و آثاره إلى الآن باقية، فسكن فيه و اشترى ألف عبد، و يقال: بل جاء بعساكر عظيمة من العراق و قال لهم: إذا دخل القوم للضيافة فالسيف عليهم، و نادى فى مشائخ البلاد و كبار القبائل من الأشاعر و قدم لهم طعاما قد أحضر، فلما اشتغلوا

تاريخ المستبصر، ص: ۸۴

بالأكل و التناول لبست العبيد و أركبوا السيف من حضر فلم ينج منهم أحد، و ركب السيف على من كان حولهم من العربان من أهل القرى و العمارات، و ما زال على حاله إلى أن رجعت الخلق تستجير به، فكل من كان فى طاعته كان يترك على رأسه أثر و هو قلنسوة من خوص النخل على هذا الوضع:

و يعطيه زوج بقر و مهار على هذا الوضع: يعنى لحرث الأرض فحرثت الخلق و عمر المكان و بقى الأثر و المهار سنة إلى الآن.

حدثنى أحمد بن سعيد بن عمرو بن عويل قال: حدثنى شيخ كبير قد ناطح عمره المائة قال: حدثنى أبى عن جدى قال: إنى كنت أرعى البقر عند مسجد الأشاعر و بها حينئذ عقدة شجر و غدير ماء.

و يقال: لما تعدى ابن زياد مكة صار كل منزل ينزله يأخذ تراب أرضه يشمه و يبنى فى ذلك المنزل قرية، و ما زال على حاله إلى أن قدم أرض الحصيب فأخذ من

تاريخ المستبصر، ص: ۸۵

أرضه كف تراب فشمه و قال لأهل الدولة: أقيموا بنا هاهنا! قالوا: و لم؟ قال: لأن هذه الأرض أرض نزه زبدة هذه البلاد، قالوا: و بم صح عندك ذلك؟ قال: لأنها طيبة بين واديين، يعنى وادى زبيد و وادى رمع، فلما سكن المكان بناه مدينة سماها زبيد، و اشتق زبيدا لأنها من الزبدة على ما جرى فى اليوم الأول.

فصل: [(فى خلق اهل زبيد)]

قال عبد النبى بن على المهدى للحاضرين: إنى أتعجب من أهل هذين الواديين. قالوا: و ما رأيت من عجائبه؟ قال: رأيت كل خلق اللّه من الرجال يميل طبعهم إلى الفحولة و الذكورة إلا من سكن بين هذين الواديين فإن طباعهم مائلة إلى الخنث و خصال النساء، قالوا: و بم تحقق عندك ذلك؟ قال: كل من الخلق يميل إلى ما يصلح به دينه و دنياه إلا أهل زبيد فإنهم مائلون إلى الأكل و الشراب و الملابس النظاف و المركوب الوطىء و شم الطيب و ميل طباعهم إلى النساء أكثر من ميل طباعهم إلى الرجال، فقال بعض من حضر المجلس: ما وضعت بين واديين إلا كرجل يسكن بين امرأتين يميل إلى من مالت نفسه و سكنت جوارحه إليها.

قال ابن المجاور: و معظم رجالهم يتحدثون و يتغانجون و يتمفطعون و يتقصفون تقصيف النساء فى الحديث و الحركة.

حدثنى أحمد بن على بن عبد اللّه الجماعى الواسطى قال: ملك اليمن ملك من التبابعة يسمى الزبا فسأل رجل آخر فقال: ما فعل اللّه بزبا؟ فقال: بيد، أى هلك، فسمى البلد زب بيد.

و قال آخرون: إنما سميت زبيد زبيدا لأن لها واديا يسمى زبيدا فسميت البلد باسم الوادى.

تاريخ المستبصر، ص: ۸۶

و قال آخر: بل كانت الإبل ترعى فى العقدة و فى جمع الإبل ناقة تسمى زبيد عضت الناقة فى العقدة فعرف الموضع باسم الناقة. و أما العقدة فصحيحة بقى إلى الآن شجر الأراك كثيرا مما يلى الدروب و خصوصا موضع يسمى حافة مسجد الهند و غيرها من المواضع.

و قال آخرون: بل كانت امرأة تسكن رأس وادى زبيد تسمى زبيدة.

و قال ابن المجاور: ما أظنها إلا زبيدة بن جعفر بن أبى جعفر المنصور، فإن محمد المنصور بن زياد بنى لها دارا ما بين وادى زبيد و رمع و هى التى سعت فى بناء المكان فى دولة أمير المؤمنين الأمين.

ذكر تمام قصة آل زياد

اشارة

لما مات الحسين بن سلامة انتقل الأمر إلى طفل من آل زياد و اسمه عبد اللّه و كفلته عمته و عبده أستاذ الدار و اسمه مرجان، و هو من عبيد الحسين بن سلامة، فاستقرت الوزارة لمرجان، و كان له عبدان فحلان من الحبشة رباهما فى الصغر و ولاهما فى الكبر، أحدهما يسمى نفيس، و هو الذى تولى التدبير فى الحضرة، و الثانى يسمى نجاح و هو جد ملوك زبيد الذين أبادهم على بن المهدى سنة أربع و خمسين و خمسمائة.

و نجاح هذا هو أبو الملك سعيد الأحول قاتل على بن محمد الصليحى القائم فى اليمن بالدعوة المستنصرية، و هو أيضا أبو المكرم الفاضل أبى الطامى جياش،[۳۰]

تاريخ المستبصر ؛ ص۸۷

تاريخ المستبصر، ص: ۸۷

و لم يزل الملك فى عقب جياش المذكور إلى التأريخ المذكور، فكان نجاح يتولى أعمال الكدراء و المهجم و مور و الواديين، هذه الأعمال الشأمية و الأعمال الشمالية عن زبيد، ثم وقع التنافس بين نفيس و نجاح عبدى مرجان على وزارة الحضرة، و كان نفيس ظلوما غشوما، و نجاح عادلا رءوفا، إلا أن مولاهما مرجان يميل مع نفيس غلى نجاح، و نمّ إلى نفيس أن إبراهيم بن زياد مولاه و عمته كاتبا نجاحا و إنها تميل إليه، فشكى فعلها إلى مولاهم مرجان فقبض مرجان عليها و على ابن أخيها إبراهيم بن زياد، و هو آخر بنى زياد، و دفعهما إلى نفيس فبنى عليهما جدارا و هما قائمان يناشدانه اللّه عز و جل حتى ختم عليهما، و زالت دولة بنى زياد و انتقلت إلى عبيد عبيدهم، فتكون دولة بنى زياد فى اليمن مائتين و ثلاث سنين لأنهم اختطوا مدينة زبيد سنة أربع و مائتين و زالت عنهم سنة سبع و أربعمائة.

فصل: [(فى ملوك زبيد)]

و كان بنو زياد لما اتصل بهم اختلال دولة العباسية من قتل المتوكل و خلع المستعين تغلبوا على ارتفاع اليمن و ركبوا بالمظلة و ساسوا قلوب الرعية ببقاء الخطبة لبنى العباس، فلما قتل إبراهيم بن زياد و قبض على عمته تملك نفيس و ركب بالمظلة و ضرب السكة باسمه و اسم الحسين بن سلامة، فلما انتهى إلى نجاح ما فعله نفيس فى مواليه ركب و قصد نفيسا إلى زبيد فجرى بينهما عدة وقائع منها يوم رمع و يوم فشال على نجاح، و منها يوم العقدة، و يوم العرق، و فيه قتل نفيس على باب سهام، و قتل بين الفريقين خمسة آلاف رجل.

و فتح نجاح زبيد فى سنة اثنتى عشرة و أربعمائة، و قال نجاح لمرجان: ما فعل مولاك بموالينا؟ قال: هم فى ذلك الجدار، فأخرجهما نجاح و صلى عليهما و بنى

تاريخ المستبصر، ص: ۸۸

عليهما مشهدا و أدخل مرجانا فى موضعهما فبنى عليه و على جثة نفيس حائطا، و ركب نجاح بالمظلة و ضرب السكة باسمه و كاتب أهل العراق و بذل الطاعة، فنعت نجاح بالمؤيد نصير الدين و فوض إليه تقليد القضاء و النظر فى الجزيرة اليمنية، و لم يزل نجاح مالكا للتهائم و قاهرا لأهل الجبال، و كوتب و خوطب بالملك و بمولانا.

و من أولاده سعيد و جياش و معارك و الذخيرة و منصور، فتغلبت ولاة الحسين بن سلامة على الحصون، فتغلب على عدن و لحج و أبين و الشحر و حضرموت بنو معن ابن زائدة، و قيل: من غير ولد معن بن زائدة الشيبانى، و تغلب على السمدان و على حصن السواء و الدملوة و صبر وحب و التعكر و مخلاف الجند و مخلاف المعافر قوم من حمير يقال لهم: بنو الكرندى، و تغلب على حصن حب و حصن عزان و بيت عز و حصن الشعرين و حصن أنور و القيل و السحول و حصن خدد و الشوافى السلطان أبو عبد اللّه الحسين التبعى، و تغلب على حصن أشيح، و هو مقر الداعى سبأ بن أحمد الصليحى، و على حصن مقرى، و حصون و صاب و مخاليفها قوم من البكيل، و هم من همدان، و تغلب على صنعاء و مخاليفها قوم من همدان، و تغلب على حصن مسار و جبل تيس قوم من حراز، و منه ثار الصليحى دعوة المستنصرية.

و بعهدهم تولى الحسين بن سلامة و مات فى سنة اثنتين و أربعمائة، و تولى بعده الأمير على بن محمد الصليحى و قتل فى الثانى عشر من ذى القعدة سنة ثلاث و سبعين و أربعمائة، و تولى بعده الملك السيد الأعظم عظيم العرب المكرم أحمد ابن محمد بن على الصليحى، و مات فى سنة أربع و ثمانين و أربعمائة، و أسند

تاريخ المستبصر، ص: ۸۹

الدعوة إلى سبأ بن أحمد بن المظفر بن على الصليحى، و تولى بعده سعيد الأحول، و قتل تحت حصن الشعرين سنة إحدى و ثمانين و أربعمائة.

و فى هذه السنة خرج أخوه جياش بن نجاح و خلف بن أبى الطاهر الأموى الوزير مسافرا إلى الهند، و أول من أدار سور زبيد الحسين بن سلامة و بعده الحبشة.

و تولى بعد ذهابهم الشيخ على بن المهدى القرتبى، و قعد على سرير الملك يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة أربع و خمسين و خمسمائة، و أقام بها على ابن المهدى بقية رجب و شعبان و رمضان، و مات فى شوال من السنة، فكان مدة ملكه شهرين و واحد و عشرين يوما، و ادعى الخلافة و فيه يقول:

سير الأنام قديمها و حديثهافرح القلوب و روضة المتنزه

أشهى من الماء الزلال على الظماو ألذ من عصر الشباب الأمره

فاليوم يحتج الخليفة بعدهبالقانمين الهاديين و زهره

شبليه سبطيه اللذين إليهماشرف الإمامة و الخلافة ينتهى

و يعنى بهما معاذا و عبد النبى فإنهما توليا على زبيد و بعض الجبال مدة ست عشرة سنة، و أداروا على زبيد سورا ثالثا، و بعدهم ملك الغز البلاد، فأول من ملكها شمس الدين و الدولة توران شاه بن أيوب عامين، و بعده سيف الدولة مبارك بن كامل بن مقلد بن منقذ، و بعده أخوه خطاب عامين، و بعده سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، أدار على البلد سورا و ركب على السور أربعة أبواب:

باب غلافقة ينفذ إلى غلافقة، و باب سهام ينفذ إلى سهام، و باب الشبارق ينفذ إلى حصن قوارير، و باب القرتب ينفذ إلى الجبل، بالطين و اللبن فى عرض عشرة أذرع.

تاريخ المستبصر، ص: ۹۰

قال ابن المجاور: عددت أبراج زبيد فوجدتها مائة برج و تسعة أبراج، بين كل برج و برج ثمانون ذراعا، و يدخل فى كل برج عشرون ذراعا، إلا برجّا فإنه مائة ذراع، يصح دور البلاد عشرة آلاف ذراع و تسعمائة ذراع، و أقام متمكنا ست عشرة سنة.

و حدثنى بعضهم فى مسجد السدرة يوم الخميس الخامس عشر من ذى القعدة سنة أربع و عشرين و ستمائة قال: إن سيف الإسلام أراد أن يدير حول البلد سورا ثانيا ذا طول وسعة، و أمر الجند أن يسكنوا ما بين السورين بدوابهم و أموالهم، فلما بنى السور و فرغ منه مات و لم يمكنه مراده، و تولى بعده الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ست سنين، و بعده الأكراد سنة، و بعدهم أتابك سنقر عشر سنين، و بعده الملك الناصر أيوب بن طغتكين عامين، و بعده الخواتين ثلاثة شهور، و بعدهن غازى بن جبريل ثلاثة أيام، و يقال: سبعة أيام، و بعده شاه بن عمر بن شاهنشاه بن شاذى، و يقال: سبعة شهور و بعده الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبى بكر ابن أيوب.

ذكر الجنابذ و قتل الصليحى

هى ثلاث قباب مبنيات بالآجر المحكوك و الجص، قريب بعضها من بعض، يكون ما بين كل واحد إلى الآخر مقدار أربعة أذرع، بناء الأمير على بن محمد الصليحى، و أراد أن يبنى من زبيد إلى مكة فى كل مرحلة من المراحل مسجدا

تاريخ المستبصر، ص: ۹۱

و رباطا يذكر به بعد موته، و ما زال يبنى إلى أن وصل المهجم و نزل بظاهرها بضيعة يقال لها: بئر أم الدهيم، و بئر خيمة أم معبد.

قال سعيد الأحول بن نجاح: لما دخلنا إلى المخيم لم يشعر بنا إلا عبد اللّه بن محمد فركب و قال: يا مولاى اركب فهذا و اللّه الأحول بن نجاح و العدد الذى جاء به كتاب أسعد بن شهاب البارحة من زبيد، فقال الصليحى لأخيه عبد اللّه: إنى لا أموت إلا ببئر أم الدهيم و خيمة أم معبد، ظانا أنها أم معبد التى نزل بها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حين هاجر و معه أبو بكر، فقال رجل لعلى: قاتل عن نفسك، فهذه و اللّه بئر أم الدهيم بن عبس، و هذا المسجد هو خيمة أم معبد بنت الحارث العبسى.

قال جياش: فأما الصليحى فأدركه رفق اليأس من الحياة فأراق الماء فى سراويله و لم يرم من مكانه حتى قطعنا رأسه بسيفه، و كنت أول من طعنه، و شركنى فيه عبد الملك بن نجاح بطعنة، و أنا حززت رأسه بيدى و نصبته فى عود المظلة، و فيه العثمانى يقول:

ما كان أقبح وجهه فى ظلهاما كان أحسن رأسه فى عودها

و دخل سعيد إلى زبيد يوم السادس عشر من ذى القعدة سنة ثلاث و سبعين و أربعمائة، و قتل سعيد الأحول فى وقعة حصن الشعرين سنة إحدى و ثمانين و أربعمائة، فلما زالت دولة بنى الصليحى و الحبشة و ملك مملكتهم على بن المهدى و تولى بعده بنو مهدى عبد اللّه و معاذ و عبد النبى فبنوا لعلى ضريحا فكانوا يقولون لعساكرهم المهاجرين و الأنصار: طوفوا حول تربة الشيخ على بن المهدى كما تطوفون بروضة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

تاريخ المستبصر، ص: ۹۲

و قالت العامة: جبل قوارير عرفات، و الجنابذ الكعبة، و البئر بئر زمزم، و هذه التربة روضة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم.

و يقال: إن سيف الدولة أخذ من الجنابذ مالا عظيما، و الآن يسكن فيه قوم من الفقراء من ذرية الشيخ محمد بن أبى بكر بن أبى الباطل الصريفى.

و قد أدار حول الجنابذ بدر الدين محمود بن جماز الفلاح الموصلى حائطا مربعا، و قد بنى جمال الدين أبو الحسين على بن محمد بن وهيب درجا يصعد فيها إلى فوق القباب بحماره، فكان أهل زبيد يقولون إذا رأوه على ذلك: محمد قد كب البراق و صعد إلى أعلى عليين، و كان آخرون يقولون: ركب عيسى حماره.

و يقال: لما بنيت بنيت مساجد، و قيل: تربة بعض أهله، و كتب داخل القباب بالذهب و اللازود و نقش فى الجص نقشا يبقى ببقاء العالم على هذا الوضع.

قال ابن المجاور: وصلت إلى المسجد فى أواخر ذى الحجة سنة ست و عشرين و ستمائة، و شاهدت مقتل[۳۱] الصليحى، و كان قد بنى على أكمة كان بالقرب منها مسجد يسمى مسجد عرفات، و لم يبق من المسجد إلا رسوم و أطلال، و جميع تلك الأراضى التى هى حول المسجد ملك القاضى إبراهيم بن صالح الحاكم بالمهجم.

تاريخ المستبصر، ص: ۹۳

[صورة زبيد]

و هذه صفة مدينة زبيد، و اللّه سبحانه أعلم و أحكم:

تاريخ المستبصر، ص: ۹۴

صفة دار شخار بن جعفر

لما أقام ابن زياد فى زبيد بنى شخار بن جعفر دار الملك فى زبيد ذات طول و عرض بالآجر و الجص بناء وثيقا على مقاطع الطريق و كل من تولى بزبيد سكنها، و كان له باب عال بالمرة ينظرون منه من فى الطريق على فرسخين، و حفر حوله خندق عظيم عريض، و

بقى الباب على حاله إلى أن هدمه المسعود يوسف بن أبى بكر سنة ثمانى عشرة و ستمائة، و يقال: إنما سعى فى هدمه الأمير أيبك العزيزى، فلما هدمه أخذ آجره و بنى به دورا، و كل ما بنى من آجره انقطع ذلك البناء من الأساس، و قد بقى إلى الآن آثار ذلك الباب و الدرجة شبه الجبل العالى، و اللّه أعلم.

ذكر انقطاع العرب من تهامة

لما كثر نزول العرب بها قام القائد ريحان الكهلانى، مولى سعيد بن نجاح كبس للعرب ليلا و هم مرتبون على باب زبيد و كانوا فى ثلاثة آلاف فارس و عشرة آلاف رجل، و حمل عليهم فلم ينج منهم إلا اليسير، و هلك الباقون، فسلّم العرب تهامة بعدها، و اللّه سبحانه أعلم و أحكم.

تاريخ المستبصر، ص: ۹۵

ذكر النخل

أول من غرس النخل الأمير على بن محمد الصليحى، و يقال: الحبشة فى أول دولة على بن المهدى، لما حضروا الحبشة وصلت عير من أرض الحجاز حملهم التمر فكانوا يأكلون التمر و يرمون النوى، فمن نداوة الأرض طلع النخل، فلما رأت أهل البلاد ذلك و عرفوا غرسه غرسوه و كثر النخل، و هو عشر قطع: الأبيض و الكديحا و المجرشية و المحلة و الأثيل و المجازع و كروة و المحجر و القهيرا و المغارس و حجنة، و كل واحدة من هذه القطع يكون عرضها و طولها ربع فرسخ، و أما الرطب الذى بها فثلاثة أصناف: حمارى و صفارى و خضارى، كلها ذات ألوان مختلفة، فإذا حمل النخل يتقبل كل واحد من الناس على قدره، و يجىء إليه الناس من باب حرض إلى آخر أعمال أبين و ينزل أهل الجبال إلى تهامة، و كم من امرأة تطلق من جهة النخل و كم تنكح امرأة من جهة النخل قال الشاعر:

هذا الشقح و اللقح و الطلع منه قد افتتحيا غازلات اغزلوا فالنخل قد صار بلح

و قال آخر:

من عرف النخل و القبالهأمسى و فى قلبه ذباله

و عاش فيه معاش سوءو ناله الدّين لا محاله

و يقيمون الناس فى النخل مدة شهرين أو ثلاثة و يكون غالب أكلهم الحموضات

تاريخ المستبصر، ص: ۹۶

و الملوحات، و هم فى لعب و ضحك و شرب، و يعمل من التمر و البر و الرطب نبيذ يسمى الفضيخ يصح عمله فى يوم و ليلة و يشرب النساء مع الرجال، و يقولون: إنه ينفع، لكن مضرته أكثر من نفعه[۳۲] و أول من عمله فى هذه البلاد رجل من أهل الشام، و يحصل منه كل عام تسعين ألف دينار غير الذى يصل إلى الخزانة و عمال السلطان و نواب الديوان و غير النخيل السلطانية و الأوقاف و غير الذى لأرباب الجاهات و أصحاب الدولة، يصح من جميع ما ذكرناه مائة و ثلاثون ألف دينار، و كان ضمانه فى دولة الحبشة و أيام بنى المهدى كل عام سبعون ألف دينار، و ما يأخذونه نقدا، بل تمرا، و يخرج حوالات و الصرف ثلاثة جوز درهم، و كل أربعة دراهم دينار، و كل أربعة دنانير و نصف بدينار أحمر.

و ما رجع خراج النخل كذا إلا أن سيف الإسلام أوصى طغتكين بن أيوب بالعدل على أهل الحرث و الظلم على أهل النخل، فهو

الذى ابتدى بهم من عهده، فقيل له فى ذلك فقال: إن الفلاح يحرث و يسقى و يبذر و يحصد و يعزق و يذرى فى الهوى و يجد مشقة عظيمة فالواجب أن يرفق بهم [أما] أصحاب النخل فإنهم يجنون الثمرة من العام إلى العام بلا عناء و لا تعب كما قال اللّه تعالى: وَ النَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ[۳۳] و كل نخل يهرب منه صاحبه يأخذه السلطان على كيسه بالخراج الذى عليه له، و كل نخل يأخذه السلطان يسمى الصوافى، أى يصفى لبيت المال.

تاريخ المستبصر، ص: ۹۷

قال ابن المجاور: و بلغ مال النخل سنة أربع و عشرين و ستمائة مائة و عشرة آلاف دينار نقدا غير ما حمل إلى الخزانة، و فى هذا العام قال أهل زبيد:

ما شاء النخل و لا شاء زبيد، يعلق بالمليمة و يضرب بالجريد.

و ما استخلص هذا المال إلا الأمير الوالى الصارم مابس الكاملى، كان من وزن قبالة وزن مثله مضاعف، فإذا فرغ النخل خرج الصغار مع الكبار و الأخيار مع الفجار بالطبل و الزمر بعدما يكبسون جملا عدة تامة من الأجراص و القلاقل و يشد فى رقبته المقانع و الحلى، و يركب كل أربعة من الناس على جمل، و ناس منهم على الشقادف، يمشون إلى مسجد مشرف على ساحل البحر، و الموضع موضع مبارك فيه وطئة ناقة معاذ بن جبل و إثر كلكلها لما رجع من اليمن إلى الحجاز بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عبر على هذه البلاد و السواحل، و يسمى هذا الموضع الفازة، أعنى الذى يتبحرون فيه، و ينزل فيه النساء مع الرجال فى البحر خليط مليط و هم فى شرب و لعب و رقص و قصف و زائد و ناقص، و ما يخرج إلى هذه الأماكن إلا فى كل أسبوع يومين: يوم الاثنين و يوم الخميس، و إذا رجعوا من هنالك دخلوا البلد رأسا واحدا.

ذكر شجر الكاذى

هو شجر يطلع فى ناحية مسجد معاذ بن جبل يشبه النخل، و هو ورد على هيئة الصبرة التى تزرع فى العراق و الهند فى المراكز فى سطوح الدروب و لكن ورق الكاذى رقيق شبه خوص النخل ذات شوك خشن، لم ينعقد ورده إلا من برق البرق، فإذا برق البرق طلع منه كثير بالمرة، و إن لم يكن البرق لم يكن منه شىء، و هذا

تاريخ المستبصر، ص: ۹۸

شىء عجيب وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ[۳۴] و كذلك لا يستدل على إقليم الجاوة مسافرو البحر إلا بكثرة لمع البرق، لأنه يكون فى أيام موسم سفارة الجاوة الأمطار كثيرة، و يستد الأفق بالغمام و يشتد هيجان البحر.

و قال آخرون: إنه يطلع فى تلك الأعمال شجر السندروس كثيرا، فإذا جرى السندروس من شجره بان لأهل السفارة البحر كلمع البرق و ذلك من كثرة الأمواج التى ترفع المركب و تهبطه.

و يقال: إن الكاذى يتربى من البرق، و كذلك الحنّون لم يفتح إلا فى الليالى البيض، و الخيار يدور مع دور الشمس و اللينوفر، و يزيد مد البحر فى الليالى المظلمة، و كل خشب يقطع فى ليالى البيض يسوّس، و كل خشب يقطع فى نقص القمر يتلفه السوس، و لم يقطع الطواحين إلا فى الليالى البيض، و ينقطع جميع مياه الأرض عند طلوع سهيل، و لم تصح دباغة الأدم إلا به، و قال ربان بن جبير: إذا طلع سهيل نقص ماء البحر أربعين ذراعا.

و أما ورد الكاذى فلم يكن فى سائر المشمومات ألذ منه رائحة و لا أطيب منه، و ماؤه بارد يابس، ينفع لمن هو محرور رطب، و يسمى عند الهنود كيورا.

تاريخ المستبصر، ص: ۹۹

صفة زبيد

سماها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أرض الحصيب، لأن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال لمعاذ بن جبل: يا معاذ، إذا وصلت أرض الحصيب فهرول، فإن بها نساء يشبهن حور العين. قال الهبيتى:

و قل لجناتها سأبدلهاسيلا كسيل مأرب عرما

أيشرب الخمر فى ربا عدنو السمر و البيض فى الحصيب ظما

و له أيضا:

و لرب يوم بالحصيب وردتّهابالقطب كان على الأعاجم أكره

و عواصف بحصيبة عصفت علىحبشانها و على الدعى الوهوه

و لابن المجاور:

محب و محبوب قضى الدهر فيهمابعد و هل للشمل جمع مهذب

فها ذاك فى أرض الحجاز موسوسو هذاك فى أرض الحصيب معذّب

و تسمى أرضها تهامة، و أما تهامة فإنها قطعة من اليمن و هى جبال مشتبكة، و كلها مشرف على بحر القلزم[۳۵] مما يلى غربيها، و شرقيها بناحية صعدة و حرض و نجران، و شماليها حدود مكة، و جنوبيها من صنعاء على نحو عشر مراحل،

تاريخ المستبصر، ص: ۱۰۰

و تسمى فى عدن الشام و تسمى فى المهجم اليمن، و تسمى عند آل عمران كوش، و تسمى باللغة المعروفة زبيد، من إقليم اليمن لأنها أيمن القبلة.

و قال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» و المعنى فى قوله لأويس القرنى و كان يتنفس شوقا إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و لأجل هذا أخبر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بهذا الخبر.

و قال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «الكعبة يمانية، و الركن الأيمن يمانى، و الإيمان يمانى».

و ذكر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى معنى اليمن أخبارا كثيرة، و يقال: سهيل اليمن و جزع اليمن و عقيق اليمن، و قال الشاعر:

بعدت و رب العرش عمن تحبهواك عراقى و أنت يمانى

و قال آخر:

قالت لأخت لها تبدى مراجعةو ما أرادت بها إلا لتقلقنى

باللّه قولى له من غير معتبةماذا أردت بطول المكث فى اليمن

و قال آخر:

و ما غريب و إن أبدى تجلدهإلا سيذكر بعد الغربة الوطنا

إلا العراقى و المصرى فإنهمالا يرجعان إذا ما شارفا اليمنا

و قال قيس بن الملوح العامرى:

ألا لا أحب النسر إلا مصاعداو لا البرق إلا أن يكون يمانيا

و قال ابن المجاور:

كرا من بر اين همى نبستم‌جرا ديده أم چون عدن

تاريخ المستبصر، ص: ۱۰۱

آه ابن آدم بسوزد هرچه هست‌و آه واه ويلى مخ اردان سمن

و للحسام الكرمانى:

كفتم: رخ تو چيست؟ كل سرخ يا ياسمين؟كفتا: كليست ريخته بر برك ياسمين

كفتم: به شكر است لبان تو يا عقيق؟كفتا: به شكر است و عقيقى نه از يمن

تفسير هذا الشعر الفارسى الذى للحسام الكرمانى باللغة العربية:

قلت له: وجهك الورد أو الياسمين؟ فقال: هو الورد المنثور على ورق الياسمين، قلت له: شفاهك السكر أو العقيق؟ فقال: هو السكر و العقيق لا العقيق الذى فى اليمن، أى المكان الذى يسمى عقيق اليمن.

و لابن الرجا:

ز آن عارض چون آتش و آن خط چو نسرين‌خوانند بهارى بهمه انجمن او را

اين بار عجب تركى بجهره چو بهارست‌و آنكاه برخساره سهيل يمن او را

تفسير هذين البيتين باللغة العربية:

من الخد النارى و الخط النسرينى يدعى الروض فى كل محفل، و العجب من ذا أن خده كالروض و وجنته كسهيل اليمانى.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۰۲

و ظاهر هذه البلد حار و باطنها بارد ياس وجوها مضر بالزعفران لأنه يسوس فى أيام قلائل، و الأصح أن الزعفران يرجع يابسا من ذاته إذا فتح رأس الكيس طار اليابس فى الجو و هو الزعفران و الجسد لا يزال يحول إلى أن يرجع تراب تارب، و ماء البلد من الآبار، و أهلها سمر كحل كواسج ضعاف التركيب محلقين الرءوس، و كذلك جميع المغرب و الإسكندرية و أهل مكة و الحبشة و البجاة، لم يحلق المرء رأسه حتى يقتل إنسانا، و نساء الزنجبار و الجوار الزنوج و أهل خوارزم و شعشعين و بلغار و بقابه و اللابن و الدباليه، و جميع هؤلاء القضاة منهم و الصوفية و الأئمة و العامة كبعض الحجاج، كما قال اللّه عز و جل: مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ[۳۶] و الأطفال و اليهود و حجاج الهنود و جميع أعمال اليمن من أهل الجبال و التهائم، و نساؤهم خلقات وهن رخوات التكك، و فى كلامهم كثر غنج و هذا دليل على أن شهوة نسائهم أغلب من شهوة رجالهم، فلذلك يستعملون الطيب لأنه يهيج الباه.

و قال مكحول الشأمى: عليكم بالطيب فإنه من طاب ريحه زاد عقله، و من نظف ثوبه قل همه، و قال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه: لو كنت تاجرا لما اخترت على العطر شيئا، إن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه.

و نساء أهل هذه البلاد لا يأخذن من أزواجهن المهر، و أخذ المهر عندهم عيب عظيم، و كل امرأة تأخذ المهر من زوجها يسمونها مفروكة، أى إن زوجها أعطاها مهرها و فركها، أى طلقها، فإذا رجع الأمر إلى ذلك تقل رغبة الرجال فيها لأن الزوج الآتى يقول: أخاف أن تأخذ منى المهر كما أخذت من غيرى، و قد

تاريخ المستبصر، ص: ۱۰۳

لا يكون للرجال طاعة فى أداء المهر و تقول النسوة فيما بينهن: إن ما قدر زوجها يخرجها من عنده إلا بمهرها لقلة رغبته فيها فيركبها العار.

فإذا أراد رجل يتزوج امرأة تجىء نساء الحافة بلا مخافة إلى المرأة و يقلن لها:

افركى زوجك قبل أن يفركك، أى: هبى له المهر و اخرجى قبل أن يزن المهر و يخرجك، و يفعلون الطرح فى الأفراح و الأعراس على ما تقدم ذكره فى صفة مكة.

فإذا أعطت المرأة فى عرس رد إليها فى عرس مثله، و إن كان فى ختان رد إليها فى ختان، و إن كان فى الولادة رد إليها فى الولادة، و لم يرد الشىء إلا فى الوجه الذى كان منه و فيه بعينه.

و حدثنى أحمد بن مسعود قال: و لم تفسد المرأة فى اليمن إلا من جهة الطرح، قلت: و لم ذاك؟ قال: لأنه يكون للنساء عليها سلف و لم يكن معها ما تقضى به الذى عليها فتخرج على وجهها إلى غير طريق فتهيم فتحتاج فتكتب لهم إلى أن يحصل لها شىء فترد مال الناس الذى عليها، و ليس يقبل منها يمين و لا شاهد إلا قول المرأة على المرأة مصدق.

و يخضب الرجال أيديهم و أرجلهم، و طبيخهم الملوخية، و مأكولهم الدخن و الذرة، و يعمل منه الخفوش و الكبان و اللحوح و الفطير، يأكلونه باللبن، و السمك و يسمونه الملتح، و الجبن و الموز و القند و الحليب، و ليس لهم حديث سوى الأكل، يقول زيد لعمرو: ما تصبّحت اليوم؟ يقول: فطير دخن و قطيب، أو: ملتح و سليط و يقول مضر لجعفر: ما تعوفت؟ يقول: رغيف خبز بر بفلس و قطعة حلاوة بأربعة فلوس، فصار المبلغ ستة فلوس [كذا] و يقول خالد لزيد: إنى أكلت اليوم أكلة

تاريخ المستبصر، ص: ۱۰۴

تكفينى ثلاثة أيام، فطير و حليب و قند شرقى و ترفت إلى أن شبعت، و فى ذلك أنشد على بن أبى على السنوى يقول:

قلت يوما لرتم ذات إعجابو ذات صدر رحيب ذات إكعاب

و ذات قد رشيق كالقضيب إذاما ماد من فوق دعص الرمل ريّاب

و قد أشارت بكف و هى معرضةو أقبلت مثل ظبى بين أسراب

ترید منى وصالا؟ قلت: يا سكنىرفقّا علىّ فإن الجوع أزرى بى

خذى الثريد إذا ما جئت مقبلةنحوى و لا تأخذى مسكا و أطياب

و استعملى من فطير الدخن مع لبنو صابحينى به صبحا على الباب

فإن قلبى إلى حب الفطير صباو ليس قلبى إلى حب النسا صابى

و فواكههم البطيخ و الموز و العنب، و البطيخ يسمونه البرطيخ، و القثاء و الخيار و يأكلون بطيخ الدباء مشوى فى التنور، و ينادى عليه: دباء حب حب، كثير الماء قليل الحب، و مشمومهم البعيثران و هو الشيح الأبيض و ثمر الحناء و هو الحنون.

قال ابن المجاور: و أول ما شممته بمولتان و ذلك أن المولى عز الدين شمس الملك ملك التجار يحيى بن أسعد البلدى ناولنى ثلاث أو أربع طاقات، و ما كنت قبل ذلك رأيته و لا شممته، فقال لى: ما هذا؟ فقلت له: ثمر الحناء، قال: و بم عرفته؟ قلت: لثلاثة وجوه: للونه و رائحته و برودته، و قد تقدم ذكره.

و أول ما رأيته فى الديبول سنة ثمانى عشرة و ستمائة، و خاصيته أنه إذا كان مع زيد شمه عمرو، و البنفسج لم تعبق رائحته إلا مع الرجال، و لم تعبق روائح البرم إلا مع النساء، و الحباق، و هو الريحان، و يسمى وردة الحماحم.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۰۵

و أسامى أهل هذه البلاد

حنكاس و يعفر و غسطيط و زبرقان و زنقل و دعص و محلس و زبير و حمسيس و عطعط و دعدع و برياح و جدير و مابس و شقداف و عطوط و دعّاس و بليسه و مطعون و مطحون و محمطة و فنتاص و طى و صبيعة و سندع و قبيع و عرطبيع و يكمى و جرياح و قعص و يعماب و سحوا و ربطح و شمم و عبور و مبدع و الحبوب و رعية و حنبل و فحم و جحوش و أبجر و قعيش و سحدر و فشلى و كسكاش و فاوا و مرسب و فخم و دنكل و كعدل و رلينا و كليبى و رقرق.

و يقدمون أهل هذه البلاد الهاء على الواو فى هجاء حروف المعجم خلاف جميع الناس كما يقال: واو هاء، و هو: هاء واو.

حدثنى محمد بن أبى سعيد القاضى الرازى قال: سمعت ببعض البلاد يهجون الصبيان على هذا و نوافقهم على هجائهم، و ما هجاؤهم إلا أصح، قال: و لم؟ قال:

هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ[۳۷] قال: بل هجاؤنا أصح: وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ وَ يَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ[۳۸].

و غالب البلد على مذهب سراج الأمة أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى التابعى، رضى اللّه عنه، و ما يقوم سوق البز فى هذه البلدة إلا وقت القائلة بعد صلاة الظهر، لأن جميع الناس بيعهم على العشيرة، لأن أحدهم يدخل و معه شىء يريد

تاريخ المستبصر، ص: ۱۰۶

بيعه، فإذا باعه و حصل ثمنه يكون قد قارب الظهر و يتغدى و يدخل السوق، و كل أرباب البيوتات حكارين الغلال مثل الدخن و الذرة و الجلجلان و هو السمسم.

و يتعاملون الجند العشرة بخمسة عشر إلى مدة ستة أشهر وقت الغلال، و تكال الغلال بالمد، و المد اثنان و ثلاثون ثمنّا، كل ثمن اثنان و ثلاثون زبدى، كل زبدى منّ، كل من رطلان، كل رطل مائة و عشرون درهما، كل درهم ثلاثة عشر قيراطا، و يسوى الدينار المصرى أربعة دنانير و نصف ملكى، و الدينار أربعة دراهم، كل ربع ثلاثة جوّز، كل جائز ثمانية فلوس، كل فلس أربعة دوارس.

و أول من ضرب الدرهم الكبير الملك المعز إسماعيل بن طغتكين وزنته ثلاثة عشر قيراطا، و فى الأول كانت الدراهم العباسية و بعده السيفى وزنه أربعة قراريط و حبة، و يباع الشيرج بجرة و السمن بجمنة، كل جمنة خمسة أمنان، و من الحرير مائتان و ستون درهما، و من اللحم أربعمائة درهم، و تباع العصارة و القطن و الهدس و الشيذر بالمد له عن خمسة أمنان بالكبير، و سنجة عدن أقوى من سنجة زبيد بشىء يسير، و تخرج من زبيد البردة ثمانية أذرع باليد و يشد حملها مائة و اثنان و عشرون بردة شد الشحر.

و شقق الحرير و البيض طول الشقة عشرون ذراعا بالحديد، و طول البيرم ستة أذرع و السباعية سبعة أذرع، و هى صنفان: أحدهما حرير صرف، و الثانى خلط حرير و كتان فى عرض أربعة أذرع، و الملايات و الجراب وفوط سوسى.

و الزنجيل المربا لونان: المقصوص منه قليل العسل و المطحون هو الجيد، و التمر الهندى أجوده المقلس، و الأدم يباع بالعدد، و ضمان المدبغة ثلاثة عشر ألف دينار،

تاريخ المستبصر، ص: ۱۰۷

و يخرج إلى الحجاز التمر و الدخن و الذرة و يؤخذ إلى الحبشة الجوارى العشارية و الخرز و ضمان البلد سنابيق الصيادين و الجالة و الخضر و البقول التى تباع مع الغلال، و ما يدخل من الباب تسعون ألف دينار ملكى، و ضمان دار الضرب ثلاثة عشر ألف دينار، و

دار النبيذ اثنا عشر ألف دينار، و ضمان النخل مائة ألف دينار، و اللّه أعلم و أحكم.

من المهجم إلى زبيد

اشارة

إلى الكدراء خمس فراسخ.

ذكر المغلف و الأسيخلة

هما قريتان من أعمال الجنّة، تسمى إحداهما المغلف و الثانية الأسيخلة، فبينما القوم فيما هم عليه من أحوالهم، الرجال تحرث، و النساء تغزل، و الحمير تتناهق، و الكلاب تتنابح، إذا ارتفعوا من الأرض إلى الجو، رجالهم و نساؤهم، و غابوا عن أعين الخلق إلى يوم القيامة، و لم يدر أحد ما أصابهم و لا ما فعل اللّه بهم و لا ما كان منهم، سنة أربع و ستين و خمسمائة، فبقوا مثلا إلى يوم الدين، فيقال: طار بك برق المغلف و الأسيخلة.

و خسف بقرية العمالق من أعمال الأشعوب يمانى صنعاء، و أصبح الصباح و لم يوجد عن القرية و أهلها و دوابهم من يخبر، سنة خمس و ستين و أربعمائة، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۰۸

و إلى المهجم ستة فراسخ و هذا يكون بساقات عشيرة اليمن برص لكثرة أكلهم اللبن و السمك تغلب عليهم الرطوبات فيظهر عليهم ذلك، و الأصح أنهم قليلون الكلف فى أصناف الأمور لتخليتهم الخبز و الأدم مكشوف و البلاد حارة كثيرة الأوزاغ، فإذا خلى رأس الإناء أو الطعام مكشوف يأكل الوزغ منه فيبقى أثر لعاب فيه فمن أكله ظهر به برص، و يقال: إنه طير شبه النامس أصفر اللون و يسمى البرة إذا قرص إنسانا على الريق ظهرت فيه هذه العاهة و الآفة، و يقال يظهر فيه داء الفيل، و اللّه أعلم.

من زبيد إلى عدن على طريق الساحل

اشارة

من زبيد إلى المزيحفة فرسخ، و ما سميت المزيحفة مزيحفة إلا أنه كان فى قربها حلة عرب نزّال ببيوت شعر فانتقلوا من الحلة إلى هذا المكان فكان يعرف المكان بالمزيحفة، كما يقال: زحف فلان إلى فلان، أى انتقل، و بنى بها موسى ابن الجبلى مسجدا من الآجر و الجص.

و ليس فى الجوالى ثغر أطيب منه و لا فى وادى زبيد، و شجرها الإهليلج، و إلى السحارى ثلاث فراسخ، و يعرس عويد و الشكالين و الريبة و العريقين، و هى ثلاث رواب ذات شجر و أراك، و السحارى على ساحل البحر ذات نخل شامخات.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۰۹

ذكر بيع النخل

غرس أبو القاسم و يعقوب، ولدا قونفر، هذا النخل و نشأ النخل و طار له صيت، فسمع بخبره أتابك سنقر فقال للعمال: حيفوا عليهم فى العدد و اظلموهم فى خراجه، فلما فعل العمال بهم ذلك استغاثوا مما جرى عليهم من العمال، فقال لهم أتابك سنقر: بيعونى و أريحوا أنفسكم من ظلمة فقالوا له: اشتر منا على وجه الجرد، فقال لهم: بعتمونى كل نخلة منه بدرهم؟ فقالوا: قد بعناك، فقال لمن

حضر: اشهدوا على أنى اشتريت منهم، و أمر بعد النخل فصح عده ألفى عود، فأعطاهم خمسمائة دينار، و النخل قطعتان، تسمى إحداهما الفازة و الثانية القبة.

فلما قبضه الأمير ندما على ما صنعا و استقالوا منه فأبى أن يقيلهم، فلما رأى أحدهم عين الغبن حمل على الأمير فطعنه على قلبه فمات، و بقى النخل سلطانيا إلى الآن ولن تحل نخلة إلا من بعده، و ليس فى جميع هذه الأعمال أحسن من هذا النخل و لا أصح من غرسه و نشوه.

و يقال: إنما ظلم سيف الدين سنقر إلا أصحاب المملاح بعدن، و أصحاب هذا النخل من دون الخلق.

و إلى الخوهة نصف فرسخ، و بها مسجد مربع بناه الحسين بن سلامة، و فى صحن المسجد صخرة مربعة، و فى الصخرة وطأة ناقة معاذ بن جبل رضى اللّه عنه.

و فى المسجد سر عظيم: إذا كان فى القرية خوف رمى أهل القرية ما كان

تاريخ المستبصر، ص: ۱۱۰

معهم من المتاع و الأثاث فى المسجد و تنجوا بأرواحهم، فإذا دخل أهل الشر إلى المسجد لم يؤخذ من المتاع شىء و يعمى اللّه تعالى أبصارهم.

و يقال: إن المسجد يغيب عن أعين الناس، فإذا نام به رجل لم يكن طاهر السبب يرى وجهه يرمى به عند البئر ظاهر المسجد.

و يؤخذ منها مكس عن كل حمل السدس مع جبا صنابيق الصيادين، كل شهر سبعون دينارا.

و إلى موشج فرسخ، قرية ذات نخل شامخات، و إلى الحليلة فرسخان بين رمال و حصى و أشجار، و بها يعمل القلا و هو الحطم، و منه يجلب إلى سائر أقاليم اليمن، و يكون فيها الصبايا الملاح و النساء الصباح، و فيهن ذات فسق، و فيهن ذات صلاح، يكتمن العشق المباح، قال:

أمحسن فى واحجهو فى نواحى أمجدون

و فى الحليلة أكثرهلكنهم يعجّلون

و سألت أهلها عمن بناها فقالوا: لم نعلم، بل إن جدودنا كانوا قوم بدو دخلوا هذه القرية فوجدوها خالية من السكان فلما استطابوا بها سكنوها فتوطنوها.

و إلى موزع ثلاث فراسخ، و هى أرض مهلهل و كليب، و بها كانت حرب البسوس.

و كانت فيما تقدم من الأيام هذه الأعمال أعمال بنى مجيد بنوا بها القليعة، فخربت القليعة لاختلاف أهلها، و سكن بعدهم جماعة من أهل جزيرة فرسان فى أواخر أيام سيف الإسلام طغتكين بن أيوب و بقيت فى أيديهم إلى الآن، و يؤخذ بها

تاريخ المستبصر، ص: ۱۱۱

مكس من كل حمل نصف ربع، و ثغر بين الربدة و بين مرسان و السالمية و الاسجار و النجاجبة و الفريملة.

و إلى العمرية ثلاث فراسخ حفرتين فى واد، و اشتهر هذا الوادى بهذا الاسم، على ما ذكره غزى بن أبى بكر الحجازى أن امرأة جاءت بهذا الوادى تسمى عمرية فأصابها عطش شديد فصعدت إلى ذروة هذا الجبل على إثر سيل السيل من فضل الغيوث فحسبته ماء، فلما وصلته أيست فماتت من شدة العطش، فعرف الوادى و الجبل بهذا الاسم يعنى اسم عمرية، و حفرت البئر بعد الموت و سميت البئر باسم الجبل، كما قال:

تحيرت فى أمرى و إنى لذائبأدير وجوه الرأى فيه و لم أدر

أ أعزم عزم الناس و الصبر دونهأم أقنع بالإعراض و النظر الشزر

فديتك لم أصبر ولى فيك حيلةو لكن دعانى اليأس منك إلى الصبر
تصبرت مغلوبا و إنى لموجع كما صبر العطشان فى البلد القفر

و قال رويهٔ النكبى:
كذرى پيش من نكاه كتم سوى رخسار تو ربوده دلى همجو در دشت كربلا سوى آب نكه تشنكى حسين على

تفسير هذين البيتين باللغهٔ العربيهٔ يقول: تمر بى و أنا أنظر إلى وجهك و أنا مسلوب الفؤاد كما كان ينظر الحسين بن على فى كربلاء من عطشه إلى الماء.
و إلى عبرهٔ ثلاث فراسخ، بئر حفرت فى بطن واد مشرف على البحر المالح،
تاريخ المستبصر، ص: ۱۱۲
و ما سميت بهذا الاسم إلا أن ماءها يشابه عبرهٔ الإنسان فى الصفا، و يقال: بل عبرهٔ تعبرها القوافل، و كان السبب على ما حكى غزيّ بن أبى بكر الحجازى أن أهلها كانوا جبابرهٔ، و من جملهٔ خبرهم أنه إذا ضاق على أحدهم الرزق من وجوه الشقا و الكد و الطلب لم يستحسن يطلب من أحد و لا يبذل ماء وجهه إلى أحد فكان يحفر حفرهٔ كبيرهٔ يدخل فيها هو و من معه و يموتون جميعا لئلا يعلم بحالهم عدو يفرح أو صديق يهتم، كما قيل:
و كم قد رأينا من فتّى متجملايروح و يغدو ليس يملك درهما
يراعى نجوم الليل مما يصيبهو يصبح يلقى ضاحكا متبسما
و لا يسأل الإخوان ما فى يديهمو لو مات جوعا عفهٔ و تكرّما

و قبور القوم باقيهٔ فى ما بين كل قبر منها مقدار دار عظيم، فسميت العبرهٔ، فاعتبروا يا أولى الأبصار، و لم يتحقق عند ابن المجاور أنهم كانوا مسلمين أو غيرهم من أهل بعض الأديان، و بقى آثار الخسف و الحجار بها.
فصل: حدثنى بدوى من أهل البلاد بهذا المنزل سنهٔ تسع عشرهٔ و ستمائهٔ أنه جاز بهذه البئر رجل غريب فسألنى عن جبل الحايلهٔ و نجوان و الناجيهٔ فأنبأته عن الثلاثهٔ الجبال فقلت له: ما شأنك تسأل عن هذه الجبال؟ قال: إنى قرأت فى بعض الكتب أن ما ينجو فى آخر العهد إلا من سكن هذه الثلاثهٔ الجبال، فقلت له: فأى الجبال هم؟ فقال: نجوان، و هو جبل بنى عليه حصن عزان، و الجبلان الآخران بقربه، و اللّه أعلم.
تاريخ المستبصر، ص: ۱۱۳

صفهٔ باب المندب

لم يكن هذا البحر بحرا فى قديم العهد، أعنى بحر القلزم، و إنما هو بحر مستجد، فتحه ذو القرنين، و يقال: بعض التابعهٔ، و كان الموجب على ما ذكره جماعهٔ من أهل البلاد، منهم: الأمير أبو الطامى جياش بن نجاح فى كتاب المفيد فى أخبار زبيد، قال: لما وصل ذو القرنين إلى هذا الوادى نظر فوجد به شدهٔ الحر ففتحه، أى نقر صدر الوادى، فخرج البحر و خرج عرق منه إلى القلزم و وقف عنده.
و يقال: إن أرض الحبشهٔ كانت متصلهٔ ببلاد العرب، فقال ذو القرنين: أردنا أن نفرق ما بين الإقليمين ليعرف كلّ صاحبه و يجوز كلّ أرضه و بلاده و ينقطع ما بين القوم من التغلب و التعدى.

فلما فتح البحر افترق الإقليمان كل إقليم بذاته، فصارت الحبشة تخوض البحر بالخيل و الرجل تغزو أرض العرب، و بنى بعض العرب على جبل المندب حصنا يسمى بعد و مد بسلسلة من بر العرب إلى بر الحبشة معارض، فكل مركب يصل يمر تحت السلسلة حتى كان يخرج منه، و يسافر إلى أى جهة شاء و أراد، و بقى الحصن على حاله إلى أن هدمه التبابعة ملوك الجبل، و يقال: بنو زريع ملوك عدن، و الأصح الحبشة ملوك زبيد، و رفعت السلسلة، و بقى أثرها إلى الآن.

و يقال: إن فى ذلك الزمان ما كان لسفارة البحر جواز إلا على باب المندب، لأنه كان أغزر موضع فى البحر، و كان ما بقى منه أفشات و وضح و بطون و الأولاد

تاريخ المستبصر، ص: ۱۱۴

يلعب الماء بها، و الآن صارت المراكب تسافر من وراء ظهره، و هو بحر عميق طويل عريض لكثرة المياه، و لزيادة المياه و نذكر ما بقى إذا وصلنا عدن، و يوجد فى سواحله العنبر و غالب ما يجده الصيادون.

ذكر الفقرات

و فى أواخر بطن الوادى، يعنى العمرية، ثلاث تلال حصّا يكون بين كل واحدة إلى الأخرى مقدار ثلاثين ذراعا زائدا لا ناقصا، فسألت عن حالهم فقال لى بعض الحمالين: إن هذه التلول أثر ثلاث فقرات فقرها بعض الجبابرة فى زمن الجاهلية، على كل فقرة تل حصا ليعرف، و هى من جملة العجائب، و ثغر بين المأجلية و بين السقيا، و يسمى هذا الخبت مطارا لأن ما يروى بها أهلها الماء إلا أيام المطارات، و على عين الدرب أثر مسجد فيه أثر ناقة معاذ بن جبل، رضى اللّه عنه، و هو موضع فاضل.

و إلى العارة ثلاث فراسخ.

بناء المزدوية المرة

فلما قتل النجاشى بأرض الحبشة و نجا من نجا من القتل و سكن هذه البلد سميت المزدوية لأنهم ازدووا بأرواحهم لئلا تعطب كمولاهم و سلامة خدامه دون الغير.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۱۵

قال ابن المجاور: و ما سميت المرة إلا أن حياتهم رجعت مرة لتشتتهم من أرضهم و بلادهم و مفارقة الأهل و الولد، فلما انقرضت تلك الأمة سكنها قوم عرب سموهم المربين، و بقوا سكانها إلى أن حجزت البلاد و ضاعت العباد فارتحلوا منها.

حدثنى ريحان، مولى على بن مسعود بن على، قال: إنهم نزلوا بربرة و أعمالها و بقى نسلهم فى بر السودان المعروفين بالمربين، و هم الآن ذوو قبائل و عشائر، و بنت بعدهم العرب مدينة الأخضرين فوق العارة.

حدثنى يوسف بن حميسيس بن أبى بكر قال: إنه كان مسكن الصيادين، و الدليل على ذلك أنهم إلى الآن يجدون عظام السمك.

حدثنى موسى بن ديفل قال: بل كانت مدينة عظيمة، فلما خربت بناها الفرس الواردون من أهل سيراف المنذرية تحت العارة على هذا البحر، و بها آثار جامعين كبيرين و مساجد و طواحين الغلال و طواحين القرظ ترى بين شجر الأراك.

قال ابن المجاور: و كل مدينة بناها الفرس من أهل سيراف بنوا فيها المدابغ و عملوا بها طواحين القرظ، و لا شك أن القوم كانوا دباغين.

و قال حكيم: لم يخرج من اليمن إلا وغد أو رائض قرد أو دابغ جلد.

و قال لى أخى أحمد بن محمد بن مسعود: و كيف هذا؟ قلت: كانوا يدبغون الأدم و يجلب إليهم من أعلى مكة و نجران إلى عمان و من حلى بنى زهرة إلى كرمان و من كبس و جناتة و فارس و من بنى مكرمان و من زيلع و رحيتو و المنذرية من عدن إلى مكة، و

كان ينزف جميع هذا الأدم إلى العراق و خراسان و كرمان و ما وراء

تاريخ المستبصر، ص: ۱۱۶

النهر و خوارزم و هجر فكان يتفرق فى أقاصى الأرض و دانيها، و ما كان يبان كما ينزف فى عصرنا هذا للقوة من ما بين سائر الأمكنة برّا و بحرا إلى الهند، و لم يؤثر جميع ذلك فيها أثرا كما يقال: لا تنظر إلى طول المنارة و لكن انظر إلى الجامع.

ذكر حشمة أهل المنذرية

حدثنى رجل من أهل الحجاز قال: إنما كان مأكول الفرس من أهل سيراف السمك الضيراك، ففى بعض الفصول يعدم فعند عدمه خرج غلامان لتاجرين ليشتريا ضيراكا، إذ أقبل الصيادون بضيراك فتزايد فيه الغلامان إلى أن بلّغوه ألف درهم فاشتراه أحدهما، فلما دخل الغلام بالحوت على سيده استحسن منه ذلك و أعتقه و أعطاه ألف درهم يتعيش منها، و أما ما كان من الغلام الآخر فإن سيده من غيظه عليه أهانه غاية الإهانة، لما أن غلام زيد غلبه فى الشطارة.

حدثنى أحمد بن سلطان المجيدى قال: إنما أخرب المنذرية على بن مهدى سنة أربع و خمسين و خمسمائة، و يقال: إن بنى مجيد بنوا البلاد و بقوا على ما هم عليه إلى أن قحطت البلاد و جاعت العباد، و يقال: إنهم افترقوا ذات اليمين و ذات الشمال و بقيت خرابا فجاء الحجازيون فاستعاروا الأرض من بنى مجيد، فوافق ذلك الموضع الحجازيين و قويت أيديهم عليها لما أخصبت البلاد و شبع العباد، فرجع بنو مجيد إلى بلادهم و أوطانهم فقاتلهم الحجازيون و أنكروهم و أخرجوهم من ديارهم كرها من غير رضى، فلما عجز بنو مجيد عن مكافاتهم تفرقوا ثلاث فرق: فرقة

تاريخ المستبصر، ص: ۱۱۷

سكنوا زيلع، و فرقة سكنوا ظفار، و فرقة سكنوا مقدشوه، و بقى شرذمة منهم فى الجابية.

قال:

تفانى الرجال على حبهاو لا يحصلون على طائل

و لعبد آل عامر يقول:

ألا إن لى دينا من أيام ذى اللوىو دينا من أيام الحسين و آكد

أسايل ذا دينى أضافه عند ذاو ذا جاحد دينى كما ذاك جاحد

و أهلها صيادون حمّارون و هم قوم ثقاة أخيار، رجال فحول، مأكولهم السمك، لا غير، و جميع عرب أهل هذه الأعمال الجبال مع التهائم إلى حدود الحجاز لا يقبل أحدهم حكم الشرع و إنما يرضون بحكم المنع، و لا شك أنه حكم الجاهلية الذى كانوا يتحاكمون به عند الكهنة و يمامة الزرقاء، و يقال: إن اليمامة قبل الإسلام، فإذا حكم الشيخ حكما فى المنع فى أحد من العرب بضرب العنق لم يقدر على الهرب، و لو أراد الهرب لما أمكن إلا أن يمد عنقه و يرضى بالقضاء، فإذا و فى بما عليه نادى مناد فى سائر العرب و فى كل مجمع: ألا إن فلان بن فلان طاب بطيب العرب، فيرد عليه كل من سمعه: جاد الفتى.

و كان يؤخذ فى العارة من كل حمل نصف و ربع من ضمان العشر و سنابيق الصيادين و القفول الواردة من عدن إلى زبيد و الصادرين من زبيد إلى عدن و مراكب الزيالع القادمين من أرض الحبشة كل عام بألف و مائتى دينار، فأزيل جميع ما ذكرناه سنة عشرين و ستمائة، و أعيد هذا الرسم سنة أربع و عشرين و ستمائة، و صعد الضمان

تاريخ المستبصر، ص: ۱۱۸

ألف و سبعمائة دينار، و يقال: إن أول من سعى فى ضمان القرية عبد اللّه بن أبى بكر الأحوزى و بقى يجبى إلى يوم الدين، و للشريف الرضى يقول فى مثل هذا:

من لم يكن عنصره طيبلم يخرج الطيب من فيه

كل امرى يعجبه فعلهقد ينضح المرء بما فيه

من العارة إلى الحليلة راجعا على درب الكديحا

من العارة إلى عثر ثلاث فراسخ، و هى قرية على ساحل البحر، و يوجد فيها ما لم يوجد فى موزع، و بغير المخاء و هو مرسّى دفىء، و ما اشتق اسمها عند العرب مخا إلا أنها لا تمضغ كما لا تمضغ المخاء، و هى طريق الأصل و عليها كان المعول فى مسير القوافل فى سالف الدهر لأنه أقرب طريق و أبرد لهواء الساحل و البحر، و إلى الحليلة ثلاث فراسخ، و يعرف ... و هو مجمع الطريقين.

من العارة إلى المفاليس

اشارة

من العارة إلى ترن ثلاث فراسخ.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۱۹

ذكر ترن

أهل ترن أصلهم من امرأة خرجت من البحر تسمى الفالقة سكنت البر و تزوجت رجلا من وجوه العرب، أسكنها العربى أرض ترن و رزق منها أولادا إناثا و ذكورا.

قالت العرب: إن أهل ترن من نسل العربى و المرأة، يعنى الفالقة، و كان إذا جاءهم سيل عظيم و مال عن جريه ليسقى به موضع آخر كانت تقعد فى بطن الوادى و تسده من عظيم خلقها و كبر جثتها و ترد الماء إلى المجرى القديم المعتاد فتسقى الأرض من جريه، و كان تبقى على حالها إلى أن تسقى للناس الأرض كلها، فإذا رويت الأرض و استغنت الناس عن ماء السيل تقوم حينئذ من مقعدها فيجرى ما فضل من ماء السيل إلى البحر، و يقال: إنها كانت ساحرة.

قلت لعمرو بن على بن مقبل: ما فعل اللّه بفالقة؟ قال: إنها إلى الآن تعيش، قلت: و أين تسكن؟ قال: بوادى قطينة، قلت: و أين الوادى؟ قال: فى أعمال ترن، و لم تمت و إلى يوم القيامة، قلت: هل يراها أحد؟ قال: نعم، كل من قرب أجله، قلت: و لم سميت هذه الأرض ترن؟ قال: لأن الخلق كانوا يتعجبون من عظم خلقها فكان زيد يقول لعمرو: ترن، أى تراها، فعرفت الأرض بهذا الاسم، و لهذا تقول العادة أنا النرنى، يسكن فخذ من فخوذ العرب أرض ترن، و لا شك أنهم بنو مجيد، و هم أهل أنعام و خيل و زرع و ضرع، لما كثر المال عليهم و حسن الحال بهم ركبوا على حين غفلة من الحجازيين و قتلوا جماعة منهم بعد أن أخذوا جميع ما كان معهم من المتاع و المال و الأثاث و عادوا منصورين، و بقى الحجازيون فى

تاريخ المستبصر، ص: ۱۲۰

العناء و التعب مدة عام كامل، و التأم خلق عظيم منهم و رجال من السكاسك فلان و فلان بن فلان من المعدودين كبسوا على أهل ترن سنة ستين و خمسمائة، فصار عادة القوم إذا انتسب أحدهم قال: أنا الترنى، يعنى من نسل القوم الذين حضروا الوقعة.

و ملك الحجازيون أرض ترن إلى الآن و جميع زروعهم فيها فصارت لهم مأوى و ملكا.

و إلى النّخيلة ثلاثة فراسخ، و إلى المفاليس ثلاثة فراسخ.

من العارة إلى تعز

من العارة إلى شعب أربع فراسخ، و إلى النية ثلاثة فراسخ، و إلى المحجاط ثلاثة فراسخ، و إلى الحصين فرسخان، و إلى العريش ثلاثة فراسخ، و إلى تعز فرسخان.

من العارة إلى عدن

اشارة

من العارة إلى الجابية فرسخ، و يقال: إنها من أعمال ترن، و ترن من أعمال العارة، و إلى بئر الصحبة ثلاثة فراسخ، و هى بئر حفرت فى آخر دولة بنى مهدى، و ثغر العرف و الحراجرة و الحجف و القعيعا و عويد و محاذا بئر صبيح على يسار المحجة جبل حرز، و يقال: جبل حريز، و ما عرف بهذا الاسم إلا أنه .. يسمى حرز و يقال:

بل جبل حريز، أى مكين، و اللّه أعلم بالصواب.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۲۱

صفة جبل حريز

هو جبل شامخ شاهق فى الهوى، و بالقرب منه جبل ذو ساح، أى ذو رأس، بنى عليه حصن يسمى الجاهلى، و يقال: الأزلى لقدمه، و الناس تصعد إليه، و الثانى لم يصعده إلا كل صالح و ولى.

حدثنى على بن صبيح العقولى أن سليمان بن داود، عليهما السلام، بنى فى إقليم اليمن ثلاثة حصون: بينون و غمدان و سلحين، و هذا الحصن يعنى القاعدة و هو أحكمهم، و ذلك لما تزوج سليمان، عليه السلام، ببلقيس فى أرض اليمن فأمر الجن أن تبنى هذه الحصون جميعها على هذا الوضع، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم بالغيب و أحكم.

و بقى الحصن على حاله إلى أن خرب و اندثر، و يقال: إن أبا الغيث بن سامر أراد عمارة هذا الحصن فى دولة الحرة السيدة بنت أحمد بن جعفر بن يعقوب بن موسى الصليحى بعد أن أحضر له آلة البناء، و تم له المقصود و ابتدأ فى البناء فطلع طلائع الجن فقتلوا جميع القوم فى المكان، و بعده أراد عمارة هذا الحصن الداعى سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحى، و يقال: الداعى سبأ بن أبى السعود بن الزريع ابن العباس بن المكرم، والى عدن من قبل الدولة الفاطمية، فلم يمكنوه الجن، و أراد إعادته بعدهم سيف الإسلام الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب فى دولة الملك الناصر أيوب بن طغتكين بن أيوب بن شاذى، فأشار عليه بعض الفضلاء بتركه.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۲۲

[صورة حصن القاعدة]

و صورة بنائه على هذا الوضع و الترتيب، كما تراه فى هذه الصفحة:

تاريخ المستبصر، ص: ۱۲۳

فقلت لعمرو بن على بن مقبل: هل فى ذروته عمارة؟ فقال: ما كان يسكنه إلا من خاف، و فيه آثار حيطان قد اندثرت و جدرات قد انهدمت و صهاريج قد خربت و درج قد تقلعت.

قلت: فهل كان عليه سور؟ قال: إن الجبل هو سور بذاته و إذا أصاب عرب هذا الزمان فى هذه البلاد خوف أو جور من السلطان صعدوا بأنعامهم و دوابهم إلى القاعدة و قعدوا بها إلى أن يأمن البلاد فحينئذ يطلبون البلاد، فإذا قل على سكانها الماء، يعنى من الصهاريج التى بها و هى خراب، أصعد إليها الماء من لحف الجبل من ثلاث آبار، إحداها بئر عبدل، مشرفة على المحجة، و الثانية بئر يعوم، و الثالثة بئر ثنية، فقلت: هذه الآبار حفرها الأوائل؟ قال: بل مستجدة استجدت فى هذا العصر.

صفة وادى عبرة

و الحصن مشرف على البحر و قد خرج فسطرس جبل باد فى البحر طول فرسخ طريق شبه خط الاستواء، و يقال: إن بانى الحصن أراد أن يخرب العاذ مما يلى المشرق إلى البحر و يدخل عليه فلم يقدر عليه لقوة الصخر، و كان غرضه أن يقطع الطريق على المراكب لأنه لو اتفق بهم لكان يستظهر على أخذ المراكب لصعوده فوق الريح و بقاء المراكب تحت الريح، فلما لم يتم له قال بتركه، و الآن هو مغاص اللؤلؤ الجيد، و بقى من الآبار بئر عبدل مع جبل الردادين، و بها كانت وقعة العرب مع العرب و هى وقعة مشهورة سنة خمس و سبعين و خمسمائة، و بئر أبى بكر شنلو العقرى و قد بنى على البئر مسجدا سنة اثنتين و عشرين و ستمائة.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۲۴

و إلى المزحجية ثلاث فراسخ، و هى بئر مالحة فى أرض عرب يقال لهم: العقار، و إلى البيضاء فرسخان، و تعرف بسبخة الغراب و تتسمى قاع الغراب، و قد كان عند البحر و على يسار الدرب بئر تسمى المخنق، بناها القائد حسين بن سلامة، و ليس فى الربع المسكون أحلى و لا أخف من مائها على الفؤاد، و جواز القوافل على ساحل البحر.

و إلى رباك فرسخان، و هى قرية كانت عامرة، و قد عمر بها الأمير ناصر الدين فاروت بستانا حسنا و حفر بها أنهارا و غرس بها النارنج و الأترج و الموز و النارجيل، و يقال: إن الناخوذة عمر الآمدى غرس شجر الشكى البركى، و هو شجر يخرج من بدن الشجر بخلاف جميع الأشجار، و البركى غرسه سنة خمس و عشرين و ستمائة، و حفر بها برك و بها حفرة تسمى حفرة الأسد فى سالف الدهر، كانت الخلق تحج إليها من أبين و لحج و ما حولها من القرى فى أول شهر اللّه الأصب رجب.

و إلى المكسر فرسخ، قنطرة بناها الفرس الذين تولوا عدن على سبع قواعد، و يقال: إنما بناها شداد بن عاد فى الأصل.

حدثنى يحيى بن يحيى بن على بن عبد الرحمن الزراد قال: إنما بناها رجل جبلى سنة خمسمائة، و يسمى المزف و كان فى الأول لا يعدون هذا الموضع إلا بسنابيق و كذلك الماء و الحطب.

و إلى جبل حديد نصف فرسخ، و يقال: إنه جبل حديد جاء بعض أرباب المخبرة و سبك من هذا الجبل بهارين و نصف حديد و غار المعدن عن أعين الخلق،

تاريخ المستبصر، ص: ۱۲۵

و يقال: إن الرجل السباك قتل لأجل سبكه الحديد، و فى لحفه مسجد بنى بالحجر و الجص.

و إلى المياه ربع فرسخ، و إلى عدن ربع فرسخ.

ذكر ما كانت عليه عدن فى قديم العهد

كان من القلزم إلى عدن إلى وراء جبل سقطرة كله بر واحد متصل لا فيه بحر و لا باحة، فجاء ذو القرنين فى دورانه و وصل إلى هذا الموضع ففتح و حفر خليجا فى البحر فجرى البحر فيه إلى أن وقف على جبل باب المندب فبقيت عدن فى البحر و هو مستدير حولها، و ما كان يبان من عدن سوى رءوس الجبال شبه الجزر.

و لنا على قولنا دليل واضح أن آثار ماء البحر و الموج باق بائن فى ذرى جبل العر، و الجبل الذى بنى على ذروته حصن التعكر و جبل

الأخضر.

و الدليل الثانى أن شداد بن عاد ما بنى إرم ذات العماد إلا ما بين اللخبة و لحج و بين المغاوى التى على طريق المفاليس، و هو الرمل الذى إلى جبل دار زينة، و ما بناها إلا فى أطيب الأراضى و الأهوية و الجو فى صفاء من الأرض بعيدا عن البحر، و الآن رجع البحر فى أطراف بلاد إرم ذات العماد و تناول البحر شيئا منه أخذة، و لم يكن بهذه الأرض بحر و إنما استجد بفتح ذى القرنين فمد من جزيرة سقطرة فساح إلى أن وقف أواخر المندب.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۲۶

و الدليل الثالث أن البحر الذى ما بين السرين وجدة يسمى مطارد الخيل و مرابط الخيل، و الأصل فيه أن العرب كانت تربط الخيل فى هذه الأرض، و الأصح أنهم كانوا يطاردون به الخيل لما لم يكن بحرا، و كان البحر أرضا يابسة، فلما فتح ذو القرنين باب المندب غرق جميع الأراضى و ما علا منها صارت جزرا فى ناحية البحر يسمى باسم الأصل مطارد الخيل.

و مما ذكره الأمير أبو الطامى جياش بن نجاح فى كتاب المفيد فى أخبار زبيد الأول، و هما كتابان: المفيد الأول الذى صنفه الأمير جياش، و الثانى صنفه فخر الدين أبو على عمارة بن محمد بن عمارة، فذكر الأمير جياش بن نجاح فى كتابه المفيد فى أخبار زبيد أن البحر كان مخاضة لقلة مائه فلذلك تغلبت الحبشة على جزيرة العرب حتى ملكوا صنعاء إلى حد إقليم العواهل و بقيت دولتهم فيها فى الكفر و الإسلام إلى أن أفناهم على بن مهدى سنة أربع و خمسين و خمسمائة، و فى عهده انقرضوا و زالت دولتهم مع شدة صولتهم.

نعود إلى ذكر ذى القرنين، كان البحر على حاله إلى أن فتح ذو القرنين باب المندب فجرى البحر فيه إلى أن وقف آخر القلزم فطال و عرض و ترخّى و انبسط و انفرش فبانت أرض عدن.

و مما ذكره أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه الكيسانى فى تفسيره قال: لما خرج شداد بن عاد من أرض اليمن طالبا أعمال حضر موت و وصل لحج فنظر جبل العر و عظمه من على مسافة بعيدة فقال لأعوانه: اغدوا أبصروا هذا الجبل و ما دونه! فلما عاينوا الموضع رجعوا و قالوا: إن هذا الموضع واد و فى بطنه شجر و فيه أفاع عظام

تاريخ المستبصر، ص: ۱۲۷

و هو مشرف على البحر المالح، فلما سمع بهذه المقالة نزل فى لحج و أمر بأن تحفر الآبار، التى هى الآن يشرب أهل عدن منها، و أمر أن ينقر له باب فى صدر الوادى.

صفة نقر الباب و حفر النهر

و أقام على حفر النهر و نقر الباب رجلين، قال حكماء الهند: هما عفريتان من الجن، و ما زال أحدهما ينقر الجبل و الثانى ابتدأ فى حفر النهر برأس سقطرة من أعمال لحج، و ما زال الرجلان يعملان فى النقر و الحفر إلى أن بقى عليهم من العمل شىء يسير، فقال الحجار: إنى إن شاء اللّه تعالى بالغد أفرغ، أى أتم عملى، فقال الحفار: و أنا بالغد أدخل الماء إلى عدن إن شاء اللّه أو لم يشأ، فانقطع النهر بعضه من بعض و انسد معين الماء من الأصل و ارتدم ما بناه، بعضه على بعض، و لم يصح منه شىء و لم تقم منه صورة و لا استقام منه مغنى، و وصل فى حفره إلى تحت جل الحديد و من عنده انقطع.

قال ابن المجاور: و رأيت آثار النهر بعينه مبنى بالحجر و الجص بناء محكما وثيقا فى عرض ذراع ما بين الماء و جبل الحديد و قد علاه البحر و لم يبن لناظره إلا إذا عرى البحر ماد شبه خط الاستواء داخل فى البحر.

قال فلما أصبح الحجار من الغد فتح نقر الباب و فتحة الباب و استقام له الأمر على ما أراد، و يقال: إنه بقى فى النقر مدة سبعين سنة حتى أتمه، فلما طال المقام فى حال القوام صار شداد بن عاد ينفذ إلى هذا المكان كل من وجب عليه الحبس

تاريخ المستبصر، ص: ۱۲۸

يحبسه فيه فبقى حبسا على حاله إلى آخر دولة الفراعنة الذين كانوا ولاة مصر، و بعد زوال دولتهم خرب المكان.

ذكر المدن التى كانت حبوسا للملوك

كسمر حبس سليمان بن داود، عليهما السلام، حصار بادى حبس ذى القرنين، ترمذ حبس الإسكندر، مولتان حبس الضحاك الساحر، آمل و سارى لكيكاوس بن كيقباد، حس حبس الروم، حصار طاق حبس بردسيار، مصر حبس أمير المؤمنين أبى محمد هارون الرشيد، مرو حبس أمير المؤمنين عبد اللّه المأمون، الشأم حبس الإمام الناصر لدين اللّه، و يقال: إن فيها سردابا إذا زادت الدجلة امتلأ و بقى المحبوسون وقوفا فى الماء إلى أن ينقص، فمن نداوة الماء و عفونة الأرض و ملوحة السبخة تنفطر جلود المحبوسين، و أكثر ما يعيش بها المحبوس شهر زمان، و نهاوند حبس السلطان معز الدين محمد بن سام، و لوحك حوران حبس السلطان بهرام شاه، و قلعة نصور حبس خسرو ملك بن خسرو شاه، و برعد حبس تاج الدين يلدز السلطانى، و كواليور حبس الملك قطب الدين أبى الفوارس أيبك الآملى، و عوض حبس السلطان شمس الدين إلتتمش، و هراة حبس السلطان غياث الدين محمد بن سام، و حصار هزاراسب حبس السلطان أبو الفتح محمد بن تكش، و كوشك سنه جواهران حبس طغرلبك شاه بن محمد، و دهلك حبس عبد الملك ابن مروان: و عيذاب حبس الخلفاء الفاطميين، و تعزّ حبس ملوك اليمن، و قوارير حبس بنى مهدى، و جبال برع حبس الملك الأعز على بن محمد الصليحى،

تاريخ المستبصر، ص: ۱۲۹

و سيراف حبس السلطان محمود بن محمد بن سام، و عدن حبس الفراعنة و رجعت من حبوس الفاطميين.

و قال الهنود: عدن حبس دس سر اسم جنى له عشرة رءوس من جملتهم الغزال در سير و كان يسكن جبل المنظر و يتفرج على رملة حقّات و سكن بعده هنومت حقات، و ما أخرجهم منها إلا سليمان بن داود، عليهما السلام، لما وصل أرض اليمن لأجل بلقيس، لأن هؤلاء القوم المقدم ذكرهم كانوا عفاريت، و ما سميت عدن عدن إلا بعدنان لما بناها سماها على اسم ابنه عدن، و ما اشتق عدن إلا من عاد، و يقال: أول من حبس بها رجل يقال له: عدن فسميت به.

قال ابن المجاور: و ما اشتق اسم عدن إلا من المعدن، و هو معدن الحديد.

و تسمى عند الفرس اخرسكين، و عند الهنود سيران، و عند السودان ... و تسمى عند التجار مأكل صبرة، و تسمى حبس فرعون و مقام الجن و ساحل البحر، و تسمى عند الهنود هتام، و عند الظرفاء سنداس، لأن كل ما يرميه الإنسان فى الأزيب يرده الكوس إلى اللحادوس.

و تسمى فرضة اليمن، و تسمى عند السوقة دار السعادة، دار بناه سيف الإسلام طغتكين مقابل الفرضة، و تسمى الدار الطويلة بدار بناها ابن الحابين على محاذاة الفرضة، و تسمى المنظر بدار بناها الملك المعز إسماعيل بن طغتكين على جبل حقّات، و تسمى عند التجار صيرة و حيرة.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۳۰

ذكر جبل صيرة

اشارة

هو جبل شامخ فى البحر مقابل عدن و جبل المنظر و يقال هو قطعة منه، و قال محمد بن عبد اللّه الكيسانى فى تفسيره: إنه يخرج يوم القيامة من صيرة عدن نار تسوق الخلق إلى المحشر، و الدليل على ذلك قليب بالجبل، بئر يسمى انبار، و يسمى عند حكماء الهند فى

بر يخرج طول الدهر منه دخان، و يسمى الآن بئر الهرامسة ليس يمكن لأحد النظر فيه من وهجه و كربه و قتامه، و يوجد حول البئر حجارة مكسرات و أفاع نائمات و حيات قائمات.

قالت الهنود: إن هنومت، أى العفريت المقدم ذكره، حفر هذه البئر، و ليس هى بئر و إنما هو سرب ينفذ حفره تحت البحر إلى مدينة أوجين بكرمى و هى سرير ملك مالوى من الهند.

فصل: [(زوجة رام جندر و العفريت هنومت، حكايات شتى فى حفر السرب)]

حدثنى مبارك الشرعبى مولى والد محمد بن مسعود قال: كان السبب فى حفر بئر فى بر أن حادنير، و هو عفريت، سرق تخت زوجة رام جندر، من أعمال عوض و سار بها إلى أن سكن بها على قلة جبل صيرة، و قال: إنى أريد أن أقلب عنك صورة الإنسيّة إلى صورة الجنيّة، فبينما هما فى لا و نعم إذ سمع بخبرهما هنومت، و هو عفريت ثان على صورة قرد، فحفر هذا السرب من أوسط مدينة اوجين بكرمى تحت البحر و بلغ آخر الحفر إلى أوسط جبل صيرة و فعل جميع ذلك فى ليلة واحدة، فخرج من الحفر فوجدها نائمة على ذروة الجبل تحت شجرة شوك فرفعها على ظهره و نزل بها السرب، و ما زال يسرى بها إلى أن بلغ

تاريخ المستبصر، ص: ۱۳۱

اوجين بكرمى، فعند انفجار الفجر الصادق سلمها إلى زوجها رام جندر، فرزق منها رام جندر ولدان ذكران سمى أحدهما لب و الثانى كش، و لها حكاية طويلة عريضة يطول شرحها، فبقى السرب إلى الآن.

و كذلك حفر كيكالوس بن كيقباد سربا من الرى إلى مازندران مسيرة ستة و ثلاثين فرسخا، و حفر بعض الهنود سربا فى ديولاره من أعمال السومنات ينفذ أواخره إلى بابهن من أعمال الديوكير أول حدوده مالوى، و ينفذ أيضا تحت بحار و رمال، و يقال: إنه حفر الجن و لا شك فى هذا.

و حفرت رؤساء همذان فى وسط أملاكهم سربا ينفذ إلى روذراور مسيرة ثلاثة أيام، و حفر كرشاسب بن اثرط بن رستم سربا فى وسط قصره الذى بقلعة أراك بسيستان ينفذ أواخره إلى وسط حصار طاق، مسيرة اثنى عشر فرسخا، و حفر دير الجب فى نواحى الموصل.

قالت النصارى: لما قتل سنحاريب ولده من بها رماه فى حفرة كانت بالقرب منه انخرق فى الحفرة سرب ينفذ إلى الزاب مسيرة أربع فراسخ، قالت النصارى:

و عاش مرتهنا بعد الموت و إدراك الفوت، و هو إلى الآن بالحياة فى تلك النواحى.

و حفر بعض سواريب الهنود بمدينة برهنك سربا مسيرة أربع فراسخ بطريق، و كان سببه ما حدثنى أبو طالب بن أبى بكر بن أبى طالب الحدانى، المعروف بابن السويدائى، أنه عشق بنت الملك فحفر هذا السرب من بيت اليد إلى دار الصبية، فكان يمشى إليها و تجىء إليه فى هذه الطريق مدة حياتهما، فلما خرّب السلطان نظام الدين محمود بن سبكتكين البلدة بقى السرب على حاله، و بقى بطريق مكة جبل يسمى المخروق فيه خرق متصل من تحته إلى ذروته، و قد تقدم ذكره.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۳۲

و فى نواحى الموصل قرية يقال لها: الباعور، و هو موضع لعرب من زمن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فمن شدة الباعور انخرق فى الأرض سرب يطول من الباعور إلى الدجلة مسيرة خمس فراسخ.

و حفر شاه بور بن أردشير بابكان فى قلعة نيسابور سربا تحت الأرض مسيرة خمسة فراسخ ينفذ إلى برية، و ما عمله إلا لإحكام القلعة و حقن دماء الخلق، و لهذا يقال: الهرب فى وقته ظفر.

ترجع إلى ما كنا عليه من كلامنا الأول:

فإذا تعوقت المراكب فى المجيء عن موسم ثغر عدن يجاء إلى جبل صيرة بسبع رءوس بقر عند اصفرار الشمس و تبقى البقر فى مكانها إلى نصف الليل، و بعد زوال هذا الحد ترد ست رءوس منها إلى عدن و يبقى رأس واحد هناك مكانه، فإذا أصبح ضحى به من الغد فى مكانه، و تسمى تلك الضحية ضحية الجبل، فإذا عمل هذا العمل تقدم المراكب و تلاحق بعضها ببعض، و قد صارت سنة من قديم الأيام من دولة بنى زريع و غيرهم من العرب، و بطل ما ذكرناه فى زماننا هذا.

فصل: فإذا حاذى مركب المسافر مدينة سقطرة أو جبل كدمل تسمى تلك المحاذاة الفولة، يؤخذ قدر يعمل عليه شراع و سكان من جميع آلة المراكب و يعبّى فيه من الأطعمة من قليل نارجيل و ملح و رماد و يلقى فى البحر من الأمواج الهائلة.

قال أهل التجارب و الخبرة: إنه يصل بسلامة إلى لحف الجبل.

و كان فى أيام القبط و اليونان فى وقت زيادة النيل تؤخذ بنت بكر عذراء أحسن

تاريخ المستبصر، ص: ۱۳۳

ما يكون من الصور تزين بأفخر زينة، و تلبس الحلى و الحلل، و يؤتى بها على رءوس الأشهاد بالطبل و الزمر و يطلقونها فى النيل، فأزيل هذا الفن فى أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى اللّه عنه.

و فى اجه و جميع أعمال الهند و السند إذا زرع أحد قصب السكر ينذر للصنم نذرا إذا طلع قصبه جيدا فدى بإنسان، فإن صح قصبه احتال على بعض قصار الأعمال يذبحه و يرش بدمه أصول قصب السكر فى يوم عيد لهم يسمى الديوانى، و إذا زاد شط السند فى الأخذ على المد و الحد يؤخذ خشف غزال يجلل بثوب أحمر و يعطر و يبخر و يطلق فى أغزر موضع و أقوى جريان فى السيل و أشد سوار، فحينئذ ينقص الماء بإذن اللّه تعالى، و ما ذكرنا هذه إلا لنبرهن مقالتنا و ما تقدم من قولنا، و اللّه أعلم.

ذكر المعجلين

هو بركة فى آخر جبل حقات و جبل صيرة الذى بنى على ذروته قصر المنظر، و البركة خلقها اللّه تعالى و هى ما بين جبل حقات و جبل صيرة و هى ذات أمواج هائلة قاتلة فى عمق و غزر.

حدثنى منصور بن مقرب بن على الدمشقى قال: إذا برد الماء بها- يعنى فى البركة- يكون العام عاما شديدا على كل من يقطع الصبا، قلت: و لم؟ قال: لكثرة الأمواج و هيجان البحر، و إذا كان الماء فيه فاترا يكون العام عاما طيبا سهلا يسيرا غير عسير على مسافره و هذا مجرب، قلت لريحان، مولى على بن مسعود بن على بن أحمد: لم سمى هذا المكان المعجلين؟ قال: لأنه يرجع فيه كل أربعة اثنين.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۳۴

ذكر بحيرة الأعاجم

قيل: لما أطلق ذو القرنين البحر من جبل باب المندب و ساح نشف ما حول عدن من المياه و بقيت عدن نصفها التى تلى جبل العر مما يلى صيرة مكشوفا و مما يلى المياه و إلى جبل عمران ناشفا، فلما استولت ملوك العجم على عدن رأوا ذلك الكشف فخافوا على البلد من يد غالبة تحاصر البلد فحينئذ قاموا فتحوا له فما مما يلى جبل عمران و أطلقوا البحر عليه فاندفق البحر فنزل إلى أن غرق جميع ما حول عدن من أرض الكشف فرجعت عدن جزيرة، و بقى كل من أراد السفر إلى جهة من الجهات ركب متاعه فى الصنابيق و يجيء فى البحر الأصلى إلى أن يعدى البحر و جاءت الجمال فرفعوه من عند المكسر و سافروا به، فلما رأوا ما رأوا من تعب الخلق فى ذلك بنى المكسر و هو قنطرة بنيت على سبع قواعد فصارت الخلق تسلكه على الدواب و غيرها، و سمى البحر المستجد بحيرة الأعاجم و عرف بهم إلى قيام الساعة.

بناء عدن

اشارة

لما انقطعت دولة الفراعنة خرب المكان بزوال دولتهم، و سكن الجزيرة قوم صيادون يصيدون فى المكان فكانوا على ما هم عليه زمانا طويلا- يترزقون اللّه فى القوت و المعاش إلى أن قدم أهل القمر بمراكب و خلق و جمع و ملكوا الجزيرة بعد أن أخرجوا الصيادين بالقهر و سكنوا على ذروة الجبل الأحمر و حقّات و جبل

تاريخ المستبصر، ص: ۱۳۵

المنظر، و هو جبل يشرف على الصناعة، و آثارهم إلى الآن و بناؤهم باق بالحجر و الجص ملء تلك الأودية و الجبال، قال الشاعر:

لى أدمع هو اطل‌مذخلت المنازل

و سار حادى عيسهم‌فهاجت البلابل

وقفت فى ربوعهم‌هاذبهم و سائل

يا دار هل من خبرد جوابى عاجل

أجابنى من الربوع صائح و قائل

ابك دما يا غافلاقد سارت القوافل

لى فيهم فتّانةرشيقة الشمائل[۳۹]

فى خدها و قدهاورد و غصن ذابل

و كانوا يطلعون من القمر يأخذون عدن رأسا واحدا فى موسم واحد.

قال ابن المجاور: و ماتت تلك الأمم مع تلك الرئاسة و انقطعت تلك الطريق و لم يبق أحد فى زماننا يعلم مجرى القوم و لا كم و كيف كانت أحوالهم و أمورهم.

فصل: [(القمر، اهل سيراف و دخولهم عدن)]

قال ابن المجاور: و من عدن إلى مقدشوه موسم، و من مقدشوه إلى كلوة موسم ثان، و من كلوة إلى القمر موسم ثالث، فكان القوم يجمعون الثلاثة المواسم فى موسم واحد، و قد جرى مركب من القمر إلى عدن بهذا المجرى سنة ست و عشرين و ستمائة، أقلع من القمر و كان طالبا كلوة فأرسى بعدن.

و لمراكبهم أجنحة لضيق بحارهم و وعرها و قلة الماء بها، فلما ضعف القوم

تاريخ المستبصر، ص: ۱۳۶

و استقوت عليهم البرابر أخرجوهم منها و ملكوا البلد و سكنوا الوادى، موضع هو الآن عامر بصرائف، و هم أول من بنى الصرائف بعدن، و بعدهم خرب المكان و بقى على حاله إلى أن انتقلوا أهل سيراف من سيراف، و قد تقدم ذكرهم.

و وقع سلطان شاه بن جمشيد بن أسعد بن قيصر فى عدن فنزل و توطن بها فانغمر الموضع بمقامه، و كان يجلب إليهم مياه الشرب من زيلع، فلما طال عليهم البعد بنوا الصهريج لأجل ماء الغيث و نقل طين البناء من نواحى أبين، و يقال: من زيلع، فلما كثر الخلق بعدن بنوا بها الحمامات، و بنى الحمام عند حبس الدم فسيل فغسل الأرض سنة اثنتين و عشرين و ستمائة، و بنوا الجامع، و ذلك عند حمام

المعتمد رضى الدين على بن محمد التكريتى، و وضع مربط الفيلة فى سنة خمس و عشرين و ستمائة فملأ لحف الجبل الأخضر بالطول و العرض، فلما رأى ذلك تولى السلطنة.

ذكر ألقاب ملوك العجم الذين تولوا ملك عدن

مولانا ولى النعم، و معدن الكرم، الملك العالم، العادل المؤيد من السماء، المنصور على الأعداء، المتوج بالجلال و السناء، شاهنشاه المعظم، مالك رقاب الأمم، سيد سلاطين العرب و العجم، حافظ عباد اللّه، حارس بلاد اللّه، معز أولياء اللّه، مذل أعداء اللّه، غياث الدنيا و الدين، ركن الإسلام و المسلمين، تاج ملوك العالمين، قامع البغاة و المشركين، مغيث الدولة القاهرة، مزيل الأمم الكافرة، محيى السنن الزاهرة، باسط العدل و الرأفة، ناصر السلطنة و الخلافة، عماد ممالك الدنيا،

تاريخ المستبصر، ص: ۱۳۷

مظهر كلمة اللّه العليا، مرفه الخلائق بالإنصاف، مزيل الجور و الاعتساف، القائم بتأييد الحق، الناظم لصلاح الخلق، ظل اللّه فى الأرض، محيى السنة و الفرض، سلطان البر و البحر، ملك الشرق و الغرب، انا سلطان شاه بن جمشيد بن اسعد بن قيصر أمير المؤمنين.

آخر: مولانا ولى النعم بهاء الدولة والدين، جلال الإسلام و المسلمين، ناصر الملوك و السلاطين، غياث جيوش العالمين، قاتل الخوارج و المشركين، قوام الملة، نظام الأمة، قطب المملكة، معز السلطنة، عدة الخلافة، بهلوان إيران و توران، أبو سنان سفاوس بن أسعد بن قيصر قسيم أمير المؤمنين.

آخر: مولانا ولى النعم، قسيم الدين، يمين الإسلام، صمصام الدولة، قوام السنة، نصرة الملوك، بهاء الأمراء، كردو أبو المظفر أسعد بن قيصر برهان أمير المؤمنين.

آخر: مولانا ولى النعم، جلال الدولة والدين، مغيث الإسلام و المسلمين، معز الملوك و السلاطين، سيف السنة، بهاء الملة، تاج الأمة، نظام المملكة، معين الخلافة، فخر الأمراء منير باريك أبو شجاع نامشاد بن أسعد بن قيصر نصرة أمير المؤمنين.

آخر: مولانا ولى النعم و الأمين الأجل المؤيد ناصر الدين عماد الإسلام علاء توران، حسام السنة جلال الملوك، غياث الأمراء، زنده أبو الفتح كيقباد بن محمد ابن قيصر معز أمير المؤمنين.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۳۸

آخر: و المولى محيى الدين معز الإسلام ركن الدولة عضد الملوك مغيث الأمراء أبو سعيد قيصر بن رستم بن قيصر عمدة أمير المؤمنين.

آخر: و المولى سيف الدولة و الدين، غياث الإسلام و المسلمين، تاج الملوك و السلاطين، ناصر السنة، نظام الملة، عماد الأمة، ركن المملكة، نصرة الخلافة، مغيث الأمراء، ملك العرب و العجم، أبو الصمصام، عاد بن شداد بن جمشيد بن أسعد بن قيصر، يمين أمير المؤمنين.

آخر: و المولى تاج الدين، ناصر الإسلام و المسلمين، مجد الملوك و السلاطين، معز السنة، محيى الملة، غياث الأمة، عماد المملكة، يمين الخلافة، جلال الأمراء، ملك الهند و اليمن أبو الملك تاج الدين جمشيد بن أسعد بن قيصر، ظهر أمير المؤمنين.

آخر: و المولى عماد الدولة والدين، محيى الإسلام و المسلمين، ظهر الملوك و السلاطين، نظام الملة، و مظهر السنة، جمال الملوك، معز الأمراء، أبو الوفاء كذار شاه بن هزاراسب يمين أمير المؤمنين.

آخر: و المولى معز الدولة والدين، تاج الإسلام و المسلمين، ركن الملوك و السلاطين، قوام السنة، غياث الأمة، ناصر المملكة، محيى الأمة، عماد الخلافة، مجد الأمراء، أبو البركات الحارث هزاراسب بن جمشيد بن أسعد حسام أمير المؤمنين.

فهؤلاء الملوك ملوك العجم الذين تولوا ملك عدن.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۳۹

بناء الجامع

و مما ذكره عمارة بن محمد بن عمارة فى كتاب المفيد فى أخبار زبيد قال:

إن جامع عدن بناه عمر بن عبد العزيز وجدده الحسين بن سلامة، و الأصح أن ما بنى الجامع إلا الفرس، و كان السبب فى بنائه أنهم وجدوا فى زمانهم قطعة عنبر كبيرة مليحة فأتى بها إلى صاحب عدن فقال لهم: و ما أصنع بها؟ بيعوها و ابنوا بثمنها جامعا، فلست أرى درهما أحل من هذا الدرهم، و لا يخرج فى وجه أحق من هذا الوجه، فباعوا العنبر و بنوا بثمنه جامع عدن فى طرف البلد.

فإن قال قائل: لم لا بنى فى وسط البلد؟ قلت: لأن فى وسط مدينة عدن عين ماء ماد من البحر إلى المملاح، و لنا على قولنا دليل أن من بقايا العين موضع الملح الذى يجمد فيه الملح بالمملاح.

قال ابن المجاور: و رأيت وراء حمام المعتمد رضى الدين محمد بن على التكريتى أن سيلا عظيما غسل أرض الوادى فظهر به مدابغ جملة من أيام الفرس كانت قد علت عليها الأرض من طول المدى.

و حدثنى ريحان مولى على بن مسعود بن على قال: إنه ظهر عند حبس الدم بقرب جبل حقّات حمام كبير عظيم ذو طول و عرض، و قد كانت علت عليه الأرض، من بناء العجم، و كانت الناس فى أيام دولة العجم يجدون العنبر الكثير إلى باب المندب، و كان الصيادون يجدونه، فإذا مر بهم مركب أو تاجر يقولون له:

تشترى منا حشيش البحر؟ يعنون به العنبر، و يقال: إن الشيخ شبير الصياد وجد قطعة

تاريخ المستبصر، ص: ۱۴۰

عنبر و لم يعرف ما هى فجاء بها إلى بيته فعازه الحطب فأوقدها تحت القدر عوض الحطب، فعلم به الناس فعرف الشيخ بوقّاد العنبر، و قد انقطع جميع ذلك فى زماننا هذا من سوء ظننا و قبح فعالنا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً[۴۰] فعند زوال أيام العجم ملكها العرب.

ذكر أخبار آل زريع بن العباس بن المكرم ولاة عدن

نسبتهم من همدان، ثم من جشم بن يام بن أصبا، و كان لجدهم العباس بن المكرم بن الذئب سابقة محمودة فى قيام الدعوة المستنصرية مع الداعى على بن محمد الصليحى، ثم مع ولده المكرم، عند نزوله من صنعاء إلى زبيد و أخذ أمه أسماء بنت شهاب بن أسعد من الأحول سعيد بن نجاح.

و كان السبب فى ملكهم لعدن أن الصليحى لما افتتحها و فيها بنو معن أبقاها فى أيديهم، فلما قتل الصليحى نافقت بنو معن فى عدن فسار المكرم إليهم أحمد ابن على فافتتحها و أزال بنى معن منها و ولاها العباس و مسعود ابنى المكرم، و جعل مقر العباس تعكر عدن و هو يحوز البر و الباب، و جعل لمسعود حصن الخضراء، و هو يحوز الساحل و المراكب و استحلفهما للحرة السيدة ابنة الملك أحمد، لأن الصليحى كان قد أصدقها عدن حين زوجها من ابنه المكرم سنة إحدى و ستين و أربعمائة.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۴۱

و لم يزل خراج عدن يصل إليها و هو مائة ألف دينار يزيد و لا ينقص إلى أن مات المكرم أحمد، ثم و فى لها بعد موت المكرم العباس و مسعود ابنى المكرم، فلما ماتا تغلب على عدن زريع بن العباس و أبو الغارات بن مسعود فسار المفضل بن أبى البركات إلى عدن و جرت بينه و بينهما حروب كان آخرها المصالحة على نصف خراج عدن.

و لما مات المفضل تغلبت أهل عدن على النصف الباقى فسار إليهم أسعد بن أبى الفتوح ابن عم المفضل فصالحهم على ربع الخراج

للحرة، و لما ثارت آل زريع فى التعكر تغلب أهل عـدن على الربع الـذى للحرة و لم يبق لها فى عدن شـىء لموت رجالها، و لم يقدر على بن إبراهيم بن نجيب الدولة على شىء من ذلك، و اللّه أعلم و أحكم.

ذكر ما شجر بينهم

نزل المفضـل بن أبى البركات فى بعض غزواته إلى زبيـد و كان معه زريع بن العباس و عمه مسـعود بن المكرم، و لهما يومئـذ صبيان فى عدن، فقتلا جميعا على باب زبيد، ثم تولى الأمر بعدهما بعدن أبو السـعود بن زريع و أبو الغارات بن مسعود، ثم ولى الأمر بعدهما الأمير الداعى سبأ بن أبى السـعود و محمد بن أبى بكر بن أبى الغارات ثم ولده علىّ الأعز ثم علىّ بن أبى الغارات، ثم الداعى محمد بن سبأ، و هو آخر بنى داود، ثم ولـده عمران، و صـفت بعده لآل زريع محمد و أبى السـعود ابنى عمران، و هما طفلان، و اللّه أعلم و أحكم.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۴۲

ذكر السبب فى زوال ملك على بن أبى الغارات و حصولها للداعى سبأ

اشارة

كان محمـد بن الجزرى نائبا لعلى بن أبى الغارات فى نصف عـدن، و أحمد ابن غياث نائب سـبأ فى نصف عدن، فقاسط ابن الجزرى فى قسـمة الخراج أحمـد ابن غياث فامتـدت أيادى أصـحاب على بن أبى الغارات إلى ظلم الناس و عاثوا و أفسدوا و أطلقوا أيديهم و ألسـنتهم بمـذام الـداعى سبأ، فحينئـذ قام القائـد بلال بن جرير المحمـدى إلى ولاة عدن، و قد أمره الداعى أن يهايج القوم و يحرك القتال بعدن ففعل بلال ذلك و جرت بينهم وقائع عظيمة فى لحج آخرها قتل الداعى سبأ بن أبى السعود علىّ بن أبى الغارات بها سنة خمس و أربعين و خمسـمائة، و أوصـى بالأمر لولـده علىّ الأعز، و كان على الأعز مقيما بالدملوة فهمّ أن يقتل بلالا بعدن، فمات على الأعز و أوصى بالأمر لأولاده و هم: حاتم و عباس و منصور، و كانوا صغارا فجعل كفالتهم إلى أنيس، خادم حبشى.

و كان محمد بن سبأ قد هرب من أخيه فاستجار بالأمير منصور بن مفضل بن أبى البركات فأجاره، و حين مات على الأعز فى الدملوة سيّر بلال من عدن رجالا من همدان فأخذوا محمد بن سبأ من جوار المنصور بن المفضل و نزلوا إلى عدن فملّكه بلال و استحلف له الناس، و زوّجه بلال ابنته، و جهزه فى جيش فحاصـر أنيسا و يحيى العامل بالدملوة فملكها و أطاعته البلاد كافة، ثم مات فى سنة ثمان و أربعين و خمسمائة.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۴۳

و تملك بعـده ولـده عمران بن محمـد ثم مات سـنة ستين و خمسـمائة و خلّف ولدين: محمد و أبا السـعود، و تولى أبو الندا بلال بن جرير المحمدى سنة أربع و ثلاثين و مات فى سنة سبع و سبعين و خمسمائة عن أولاد رجال منهم: مدافع و ياسر، و هم آخر الدولة.

[(غارة ملك جزيرة قيس الى عدن)]

و يقال فى رواية أخرى: و بعدهم ملك عدن سبأ بن أبى السعود و محمد بن أبى الغارات، من بنى زريع، فكان أحدهم يجبى ما دخل من البر و الثانى يجبى مـا دخـل من البحر، و كانت البلـد بينهما بالسويـة، يأخـذ كلّ حقه من المكوسات، و كان يجرى بين القوم فتنة عظيمـة لأجل الماء و الحطب و قتال شديد فى الدخل و الخرج، و ذلك فى السائلة، فبقوا على حالهم إلى أن جهز ملك الجزيرة قيس دوانيـج و برمـات شبه أبرام النارنجيـات و نهابيق ... لأخـذ عـدن من أربابها، فلما وصـلت الدوانيـج أرسوا تحت جبل صـيرة و أنفـذوا

رسولهم إلى بنى زريع، يعنى أصحاب التعكر و الخضراء و قالوا لهم: اعلموا أن ملك كثر أنفذنا على أخذ عدن، فإن جئتم بالصلح و إلا جئناكم بالفتح، و هو أقبح، فقال لهم صاحب حصن الخضراء: أنا عبدكم و البلد بلدكم و ولوا فيها من شئتم.

فلما سمع القوم هذه المقالة نزلوا من الدوانيج و البرمات إلى السواحل و قلوبهم آمنة بالأمان و الطاعة، و أنفذ لهم صاحب حصن الخضراء الإضافة التامة، و أرسل لهم بالدقيق و الغنم و النبيذ فخبز القوم و طبخوا و دارت الأقداح بين القوم.

فلما رأى مقدم الجاشو فعل أصحابه قال لهم: كفوا عما أنتم عليه عاكفون، و لا شك أنها حيلة عليكم أيها الجاهلون! فأنفق عليهم خبزا و لحمّا و نبيذا و جاشوا كما قال:

تاريخ المستبصر، ص: ۱۴۴

إنى بليت بأربع ما سلطواإلا لحتفى أو بلاى و شقائى

الهم و الدنيا و نفسى و الهوى كيف التخلص من يدى أعدائى

فصل: [قتل الجاشو]

فلما أرست الجاشو مرسى عدن أنفذ صاحب النعكر إلى ابن عمه صاحب الخضراء و قال له: ما نصنع و هذا العدو قد دهمنا؟ فقال له: غلطنا فى الكيل فشرد منا الحيل و اعمل برأيك فيما ترى، فقال: انزل من الخضراء و أنا أكفيك شرهم، فنزل النحس شبه ألف جعس و سلم الحصن إلى ابن عمه، و أنشد المنصور بن إسماعيل الأبزى يقول:

الناس بحر عميقو البعد عنهم سفينة

و قد نصحتك فانظرلنفسك المسكينه

و حدثنى الشيخ بلال بن جرير المحمدى قال: لما ملكت حصن الخضراء بعدن و أخذت الحرة بهجة أم على بن أبى الغارات وجدت عندها من الذخائر ما لم يقدر على مثله، و عدن كلها بيدى فى مدة متطاولة.

قال بلال: و بين عدن و بين لحج مسيرة ليلة، فأذكر أنى كتبت من عدن بخبر الفتح و أخذ الخضراء و سيّرت بشيرا بالبشرى إلى مولانا الداعى سبأ بن أبى السعود، و فى اليوم [الذى] كان فيه فتح الخضراء فتح مولانا مدينة الرعارع فالتقى رسولى و رسوله بالبشرى، و ذلك من أعجب التأريخ سنة خمس و أربعين و خمسمائة.

و اشتغلت الجاشو بالأكل و الشرب و دار السّكر بينهم، فصار مقدمهم ينادى أصحابه: كفوا عما أنتم عليه مشغولون، فلم يسمع منه إلا من له لب و فهم، و بقى

تاريخ المستبصر، ص: ۱۴۵

الباقون غادون على حالهم إلى أن نزل صاحب حصن النعكر مع جمع من الخلائق، فركبوا السيف على الجاشو فلم يسلم منهم إلا كل طويل العمر، فكانت جماجم رءوسهم ملء تلك الأرض، فكان إذا أشكل على رجل من أهل عدن موضعا قال: أين من الجماجم؟ فعرف الموضع بالجماجم، و المعنى بالجماجم رءوس الجاشو.

فلما انتصرت بنو زريع هذا النصر نزلوا من الحصون و سكنوا الوادى و بنوا الدور الملاح، و هم أول من بنى الدور الحجر و الجص بعدن، و كان يجلب الحجر إلى عدن من أعمال أبين لأجل العمارة، و لم يظهر لأهل عدن المقلع إلا أبو الحسن على بن الضحاك الكوفى، فلما أن سكن عدن اشترى عبيدا زنوجا يقطعون الحجر من جبال عدن، و كانت الجوارى تنقله على أعناقها، فمن حينئذ قطعوا الحجر بها و صارت مقالع يعرف كل مقلع بصاحبه: مقلع على الأنكى، و يوسف الأردبيلى، و مقلع ريتيه النحار، و مقلع إسماعيل

السلامى، و مقلع حميد بن حماسة، و مقلع عبد الواحد بن ميمون، و مقلع أبى الحسن بن الدورى، و تملكوها إلى أن صارت لهم ملكا و مستغلات.

فصل: [(قبض توران شاه على عبدالنبى و ياسربن بلال)]

و لما قبض شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذى على عبد النبى ابن على بن مهدى، و هو آخر من تولى من العرب أرض الحصيب، و جاء به مسلسلا إلى عدن، و قبض على ياسر بن بلال بن جرير المحمدى، مولى الداعى محمد بن أبى السعود بن زريع، و هو آخر من تولى من الدعاة، أقعد كل واحد منهم فى خيمة وحده، فالتفت عبد النبى فوجد ياسر بن بلال يسارقه بالنظر فقال: يا عبد السوء ما تنظر إلا إلى أسد مقيد بقيد من حديد و مسلسل بسلاسل حديد.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۴۶

و كان أبناء زريع يؤدون الخراج إلى الخلفاء الفاطميين، و هو لأجل المذهب لأن القوم كانوا إسماعيلية، و كل من تولى بأرض اليمن من بنى زريع يسمى الداعى، أى يدعو الخلق إلى المذهب، و الملاحدة الذين هم ملوك كردكوه و ألموت، و هما حصنان على جبل على مدور لهم- أى للملاحدة- يأخذون الخراج من جبل السماق الذى لهم بأعمال الشأم، و من القرامطة الذين بالسند، و من التورسنا الذين هم بأعمال نجران، و إن كانوا كفارا فهم على عقيدة واحدة، و بعدهم ملك الغز البلاد و بنوا المنظر على جبل حقات بعد رجوع شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن إلى مصر، و سلم عدن إلى فخر الدين، أبو عثمان، عمر بن عثمان بن على الزنجبيلى التكريتى.

ذكر بناء سور عدن

اشارة

حدثنى عبد اللّه بن محمد بن يحيى قال: أرسى مركب من المغرب إلى عدن فى الليل فنزل الناخوذة من المركب فدار عدن فإذا هو بدار عالية و به شمع يقد و عود يبخر فدق الباب فنزل الخادم ففتح له و قال له: هل لك من حاجة؟ قال التاجر:

نعم، فاستأذن الخادم له، فقال له صاحب الدار يصعد، فصعد فسلّم كلّ على صاحبه، من غير معرفة، و جرى الحديث، فقال الناخوذة: إنى قدمت الليلة من المغرب و أريد من إنعام المولى أن أخفى عنده بعض التحف، قال: و لم؟ قال:

خوفا من الداعى، و قال له: أقبل و لا تخف من الظالمين، انقل جميع ما معك إلى الدار الفلانية، فنزل التاجر فصارت البحارون ينقلون المتاع من المركب إلى

تاريخ المستبصر، ص: ۱۴۷

الصناديق إلى الدار إلى أن يخلوا ثلثى ما فى المركب، فلما أصبح الناخوذة وجد صاحبه البارحة الداعى بعينه، و قال فى نفسه: خفت من المطر فوقعت تحت الميزاب، و تشوش خاطره و اسودّ ناظره، فأنفذ الداعى إليه و قال له: أنا صاحبك البارحة و أنا الداعى مالك عدن، اليوم طيّب قلبك و اشرح صدرك، عشور مركبك هبة منى إليك مع الدار التى نزلت فيها، و هذه الف دينار تنفقها ما دمت فى بلادنا، و حرام علىّ أخذ شىء منك، لا على وجه الهبة و لا على وجه البيع و الشرى، فقال له الناخوذة: و علام[۴۱] هذا كله؟ قال: لدخولك علينا البارحة منزلنا فى نصف الليل، و أمر أن يمد سور من الحصن الأخضر إلى جبل حقات فأدير سور ضعيف و ارتدم بعضه على بعض و اهتدم لدوام الموج عليه، فلما خرب أدير عليه سور ثان من القصب شبّك، و بقى على حاله إلى أن بناه أبو عثمان عمر بن عثمان بن على الزنجبيلى التكريتى دائرا على جبل المنظر إلى آخر جبل العر و ركّب عليه باب حقات، و أدار سورا ثانيا على

الجبل الأخضر، وحده من حصن الأخضر إلى التعكر على رءوس الجبال، و أدار سورا على الساحل من الصناعة إلى جبل حقات، و ركب عليه ستة أبواب: باب الصناعة، و باب حومة، و باب السكة، و هما بابان يخرج منهما السيل إذا نزل الغيث بعدن، و باب الفرضة و منه تدخل البضائع و تخرج، و باب مشرف، لا يزال مفتوحا للدخل و الخرج، و باب حيق، لا يزال مغلقا، و باب البر، قد تقدم ذكره، و بنى سورها بالحجر و الجص، و بنى الفرضة و جعل لها بابين.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۴۸

فصل: [(خروج الانسان من البحر)]

قال ابن المجاور: و خروج الإنسان من البحر كخروجه من القبر، و الفرضة كالمحشر، فيه المناقشة و المحاسبة و الوزن و العدد، فإن كان رابحا طاب قلبه، و إن كان خاسرا اغتم، فإن سافر فى البر فهو من أهل ذات اليمين، و إن رجع فى البحر فهو من أهل ذات الشمال.

فإذا كان هذا حال المخلوق فى عالم الكون و الفساد مع مخلوق كذا، فكيف حال المخلوق بين يدى الخالق غدا فى هول العرض الأكبر، اللهم لا تناقشنا يا كريم.

و بنى ابن الزنجبيلى قيصارية العتيقة و الأسواق و الدكاكين و دور الحجر و رجعت عدن فى زمانه، فلما دخل سيف الإسلام إلى عدن أوقف ابن الزنجبيلى جميع الأملاك على مكة سنة خمس و سبعين و خمسمائة، و بنى الملك المعز إسماعيل ابن طغتكين بن أيوب بنية جميعها دكاكين بالباب و القفل للعطارين قيصارية جديدة، ثم بناها المعتمد رضى الدين محمد بن على التكريتى على اسم الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبى بكر، و كثر الخلق بها فبنوا الدور و الأملاك و توطن بها جماعة عرب من كل فج عميق.

و بنى المعتمد محمد بن على حمام حسين و حفرت الناس بها الآبار و بنوا بها المساجد و أقاموا المنابر و رجعت طيبة.

و الأصح إنما عمرت إلا بعد خراب فرضة أبين و هرم، و انتقل التجار من هاتين المدينتين و سكنوا قلهات و مقدشوه فعمرت الثلاث المدن حينئذ، و اللّه أعلم.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۴۹

[صورة عدن]

و صورة عدن على هذا الوضع و الترتيب:

تاريخ المستبصر، ص: ۱۵۰

صفة عدن و ذكرها

بناء البلد فى وادى البحر مستدير حوله هواؤه كرب و لكنه يقطع خل الخمر فى مدة عشرة أيام، و ماؤها من الآبار و شىء يجلب من مسيرة فرسخين، و اللّه أعلم.

ذكر الآبار العذبة

اشارة

داخل عدن بئر حلقم عود السلطانية، و بئر على بن أبى البركات بن الكاتب قديمة، و بئر أحمد بن المسيب، و بئر ابن أبى الغارات

قديمة، عند باب عدن، و بئر المقدم قديمة، و ثلاثة آبار لداود بن مضمون اليهودى، و ثلاثة آبار للشيخ عمر بن الحسين، و بئر لعلى بن الحسين الأزرق، و بئر جعفر قديمة طولها أربعون ذراعا، و بئر زعفران، اشتريت بمدته و أوقفت على المسلمين.

فصل: [(بئر زعفران)]

حدثنى عبد اللّه بن محمد بن يحيى قال: إنه كان ينقل ماء بئر زعفران إلى سائر بلاد اليمن، قال لأن سيف الدين، أتابك سنقر مولى الملك المعز إسماعيل بن طغتكين، شرب عند المعتمد محمد بن على التكريتى نبيذا أعجبه طعمه فقال له: مم عملت هذا النبيذ؟ قال: من ماء زعفران، إذا أفلت فى هذا الماء داذىّ و ترك فى الشمس يرجع نبيذا كاملا، و لا يحتاج إلى عسل و لا إلى شىء، أى وضعة، فمن الحين كان ينقل له هذا الماء إلى الجند و تعز و صنعاء و زبيد يعملون منه نبيذا، و الأصح ماء الترب.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۵۱

و يقال: إنه فى الأصل كان عذبا فراتا و الآن قد علته ملوحة بعض الشىء من سوء أفعال الخلق.

و بئر السلامى، بئر حفرها الشيخ إسماعيل بن عبد الرحمن السلامى، و بئر روح قديمة، و بئر عود قديمة، و بئر ابن الذؤيب صهر الشيخ معمر بن جريج، و بئر الحمام حفرها محمد بن على التكريتى، و بئر الحمام الثانية قديمة، و بئر مور قديمة، و بئر جلاد قديمة، و بئر الخضامى قديمة.

فصل: [(حديث فى الآبار)]

حدثنى محمد بن زنكل بن الحسن الكرمانى عن رجل من أهل عدن قال: حدثنى عبد اللّه بن محمد الإسحاقى الداعى أن بداخل عدن مائة و ثمانون بئرا حلوة و لكنها مانعة، و اللّه أعلم.

ذكر الآبار المالحة بعدن

بئر وضاح قديمة، و بئر ثانية إلى جنبها، و بئر مين عند مرابط الخيل، و بئر أم حسن قديمة، و بئر قندلة على طريق الباب، و بئر سنبل قرب الحمام، و بئر سالم، و بئر حندود، و بئر فرج، و بئر الزنوج، و بئر الأفيلة و حفرت سنة عشرين و ستمائة، و بئر ريش السوانى، و بئر فى قرب دار القطيعى السلاطة، و بئر الشريعة.

ذكر آبار ماؤها بحر عدن

بئر فى حافة الدياكلة، و بئر عند باب مكسور، و ثلاثة آبار للبرابر، و بئر عند

تاريخ المستبصر، ص: ۱۵۲

الجامع، و بئر عند مسجد أبان، و بئر مسجد المالكية، و بئر حبس القاضى، و بئر أبى نعمة، و بئر الجماجم، و بئر الصناعنة، و بئر سوق الخزف، و ثلاثة آبار عند بيت ابن فلان، و بئر سنبل، و بئران عند مسجد النبى، و بئر الأديب ظفر، و بئر حقات، و بئرا حساس، و بئر الجرائحى، و الصهريج عمارة الفرس عند بئر زعفران، و الثانى عمارة بنى زريع على طريق الزعفران أيمن الدرب فى لحف جبل الأحمر، إذا حصل المطر تقلب السيل إليه يومين و يضمن كل عام بسبعمائة دينار.

قال ابن المجاور: و ضمن بعضهم هذا فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين و عشرين و ستمائة بألف و ثلاثمائة دينار، فقصصت هذه الحكاية على الكرمانى الحفار فقال: يمكن أن تكون مزورة، قلت له: الدليل عليه أن الغيم و الشمس لا يزالان يعلوانه و كلما تقصره

الشمس يحلو، قال: أليس أن الشمس تأخذ ما خف من المياه؟ قلت: فما أخف فى المياه من الماء المالح و لا أثقل من الماء الحلو، قال: أريد على هذا برهانا، قلت: لو لم يكن ماء البحر خفيفا لجاف، و لو جاف لما كان أحد يسلكه فمن خفته ثبت على حال واحد.

و الوجه الرابع: حدثنى عبد اللّه بن مسلم ساكن المياه و عبد اللّه بن يزيد الحجازى و غزى بن أبى بكر و عمرو بن على بن مقبل قالا جميعا: إن وراء جبل العرفضاء و عليه جبل دائر و البحر مستدير حول الجبل و فى صدر الوادى، أى فى لحف الجبل، يخرج منه عين ماء عذب يغلب إلى الوادى، و قد نبت على نداوة هذه العين شجر الأراك و التنضب و العشر و قد يرجع عقدة، قلت: فلم لا يستقى منها أهل عدن؟ قال: ليس إلى هذا سبيل و لا عليه طريق الرجالة تتعلق فى لحف الجبل،

تاريخ المستبصر، ص: ۱۵۳

قلت: و ما علمكم بهذا؟ قال: إن عاما من الأعوام خالفت عدن و غلقت أبوابها و نحن فى المياه فهربنا بجمالنا إلى هذا الوادى، قال: فحينئذ حبر ابن المعلا و هذا هو الأصل فى البينة، و سلم من ساعته.

ذكر الآبار الحلوة بظاهر عدن

بئر أحمد العشيرى قديمة طيبة الماء، بئر أحمد بن المسيب حفرت سنة أربع عشرة و ستمائة، و بئر العقلانى حفرت سنة خمس عشرة و ستمائة، و بئر خيط عتيقة، و بئر عقيب و تسمى بئر الكلاب، و يقال: إن الكلاب نبشت الأرض فى هذا الموضع فحفرت عقيب ذلك فى ذلك المكان بئر عرفت البئر ببئر الكلاب، وجدد عمارتها أحمد العشيرى سنة اثنتين و ستمائة، و بئر الجديدة حفرت سنة إحدى و عشرين و ستمائة، و بئر السلامى حفرت سنة سبع عشرة و ستمائة، و الآبار التى بطريق اللخبة آبار اللخبة بئر السماكين على الطريق فى قرب المسجد، حفرت سنة ست عشرة و ستمائة، و بئر الموحدين فى أول شط اللخبة، و بئر أصحاب العمارة، حفرت سنة أربع عشرة و ستمائة لأجل ضرب اللبن، و بئر الشيخ على بن عبيد، فى وسط اللخبة، حفرت سنة عشر و ستمائة، و بئر السعفة، حفرت على طريق المفاليس قديمة، و لم يستق منها إلا إذا غلا الماء بعدن، و بئر العماد على طريق أبين قديمة، يستقى منها أيام الموسم.

و غالب سكان البلد عرب مجمعة من الإسكندرية و مصر و الريف و العجم و الفرس و حضارم و مقادشة و جبالية و أهل ذبحان و زيالع و رباب و حبوش، و قد التأم إليها

تاريخ المستبصر، ص: ۱۵۴

من كل بقعة و من كل أرض و تمولوا فصاروا أصحاب خير و نعم، و غالب أهلها حبوش و برابر.

و لم يكن فى سائر الربع المسكون و البحر المعمور أعجب من نساء البرابر و لا أوقح منهن، و اللّه أعلم.

القول على وقاحة نساء البرابر

اشارة

إذا تخاصم بعض نساء البرابر مع أخرى تخلع ما عليها من الثياب و تلطم صدرها و تصفق و تقفز و تسلق عينيها فى وجه صاحبتها و تغدو كل واحدة منهما تارة تنام و تارة تنحنى و تارة تضحك و [تارة] تبكى و تارة تعبس و تارة تلطم، و تنتف شعرتها تذره فى الهوى و تدخل إصبعها فى رحمها و تلعق صاحبتها من رحمها أو تدس إصبعها فى ثقبها، تشمّ صاحبتها الخراء، و أيش ما عملت إحداهن عملت الأخرى مثل الأولى، فما رأيت أوقح و لا أوسخ و لا أقل حياء من البرابر، لا جزاهم اللّه عن الإسلام خيرا، و قال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «الحياء من الإيمان» و قال حكيم: إذا لم تستحى فاصنع ما شئت، و قال بعض العجم فى هذا المعنى شعرا:

چه نيكو كفت خسرو با سپاهى‌چو شرمت نيست رو آن كن كه خواهى

فصل: [(فيها ايضا)]

نساء بين الصورين بالموصل و نساء النفّاطات ببغداد إذا خاصمت إحداهن الأخرى تصعد السطح عريانة و تقف على الطف و تضرب يدها على رحمها و تقول: اضربى من خرئى لبن و من شعرتى تبن، و نساء يتربون فى الخانات،

تاريخ المستبصر، ص: ۱۵۵

يسمونهم العجم كام سروانى، إذا خاصمت إحداهن الأخرى تضرب إصبعها فى جعصها و تشم صاحبتها، و نساء السناكمة فى اليمن إذا خاصمت إحداهن الأخرى ترفع إزرتها و تقف على أربع و تقول للتى تقابلها: باللّه يا ستى أبصرى الهلال قد طلع و الخزا قد انقطع، و نساء سيوستان تخلع ثيابها و تنزل السيل عريانة تسبح، و نساء القرامطة إذا قعدت لقضاء حاجة تغطى وجها و تكشف قماشها كله، و نساء النهروان تمدد قائمة قدام المزين و يحلق لها شعرتها، و إذا أرادت أن يحلق لها شعر استها يدس المزين فى استها أكرة صغيرة فيها خيط ممدود و تضم المرأة شعرتها على الأكرة و يمد المزين الخيط بيده اليسرى فحينئذ تخرج شعرتها فيحلق الشعر بيده اليمنى و كذلك الرجال، و نساء الروم يدخلن الحمام مع الرجال فتدخل المرأة مع زوجها عريانة، و السماكات فى الديبول، فإذا تخاصمت امرأة مع أخرى تدس السمك فى رحمها، و النساء اللاتى يبعن الخضر تدس فى رحمها فجلة.

ملبوسهم الكتان و العمائم الملس، و أما العجم فتتعمم بذؤابة بر الذؤابة فتغرزها فى العمامة ثانية، و هكذا أصحاب الشيخ عدى بالموصل، و على كتف كل واحد منهم كرأى مصلى أو منديل مطرز.

و قيل لرجل من أهلها: تعال معى إلى فلان، قال: أنا عريان، قال: أليس ثيابك عليك؟ قال: صدقت، و لكن ليس معى كرو.

لبس نسائهم الحجل، و هو الخلخال، و الحراف، و يسمى عند العجم مسحه، و الدملج.

و أنشد بعضهم فى حلى أهل اليمن:

تاريخ المستبصر، ص: ۱۵۶

يا بدرتم طلعاو نور فجر سطعا

و يا قضيبا ناعماعلى كثيب مرعا

و بارقا من ثغر منيهواه قلبى لمعا

و يا غزالا مربىعصرا يجر الخلعا

محجلا مدملجامحرقا مملجعا

مشيعا مظرقامطوفا مقنعا

معبلا محجلامكحلا مشرعا

منعما معطراملطفا مسرعا

و مادتهم من الهند و السند و الحبشة و ديار مصر، و مأكولهم الخبز و أدمهم السمك، غاية عمل نسائهم القفاع، و رجالهم تبيع العطر و القنبار، و بناء دورهم مربعة، كل دار وحدها طبقتان السفلى منهما مخازن و العليا منهما مجالس، و بناؤهم بالحجر و الجص و الخشب و الملح و الجص.

فصل: [(فى كلاب عدن)]

اختفت الكلاب فيها بالنهار، و ذلك أن كلبا كلب فأكل بعض أولاد البرابر، فاستغاثت المرأة البربرية إلى رضى الدين المعتمد محمد بن على التكريتى، فأمر المعتمد بقتل كل كلب فى عدن، فقتل فى اليوم خمسة و عشرون كلبا و هرب الباقون إلى رءوس الجبال و بطون الأوديه، و سكنوا طول النهار و يخرجون فى الليل يدورون البلد بالليل، و ذلك فى سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة، يأكلون ما يجدونه مرميا فى السناديس، لأن سناديس القوم على وجه الأرض، كما قال ابن عباد الرومى:

يربين القطاط بغير نفعليأكلن الذى يرمين سقطا

فهن قبور أولاد الزوانىإذا أسقطتهن لثمن قطا

تاريخ المستبصر، ص: ۱۵۷

و لم يظهر بمكة كلب بالنهار بل يأوون فى الجبال، و تأوى الكلاب فى الكوفة بالنخيل، و فى مقدشوه بالمقابر، و أما كلاب عدن فنعوذ باللّه من عضهم، لأنهم رجعوا سما ناقعا لقلة شربهم الماء، و إذا حصل لهم ماء يكون مالحا، و هو أشد من كل شديد.

ذكر وصول المراكب إلى عدن

إذا وصل مركب إلى عدن و أبصره الناظرون و الناطور على جبل نادى بأعلى صوته: هيريا! و هو آخر جبل الأخضر الذى بنى عليه الحصن الأخضر، و يسمى فى الأصل سيرسيه، و ما يقدر الناطور ينظر إلا عند طلوع الشمس و غروبها لأن فى ذلك الوقت يقع شعاع الشمس على وجه البحر فيبان عن بعد مسافة ما كان، و يكون الناطور قد عرض عودا قدامه، فإذا تخايل له شىء فى البحر قاس ذلك الشىء على العود، فإن كان طيرا أو غيره زال يمينا أو شمالا أو يرتفع أو يهبط فيعلم أنه لا شىء، و إن كان الخيال مستقيما على فىء العود ثبت عنده أنه مركب أشار إلى صاحبه و هو ينادى: يا هيريا! و أشار صاحبه إلى رفيقه و أشار الرفيق إلى جراب بإعلام المركب، فحينئذ يوصل الجراب خبر المراكب إلى والى البلد، فإذا خرج من عند الوالى أعلم المشائخ بالفرضة، و بعدهم ينادى بأعلى صوته من على ذروة الجبل: هيريا هيريا هيريا! فإذا سمع عوام الخلق الصوت ركب كلّ جبلا و صعد سطحا يشرف يمينا و شمالا، فإن كان ما ذكره صحيحا يعطى له من كل مركب دينار ملكى، و ذلك من الفرضة، و إن كان كاذبا يضرب عشرة عصى.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۵۸

فإذا قرب المركب ركب المبشرون الصنابيق للقاء المركب، فإذا قربوا من المركب صعدوا و سلموا إلى الناخوذة و يسألونه من أين وصل؟ و يسألهم الناخوذة عن البلد و من الوالى و سعر البضائع؟ و كل من يكون له فى البلد أهل أو معارف من أهل المراكب إما أن يهنوه أو يعزوه له و عليه، و يقدم مبشر نحو الناخوذة و يكتب اسم الناخوذة و أسماء التجار و يكون الكرانى قد كتب جميع ما فى بطن المركب من متاع و قماش فيسلم إليهم الرقعة، و ينزل المبشرون فى الصنابيق راجعين إلى البلد كلهم رأسا واحدا إلى الوالى و يعطونه رقعة الكرانى مع ما كتبوه من أسماء التجار و يحدثونه بحديث المركب و من أين وصل و ما فيه من البضائع، و يخرجون من عنده يدورون فى البلد يبشرون أهل من وصل بجمع الشمل و يأخذ كلّ بشارته.

فإذا وصل المركب المرسى و أرسى تقدم إليهم نائب السلطان و يصعد المفتش يفتش رجلا بعد رجل، و يصل التفتيش إلى العمامة و الشعر و الكمين و حزة السراويل و تحت الآباط و يضرب بيده على حجرة الإنسان و يدخل يده بين أليتيه و يشتمه على قدر المجهود، و كذلك عجوز تفتش النساء تقرب بيدها فى أعجازهن و فروجهن.

فإذا نزلت التجار إلى البلد نزلوا بدبشهم من الغد، و بعد ثلاثة أيام تنزل الأقمشة و البضائع إلى الفرضة تحل شدة شدة و تعد ثوبا ثوبا، و إن كان من بضائع البهار يوزن بالقبّان و يضرب فى جميع ما أشكل عليهم الشبح لئلا يبقى شىء و قد عاهدوا اللّه عز و جل أن يبذلوا المجهود قدام المشائخ.

قال ابن المجاور: و حينئذ يظهر على التاجر الحراف و يقتله الحزن و يبقى فى وادى الدبور بما يعملون معه من الفعل الذى يطير منه البركة و السعادة.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۵۹

ذكر العشور

ثم ضرائب و قوانين، استجدت من أيام دولة بنى زريع، و يقال: أول من استجده فلان اليهودى، و قيل: يسمى خلف اليهودى النهاوندى، فبقيت الخلق تجرى على قواعدهم و ضرائبهم إلى يوم الدين، يؤخذ فى بهار الفلفل ثمانية دنانير عشورا و دينار شوانى، و خروجه على الفرضة ديناران، و على قطعة النيل أربعة دنانير شوانى، و خروجه من الفرضة ربع، و على بهار الأنكزة، و هو الحلتيت ثمانية دنانير، و على بهار قشر المحلب ثلاثة دنانير و نصف، و على بهار الطباشير أحد و عشرون دينارا إلا ثلث و دينار شوانى، و على عود الدفواء نصف المبلغ، و على فراسلة الكافور خمسة و عشرون دينارا و نصف وسدس، و على بهار الهيل سبعة دنانير، و على فراسلة القرنفل عشرة دنانير و شوانى دينار، و على الفراسلة عشرة أمنان عنها عشرون رطلا، و على فراسلة الزعفران ثلاثة دنانير و ثلث، و على بهار الكتان سبعة دنانير و نصف.

و إذا ابتاع مركبا يؤخذ من البائع من المائة عشرة دنانير، و يؤخذ من الحديد عشور النصف استجد فى أيام دولة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، أول من أخذ منه من أبى الحسن البغدادى، و يقال: من فلان الفروانى سنة ثمان و تسعين و خمسمائة، و من الملاك الربع، و يقال: الثلث و دينارين استظهارا، و من بهار الفوة اثنى عشر دينارا استجد فى أيام دولة الملك المعز إسماعيل بن طغتكين، و كان عليه قبل ديناران، و يقال: ثلاثة، و على بهار الحمر ثلاثة جوّز، و على العشرة المقاطع ديناران و نصف، و على العشر العقدات نصف و ربع جائز، و على الرأس الضأن ربع،

تاريخ المستبصر، ص: ۱۶۰

و على الحصان إذا دخل البلد خمسون دينارا استجد فى دولة الملك الناصر أيوب بن طغتكين بن أيوب، و يؤخذ فى خروجه إلى البحر سبعون دينارا، و على الرأس الرقيق ديناران، و إذا خرج من الباب نصف دينار، و على العويلى السندابورى ثمانية دنانير و دينار شوانى، و يؤخذ فى الخروج من الباب على العوملى نصف دينار و هو لضامن دار النبيذ، و يؤخذ على شقق الحرير من عمل زبيد نصف دينار و جائز، و على الثوب الظفارى ربع و جائز، و على الشقة البيضاء ثمن، و على السوسى ثلاثة قراريط، و على فوط السوسى ربع و جائز، و على كورجة المحابس أربعة دنانير، و على كورجة الأحواك ديناران و نصف، و كذلك السباعى، و على كورجة الثياب الخام الهندى ديناران و نصف، و [يؤخذ] على سواسى الكتان الكبار جائزان و قيراط و على الصغير جائزان و فلسان، و على كل قفعة ذرة ثمن، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

ذكر تخريج عشور الشوانى

لم يكن ملوك بنى زريع يعرفون الشوانى و بقوا إلى أن دخل شمس الدولة توران شاه بن أيوب اليمن و دخل معه شوان، فلما خرج ولى عثمان بن على الزنجبيلى التكريتى عدن و بقيت عنده الشوانى إلى أن هرب دخل سيف الإسلام طغتكين بن أيوب اليمن، فأشار عليه بعض أرباب العقل فقال له: و بم تستحل أخذ العشور من التجار؟ قال: أجرى على ما كانت عليه ملوك بنى أيوب فيما تقدم من الأيام، فقال له: إنهم كانوا يأخذون الناس بيد القوة و لكن خذ ذلك أنت على رأى تشكر به عند الخلق، قال: و ما هو؟ قال: أنفذ بهذه الشوانى إلى البحر يحموا التجار من السراق

تاريخ المستبصر، ص: ۱۶۱

و يكون لهم بعض الشيء على السداد بدل ما هى بطّالة تقرعها الشموس، فقال:

و اللّه لقد جئت برأى حسن، فأخرج الشوانى إلى الهند، فكانت الشوانى تقف على رأس المنادخ يحفظون مراكب التجار من سطوة السراق، فبقوا على حالهم إلى سنة ثلاث عشرة و ستمائة.

و دخل بعض الأكابر و قال: خلد اللّه ملك مولانا السلطان، إنه يخرج من خزانة المولى كل عام لأجل الشوانى خمسين و ستين ألف دينار بطّال فإن أخذ المولى هذا القدر من التجار لم يضرهم ذلك، قال: فكيف العمل؟ قال: كل ما أخذ من العشور ألف دينار يأخذ منه الشوانى مائة دينار، فهو يجتمع للمولى و لم يبن للتاجر.

و أسس ذلك فى أيام دولة الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبى بكر بن أيوب، و بقى إلى سنة خمس و عشرين و ستمائة، كتب الشريف إلى الملك المسعود: إن مال الشوانى يحصل إن سافرت الشوانى و إن لم تسافر، فكتب الملك المسعود و قال: إن كان الأمر على ما ذكره مستقيما فأبطلوه، فبطل الشوانى و صار عشوره يؤخذ إلى يوم القيامة مع الشوانى، و اللّه أعلم.

الذى لم يؤخذ عليه عشور

الواصل من ديار مصر: الحنط و الدقيق و السكر و الأرز و الصابون الرفى و الأشنان و القطارة و زيت الزيتون و زيت الحار و الزيتون المملح و كل ما يتعلق بالنقل إذا كان قليلا، و العسل النحل إذا كان قليلا.

و الذى يجلب من الهند: كل ما يراسل فى البحر و الهليلج المربى و الأكرارا

تاريخ المستبصر، ص: ۱۶۲

و المخاد و المساور و الأنطاع و الأرز و الكجرى، و هو الأرز و الماش مخلوط، و السمسم و الصابون.

و من البضائع المغر: الكلاهى و النشم و حطب القرنفل و ثياب العرابية، تعمل فى بدقلى، و من معاملة الشجر: التمر المقلف، و هو الذى استخرج نواه، و السمك المملح، إن كان برأس أخذ عليه، و إن كان لا رأس لم يؤخذ عليه، و نعال الهندية، إن كان بشراك أخذ عليه و إن كان بلا شراك فليس عليه، و التيس و المعز ليس عليه.

و كان الموجب أنه قدم سفارة الحبشة بغنم عدوها فلما اشتغل العدادون بالعدد قام تيس يشق الجمع و جاء و قعد وراء ظهر ياسر بن بلال بن جرير المحمدى، و الأصح وراء الداعى عمران بن سبأ، فلما فرغوا من العدد أرادوا أن يعدوا التيس مع الغنم فقال الداعى: معاذ اللّه أن نأخذ عليه شيئا لأنه قد استجارنى فأزال عنه العشور، و الأصح أنه أبصر لحيته فقال: حاشا أن يوزن على لحيته عشور، و الخرز الذى يجلب من الديبول و غلمان حودر يجلبون من الهند.

ذكر ما استجد فى عدن من الوكالة و دار الزكاة

اشارة

لما كان بتأريخ جمادى الأولى سنة أربع و عشرين، و الأصح سنة خمس و عشرين و ستمائة أسس فى عدن دار وكالة و على كل بضاعة لم يؤخذ عليها عشور

تاريخ المستبصر، ص: ۱۶۳

يؤخذ منها زكاة فصار الآن يؤخذ خمس عشورات فى مرة واحدة: عشور قديم، و هو مال الفرضة، و عشور الشوانى، و دار الوكالة من الدينار قيراط، و دار الزكاة، و الدلالة.

فصل: [(فى وزن العشور)]

قدم الناخوذة عثمان بن عمر الآمدى من المصر وجد معه منّان عود دون أخذوه منه، فلما جاء وقت المحاسبة قوم المن العود بستة دنانير خرج عشوره دينار و نصف و خرج شوانى نصف و ربع و قوم فى دار الوكالة بخمسة و عشرين دينارا، صحت الوكالة ثمانية دنانير و دانقين، و خرج زكاة دينار و ربع و خرج دالة نصف دينار وصح المبلغ خمسة عشر دينارا خرج منه ثمن العود ستة دنانير فضل عليه تسعة دنانير، حلف الناخوذة عثمان بن عمر الآمدى يمين باللّه العظيم: إنى لم أزن منه شيئا و لا فلسا واحدا، ما يكفى أنكم تأخذون منى منين عود بلا شىء و تطالبوننى بتسعة دنانير أخرى، و دخل الأمير ناصر الدين ناصر بن فاروت و جماعة فى ذلك فقالوا لهم: إنه رجل متردد إلى عدن و نحن نأخذ منه أضعاف ذلك، و دخل المتوسط بينهم حتى خرج رأس برأس.

و ضمن كل ما فى عدن ما خلا السمك و الماء لا غير، و زيد فى القبان سدس بهار عما كان فى الأول، و غير جميع مكاييل اليمن و وضعوه على عيار زبدى الجند و غيروا الأوعاد كلها فى سنة خمس و عشرين و ستمائة، و الفرضة هى مع القوم بالأمانة.

و يقال: إنه وصل مركب وزن عشوره ثمانون ألف دينار، و كان يرسى فى كل عام تحت جبل صيرة سبعون ثمانون مركبا تزيد و لا تنقص.

و كان يرفع من عدن فى كل عام أربع خزائن إلى حصن تعز: خزانة قدوم

تاريخ المستبصر، ص: ۱۶۴

المراكب من الهند، و خزانة دخول الفوة إلى عدن، و خزانة خروج الخيل من عدن إلى الهند، و خزانة سفر المراكب إلى الهند، و كل خزانة من هذه الخزائن يكون مبلغها مائة و خمسين ألف دينار تزيد و لا تنقص، و انقطع ذلك فى زماننا هذا سنة خمس و عشرين و ستمائة.

و كان معاملة عدن فى أيام بنى زريع ذهب الستعانى على عيار البسطامى و أقل منه، و نقد البلد ذهب ملكى يسوى الدينار المصرى أربعة دنانير و نصف ملكى و يحسب الدينار أربعة أرباع، كل ربع ثلاثة جوز كل جائز ثمانية فلوس كل فلس بيضتان.

و يقال: أول من ضرب الدينار الملكى أحمد بن على الصليحى بصنعاء، و يباع الروسى بالقصبة، طول القصبة أربعة أذرع بالحديد، و يباع الألواح الساج بالذراع الحديد، و كل ما يباع فى المنادى خرج و أمانة و من زاد ركب، و كذلك العبيد و الجوارى.

صفة بيع الجوارى

تبخر الجارية و تطيب و تعدل و يشد وسطها بمئزر و يأخذ المنادى بيدها و يدور بها فى السوق و ينادى عليها و يحضر التجار الفجار يقلبون يدها و رجلها و ساقها و أفخاذها و سرها و صدرها و نهدها، و يقلب ظهرها و يشمر عجزها و يقلب لسانها و أسنانها و شعرها و يبذل المجهود، و إن كان عليها ثياب خلعها و قلّب و أبصر، و فى آخر الأمر يقلب فرجها و جحرها معاينة من غير ستر و لا حجاب، فإذا قلب و رضى و اشترى

تاريخ المستبصر، ص: ۱۶۵

الجارية تبقى عنده مدة عشرة أيام زائد و ناقص، فإذا رعى و شبع و مل و تعب و قضى وطره و انقطع وطره يقول زيد المشترى لعمرو البائع: باسم اللّه يا خواجا، بينى و بينك شرع محمد بن عبد اللّه، فيحضرا عند الحاكم فيدعى عليه العيب.

ذكر البيع و العيب

حدثنى الحسن بن على حزور الفيروز كوهى قال: إنى بعت جارية هندية بعدن على رجل اسكندرانى بقيت عنده مدة سبعة أيام فلما شبع استعيب فيها و أحضرنى إلى الحاكم وادعى علىّ بالعيب، فقال الحاكم: و ما عيبها؟ قال: هى واسعة الرحم رهلة الفرج، فقلت له:

إذا كان أيرك صغيرا و أنت تتباخل على الجارية بشرى الماء فما يصنع فرجها السمين الأبيض المنتوف الطيب، فلما سمعها الحاكم قال لمن حضر: أخرجوهم، فخرجنا و رحت إلى شغلى و بقيت الجارية فى كيسه و لم أدر ما فعل الدهر بهما.

و إذا اشترى زيد ثوبا و استغلاه فرّق طرفه ورده على صاحبه لاستظهار عيبه، و يأخذ الدلال دلالته عند القاضى عنفا و كرها، و يحكم له الحاكم على كل دينارين فلسين دلالة، فإن باع على دكانك له من كل دينار فلس، و إذا باع جملة فعلى المائة دينار دينار، و لهم فى كل قطعة نيل ربع.

و لو أراد بعض الناس الخروج لوداع مسافر من الباب لما قدر إن لم يكن معه خط جواز و ضامن يضمنه بما يظهر عليه بعد وقت من مال أو عشور و يكتب فى الرقعة علامة الوالى و يخرج بعد ذلك، و إن لم يكن له ضامن و إلا أخذ مناد ينادى

تاريخ المستبصر، ص: ۱۶۶

عليه فى الأسواق: إن فلان بن فلان خارج من الباب فكل من له عليه شىء يطالبه، فإن ظهر عليه شىء كفى اللّه المؤمنين القتال، و إن لم يظهر عليه شىء خرج إلى أى موضع شاء، كما قيل فى المثل: المفلس فى أمان اللّه، و كما قال الشاعر:

قليل الهمّ لا ولد يموتو لا أمر يحاذره يفوت

قضى وطر الصبا و أفاد علمّافغايته التفرد و السكوت

ذكر خراب عدن

يفيض البحر فيغرق جميع البلد و ترجع المدينة لجة من لجج البحر، كما ذكر فى مبتدأ الخلق أنه يجوز عليها المراكب مقلعة خاطفة فتقول أهل المراكب فيما بينهم: إنا سمعنا فى قديم الأيام أنه كان فى هذا الغب بلد عظيم عامر لأهله مقيم سهل سليم و مقام كريم، فيقول أحدهم: ما تسمى؟ فيقول له: شذ عنى اسمه.

و بعد خرابها يعمر مرسى غلافقة، و الأصح الأهواب، إلى أن يرجع أحسن من عدن.

حدثنى أحمد بن عبد اللّه بن على بن الحمامى الواسطى قال: ما بقى من عمارة عدن إلا اليسير، قلت: و لم؟ قال: لأنى قرأت فى بعض الكتب: إلا إذا اتصلت عمارتها إلى بابها.

قال ابن المجاور: و قد اتصل إلى الباب بعض العمارات.

و قال آخرون: عدن تخرب سنة سبع و عشرين و ستمائة، و دل على تصديق المقالة دخول نور الدين عمر بن على بن الرسول إلى عدن يوم الأربعاء السادس

تاريخ المستبصر، ص: ۱۶۷

و العشرين من شهر رجب سنة أربع و عشرين و ستمائة، و فى يوم الاثنين الثانى من شعبان طرح الفوة على كل من كان فى عدن من غريب و قريب و قوى و ضعيف و رجل و امرأة حرة و مفسودة على سعر البهار مائتى دينار و ثمانين ملكى، و ضرب الخلق بالخشب، و كانت الأيام شبه أيام المحشر كل منهم محتشر ينادى: أين المفر؟.

فلما كان سنة خمس و عشرين و ستمائة أخذ جميع فلفل التجار و جميع الخف و النحاس و البربهار حسب الفلفل البهار بأربعين دينارا و طرحه على أهل الكارم بستين دينارا، و أخذ الصفر من أهل الكارم على سعر البهار بستين دينارا و طرحه على أصحاب الخف بثمانين دينارا، و أعطى أصحاب الفلفل الفوة على سعر البهار بأربعة و ثمانين دينارا، و يأخذ البهار بهارا و ربعا، و إذا أعطى أعطى البهار بهارا إلا ربعا، و يخرج بعد ذلك من هذه البضائع الواصلة العشور و الشوانى و دار الوكالة و دار الزكاة و الدلالة، يفضل مع التاجر لاش فى لاش، و يحسب التاجر جميع حسابه بحديده و الأرض، و أخذ جميع عطب من وصل من الهند مع التجار مستهلك لا بيع و لا شرى.

و ضمن القبان السنة بعشرين ألف دينار، و السليط على كل بهار يصل خمسة دنانير، و سوق الخضرة و الجوار و الرطب و اللحم و جميع الدواب بأحد عشر ألف دينار، و لم يبق شيء يدور عليه اسم و حرف إلا و قد رجع فيه ضمان ما خلا الماء و السمك.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۶۸

من عدن إلى المفاليس

اشارة

من عدن إلى المياه ربع فرسخ، و إلى المزف فرسخ و طوله ثلاثمائة ذراع و ستون خطوة بناه شداد بن عاد لما بنى عدن، و يقال: بناه العجم لما أطلقوا البحر على المياه حتى غرق ما حول عدن من الأراضى فجدد العمارة الشيخ عبد اللّه بن يوسف ابن محمد المسلمانى العطار و أوقف على عمارته مستغلات بعدن.

و إلى المملاح ربع فرسخ و هو موضع يجمد فيه الملح و كان مخلص رجع الآن على ضمان، و يقال: إن بعضه صار للسلطان لأن أتابك سيف الدين سنقر اشترى نصفه بألف دينار.

و إلى المجدولى ربع فرسخ، و إلى اللخبة ربع فرسخ، و منها ينقل الآجر و الزجاج إلى عدن، بناها أبو عمرو عثمان بن على الزنجبيلى، و إلى الحجر العر فرسخ، و هو مقدار مائة حصاة ممدودة على أيمن الدرب.

و إلى بئر الرجع فرسخان، و يعبر برمل يسمى المغاوى، و أما وادى الرجاع فواد نزه و يسمى عند العرب الحردة بين أشجار أثل و أراك، و قد بنى على البئر مسجد حسن.

حدثنى الحسن بن محمد بن الحسن بن على بن الحسين المحفنى قال: إن الأديب ظفر بن محمد بن ظفر بنى المسجد و البئر فى الرجاع.

و يقول أهل البلاد، و هم العقارب: ما يتفق ماء الحدرة و عيش، أى لم يتفق أكل خبز و شرب ماء بئر الرجاع، لأن هذا الماء يغنى عن أكل العيش.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۶۹

و إلى النويعم فرسخان، و النويعم واد نزه و نخيل و شجر سدر، حدثنى بعض أهلها أنهما واديان: أحدهما النويعم، و الثانى وادى مرحب، و هما آخر الوطاءة و أول الجبال.

و إلى المفاليس فرسخان، قصبة مختصرة بنيت فى شعب جبل مثلث، و بنى سيف الإسلام على ذروة هذا الجبل حصن مختصر يسمى المصانع يقال: إنه قديم البناء، و هو ذو إحكام و مكنة، و ليس يكون لأهلها بيع و لا شراء إلا أيام الوعد لا غير.

صفة بناء الجب

عرب التهائم من موزع إلى أعمال أبين مع جميع العقارب، و هم عرب هذه البلاد يسمون بنو الحارث، يدعون المحبة للّه و فى اللّه، و إذا وجد أحدهم غزالا ميتة أخذها و غسّلها و كفّنها و دفنها و بقى للغزال عزاء فى جميع القبائل مدة سبعة أيام مشققين الجيوب مقطعين الشعور يذرون التراب على المفارق، فقيل لهم فيما هم فيه فقالوا: نحن نمشى على الأصل و نقول بترك الفرع، كما قال قيس بن الملوح:

فعيناك عيناها و جيدك جيدها و لكن عظم الساق منك دقيق

و لم يأكل أحد من أهل هذه القبيلة خبزا مقابل امرأة و لا يشرب، و لو مات جوعا و ظمأ، و من هذا الحد يخلى الجمال و يركب الحمير إلى قدام، و ما اشتق اسم المفاليس إلا من الإفلاس، كما قال أبو نواس:

أريد قطعة قرطاس فتعوزنىو جلّ صحبى أصحاب القراطيس

لحاهم اللّه من ود و معرفةإن المياسير منهم كالمفاليس

تاريخ المستبصر، ص: ۱۷۰

من المفاليس إلى تعز

اشارة

من المفاليس إلى نقيل الحمر فرسخ و نصف، بناه الشيخ أحمد بن الجنيد بن بطال، حدثنى يحيى بن عبد الرحمن الزراد قال: إنما بناه محمد بن سليمان بن بطال، و يقال: إنه ثلاثمائة و ستون ملوىّ، أى فركة، ذبح على كل ملوى رأس بقر فديةو ستة أحمال حنطة و خرج ثلاثمائة دينار، و يقال: إنه خرج كل ملوى بألف دينار، و بنى على كل ملوى سقاية و مسجد، فلما أتمه طالبته زوجته بمهرها فقال لها: ما تريدين منى؟ قالت: أريد أن تعطينى ثواب عملك و أنت فى حل من المهر، فأعطاها ثواب ما عمله، و تم سنة عشرين و أربعمائة، و يقال: سنة عشرين و خمسمائة، و هو بناء عجيب حسن.

صفة الحجر الذى فى النقيل

و فى النقيل حجران فيهما على هيئة فرجى امرأتين، سألت المكارى عن حالهما فقال: إنما كانتا امرأتين مسختا حجرين، إحداهما بانت فى ضرس جبل، و الثانية قطعت و فرشت فى جملة بناء المدرج، و بين الحجر و الحجر مقدار عشرة أذرع، تحيضان كل شهر، و يقال: كل حول.

قال ابن المجاور: و رأيت فيه شيئا شبه الدم و لم يتحقق عندى أنه دم أو غيره.

حدثنى أحمد بن المهنا الصفار الحلى ثم القدسى قال: يمكن أن يكون ذلك الدم موميا بنى آدم، لأن موميا ابن آدم الأصل فيه هو الذى يعقد من الحجر و يسيل.

و قال بعضهم: إنه يشم من الحجر رائحة كريهة، شممت ذلك و وجدته

تاريخ المستبصر، ص: ۱۷۱

بخلاف ما قالوا، و الحجران هما على مائتين و ثلاثين ملويّا، و هما على يمين الصاعد من المفاليس إلى الجوة، و على يسار النازل من الجوة إلى المفاليس قدر مائة و ثلاثين ملويّا، و علامتهما أن نبت على رأس الحجر الواحد شجرتان سلم فيصل فيؤها إلى الحجر الثانى الذى أدخل فى جملة البناء.

و بقى النقيل على حاله إلى أن دخل شمس الدولة توران شاه بن أيوب اليمن فخربت العرب بعض النقيل لئلا يعبر أحد من الغز، و بقى مهدوما إلى أن تمكن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب من الملك و جدد عمارته من ماله، و الأصح أنه أمر تعقب بانيه بالجلالة.

و كان قبل أن يعمر الشيخ محمد بن سليمان بن بطال الركبى هذا النقيل طريق حرز، و هو أن يخرج على لحج يدخل واديا و لا يزال يسير فيه إلى الجوة فى شعاب و أودية و وطاءة قريب المسافة، و ما قطع الناس مسير طريق حرز إلا من شدة الخوف بها لأنه لا يزال مسافره يحرز رأسا، فلذلك سمى طريق حرز، و سنذكره فى أعمال الجوة.

و إلى أسفل النقيل فرسخان و به موضع منحدر يسمى المجرية، و فيه أنشد بعضهم يقول:

قطعنا الحمراء و المجريه‌مع تلك الجبال و الأوديه

و إلى الحنشين نصف فرسخ، و هما خطان أبيضان فى لحف جبل مستقيمان، يقال: إنهما كانا حنشين ملتقيين فضربهما البرق فمسخوا خطين أبيضين.

و إلى الحواض فرسخ، و طاءة ذات خوف شديد، و إلى الجوة نصف فرسخ، من أعمال الدملوة، و إلى الدملوة فرسخ، و اللّه أعلم.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۷۲

تم القسم الأول من تأريخ المستبصر ويليه القسم الثانى إن شاء اللّه تعالى

تاريخ المستبصر، ص: ۱۷۳

[فهرس القسم الاول]

الموضوع الصفحة مقدمة الناشر ۷

مقدمة المؤلف ۹

أسماء مكة و صفاتها ۱۱

زواج أهل مكة ۱۶

فصل (سيف الدولة مع بنت عمه) ۱۷

صورة مكة ۲۰

ولاة مكة ۲۱

معاملات مكة ۲۲

من مكة إلى المدينة ۲۴

فتح على هذه الجبال ۲۴

وادى انظر ۲۶

من مكة إلى الطائف ۲۸

بناء الطائف ۲۸

حصن الهجوم ۳۱

الوهط ۳۲

خروج سليمان بن عبد الملك إلى الطائف ۳۳

صفة الطائف ۳۶

من الطائف إلى جبل بدر ۳۷

السرو ۳۸

جبل الملحاء ۳۹

سيوف الصواعق ۴۰

تاريخ المستبصر، ص: ۱۷۴

فصل (فى فنون السيوف) ۴۱

(جبل الملحاء ثانيا) ۴۳

نهر السبت ۴۵

فصل (مسألة شرعية) ۴۵

فصل (قول بعض النصارى فى الإسلام) ۴۶

شهور اليهود ۴۶

من الطائف إلى صعدة ۴۹

صفة هذه الأعمال ۴۹

ذهبان ۵۰

من الطائف إلى مكة ۵۱

الحجاز ۵۱

من مكة إلى جدة ۵۳

بناء جدة ۵۵

صورة جدة ۵۷

الصهاريج ۵۸

خراب جدة ۵۸

فضيلة جدة ۶۰

أخذ الجزية من المغاربة ۶۱

فصل (فى ذلك أيضا) ۶۲

فصل (ما رأى فى المنام) ۶۳

الجار ۶۳

تاريخ المستبصر، ص: ۱۷۵

فصل (حكاية) ۶۳

جزر مطارد الخيل ۶۴

صفة جدة ۶۴

من مكة إلى المحالب ۶۵

جبل كدمل ۶۸[۴۲]

تاريخ المستبصر ؛ ص۱۷۵

ل (ما كتب فى الأحجار) ۶۹

زواج أهل هذه الأعمال ۷۰

هبة الإمام أبى موسى ۷۱

من المحالب إلى صعدة ۷۱

من المحالب إلى زبيد ۷۲

فصل (فرج بن إسحاق و عبده) ۷۵

الأودية التى يقطع منها الخشب ۷۷

زبيد فى قديم الزمان ۷۸

بناء زبيد ۸۰

فصل (فى خلق أهل زبيد) ۸۵

تمام قصة آل زياد ۸۶

فصل (فى ملوك زبيد) ۸۷

الجنابذ و قتل الصليحى ۹۰

صورة زبيد ۹۳

دار شخار بن جعفر ۹۴

انقطاع العرب من تهامة ۹۴

تاريخ المستبصر، ص: ۱۷۶

النخل ۹۵

شجر الكاذى ۹۷

صفة زبيد ۹۹

أسامى أهل هذه البلاد ۱۰۵

من المهجم إلى زبيد ۱۰۷

المغلف و الأسيخلة ۱۰۷

من زبيد إلى عدن ۱۰۸

بيع النخل ۱۰۹

فصل (حديث بدوى) ۱۱۲

صفة باب المندب ۱۱۳

الفقرات ۱۱۴

بناء المزدوية المرة ۱۱۴

حشمة أهل المنذرية ۱۱۶

من العارة إلى الحليلة ۱۱۸

من العارة إلى المفاليس ۱۱۸

ترن ۱۱۹

من العارة إلى تعز ۱۲۰

من العارة إلى عدن ۱۲۰

جبل حريز ۱۲۱

صورة حصن القاعدة ۱۲۲

صفة وادى عبرة ۱۲۳

تاريخ المستبصر، ص: ۱۷۷

ذكر ما كانت عليه عدن فى قديم العهد ۱۲۵

صفة نقر الباب و حفر النهر ۱۲۷

المدن التى كانت حبوسا للملوك ۱۲۸

جبل صيرة ۱۳۰

فصل (زوجة رام جندر و العفريت هنومت، حكايات شتى فى حفر السرب) ۱۳۰

المعجلين ۱۳۳

بحيرة الأعاجم ۱۳۴

بناء عدن ۱۳۴

فصل (القمر، أهل سيراف و دخولهم عدن) ۱۳۵

ألقاب ملوك عدن من العجم ۱۳۶

بناء الجامع ۱۳۹

أخبار آل زريع ۱۴۰

ما شجر بينهم ۱۴۱

زوال ملك على بن أبى الغارات و حصولها للداعى سبأ ۱۴۲

(غارة ملك جزيرة قيس إلى عدن) ۱۴۳

فصل (قتل الجاشو) ۱۴۴

فصل (قبض توران شاه على عبد النبى و ياسر بن بلال) ۱۴۵

بناء سور عدن ۱۴۶

فصل (خروج الإنسان من البحر) ۱۴۸

صورة عدن ۱۴۹

صفة عدن ۱۵۰

الآبار العذبة ۱۵۰

فصل (بئر زعفران) ۱۵۰

تاريخ المستبصر، ص: ۱۷۸

فصل (حديث فى الآبار) ۱۵۱

الآبار المالحة بعدن ۱۵۱

آبار ماؤها بحر عدن ۱۵۱

الآبار الحلوة بظاهر عدن ۱۵۳

وقاحة نساء البرابر ۱۵۴

فصل (فيها أيضا) ۱۵۴

فصل (فى كلاب عدن) ۱۵۶

وصول المراكب إلى عدن ۱۵۷
العشور ۱۵۹
تخريج عشور الشوانى ۱۶۰
الذى لم يؤخذ عليه عشور ۱۶۱
ما استجد فى عدن ۱۶۲
فصل (فى وزن العشور) ۱۶۳
صفة بيع الجوارى ۱۶۴
البيع و العيب ۱۶۵
خراب عدن ۱۶۶
من عدن إلى المفاليس ۱۶۸
صفة بناء الجب ۱۶۹
من المفاليس إلى تعز ۱۷۰
صفة الحجر الذى فى النقيل ۱۷۰
فهرس القسم الأول ۱۷۳
تاريخ المستبصر، ص: ۱۷۹

القسم الثانى

اشارة

تاريخ المستبصر، ص: ۱۸۱

بناء حصن الدملوة

حدثنى يحيى بن على بن أحمد الرداد قال: إن النواب ظلموا امرأة بدوية صاحبة نعم و مواش، فلما شاهدت المرأة اجتراء القوم فى أخذ نعمها ساقت ما بقى معها من المواشى و صعدت الدملوة و سكنت المكان، فلما جاء وقت أخذ الراعى من المواشى أبت على أداء ما عليها من حق و باطل و لزمت مكانها، فلما رأوا قوة بأسها مع شدة ناموسها صعد لها قوم فلم تمكنهم من الصعود و نزلوا حولها فحاصروها فلم يعمل فيها شىء، فلما سمع والى العهد خبر المرأة و تمنعها عن أداء ما عليها من الضرائب المعهودة و القوانين القديمة و رأوا قوة الموضع أنفذ لها ذمة لها و لمن معها و أن يزال عنها و عن مواشيها الخراج و يطيب قلبها، فنزلت المرأة فبنى الوالى على الموضع حصنا منيعا و هو بذاته قوى مكين سمى الدملوة لدوام مكث طالبيه تحته على أخذه.
و أنشد محمد بن زياد المازنى يمدح أبا السعود بن زريع يقول:
يا ناظرى قل لى تراه كما هوإنى لأحسبه تقمّص لؤلؤه
ما إن نظرت بزاخر فى شامخحتى رأيتك جالسّا فى الدملوه

و لم يقدر أحد من العرب على أخذه إلا سيف الإسلام طغتكين بن أيوب بعد أن حاصرها ست سنين، و آخر الأمر اشتراها من القائد

كافور مولى الداعى بمائة ألف دينار على شرط أن يأخذ جميع ما فيه و يسلم له الحصن شبه جوف حمار، و هو من الحبشة.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۸۲

فلما استوفى المبلغ نزل بحرم الداعى و بجميع ما كان إلى العارة و ولّى فيه المعلم أحمد الصلوى و جارية، و يقال: خادم حبشى، فركب فى المركب و تعدى إلى أرض الحبشة و أنفذ خاتمه إلى سيف الإسلام و أنفذه إلى المعلم أحمد الصلوى بتسليم الحصن، فقال أحمد الصلوى المعلم: لا سمع و لا طاعة، لا لسيف الإسلام، و لا للقائد كافور، أما اليوم فأنا ملك لتملكى هذا الحصن، فرد سيف الإسلام [بأن] نزل على الحصن و حاصره ستة أشهر أخرى فلم يقدر على غرر المعلم، فلما انحصر اشترى الحصن من المعلم ثانى مرة بستين ألف دينار و ملك الحصن فهدمه و أعاد بناءه ثانية، و ركّب عليه ستة أبواب، و من جملتها باب الذراع و باب نيهان و باب الأسد و باب الغزال، و حفر فيها ثلاث برك، إحداها فى الشمس على قلة الجبل و الاثنتين الأخريين فى الفيء، و غرس فيها بستانا حسنا، و بنى ميدان و حصنها غاية التحصين، و آخر من اشتراها فارس من جوزا زوجة أتابك سيف الدين سنقر بمبلغ عشرين ألف دينار بعد أن حاصرها عامّا تامّا فى دولة الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبى بكر، فلما صار فى حوزه و قبضته و أدار حول جميع الحصن سورا ثانيا لإحكام الحصن سنة أربع عشرة و ستمائة.

و قد غرس سيف الإسلام تحت الحصن بستانا يسمى الجنان و يقال الجنات فيه من جميع الفواكه و يطلع فيها وزن كل أترنجة عشرة أمنان.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۸۳

من الجوة إلى عدن راجعا على طريق حرز

من الجوة إلى العايرين فرسخان، و إلى نقيل حرز فرسخ، و ما عرف بهذا الاسم إلا أنه إذا جاز عليه أحد يحرز أن يؤخذ، و هو تسهيل الملك.

و إلى الماء الحار نصف فرسخ، و هو عين يخرج من معينه حار، عرف الموضع به، و قد نبت على الموضع جمل من شجر الكاذى للّه و فى اللّه.

و إلى الدعيس أربع فراسخ، و هو من معاملة لحج، و أما أعمال لحج فإنها معاملة طويلة عريضة تصح مقدار عشرين فرسخا، و قرى كبار و من جملتها الرعارع، و فيه يقول على بن الحسين الأعرج:

خلت الرعارع من بنى مسعودو تبدلت بعد القرود أسود

فقال له الداعى سبأ بن أبى السعود: بل تبدلت بعد الأسود أسود، و هو ابن منيع ابن مسعود بن المكرم، و كان صاحب لحج، فتغلب عليها سبأ بن أبى السعود بن زريع بن العباس بن المكرم، و قور الدعيس لم يدخلها ناموس، و يرفع منه فى كل سنة ألف دينار ملكى إلى بيت المال.

و استولى عليها ناصر الدين محمد بن عمر بن المهدى الرازى فأخربها و نهب أهلها و أحرقها فى غرة شوال سنة أربع و عشرين و ستمائة، و انتقل جميع أهلها إلى عدن و تفرقت بدوها فى تهائم اليمن.

و إلى عدن أربع فراسخ.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۸۴

من الجوة إلى تعز

اشارة

إلى وادى ورزان فرسخ، و هو نهر يفرق بين ثلاثة أعمال: أعمال الجوة و أعمال الجندية و أعمال تعز.
و إلى أكمة همدان فرسخ، و إلى الحمراء نصف فرسخ، و إلى الحوبان نصف فرسخ، و قد بنى بها أتابك سنقر بركة مربعة.
و إلى تعز ربع فرسخ، و تسمى هذه الأعمال حيز الأخضر لكثرة عشبها و مياهها و خضرتها.

صفة حصن تعز

حصن بنى على طريق جبا يسمى الجبل الأخضر ذو مكنة بالجص و الحجر بأبواب و أسوار وثيقة عامرة، و ليس فى جميع اليمن أسعد منه حصنا، لأنه سرير الملك و حصن الملك.
قال ابن المجاور: و رأيت فى المنام أن قائلا يقول لى: إن حصن تعز يسمى تل الذهب، أو قال: جبل الذهب، فتأملت قوله فوجدته حقّا، لأن أموال جميع اليمن مكنوزة به.
و قال حكيم: إنه قلعة وضع بين مدينتين إحداهما المغربة و الثانية فى لحف جبل صبر على هذا الوضع، و صورته على هذا الوضع و الترتيب.
تاريخ المستبصر، ص: ۱۸۵

صفة جبل صبر

اشارة

جبل مدور يصح دوره ثلاثة أيام رفعته ذات طول و عرض، و فيه من القرى و الحصون ما شاء اللّه و بساتين و كروم و زورع، و لها أربع مسالك: إحداها الخشبة و برداد و عتدان و جبأ، و ما عدا هذه الطرق لم تسلك لوعرها و خشنها، لا لراجل و لا لفارس، و هو جبل طيب، و فيه أنشدت شمس النهار بنت أحمد بن سبأ بن أبى السعود، و يقال: سبأ بن سليمان تقول:
تاريخ المستبصر، ص: ۱۸۶

عاتبتنى فقالت: كيف طاب لك النأى و خليت الوطن يترك الحبيب الحبيبة و يطلب الإقامة فى عدن
و اعتضت من صيد الظباء صيود أرباب السفن و اعتضت صيرة من صبر سلطان أجبال اليمن

و فى بعض كهوفها أصحاب الكهف و الرقيم، و هم الذين قال اللّه عز و جل فيهم: وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً[۴۳].
و أسماؤهم: مكسلمينا و يمليخا و تمرطموس و كسرطويوس و فرورس و ححمسميثا، و اسم الكلب: دير، و يقال: قطمير، و يقال: حمران و انطبيس و الحاين.
و قال آخرون: و اويس و لماطونس و مكسلمينا و ساو الحابر و كمططوس و يمليخا، وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ و على باب الغار مسجد، و على باب المسجد عين تسمى: عين الكوثر، و هو موضع فاضل مزار فى العاشر من رجب.
فإن قال قائل: ليس القوم فى هذا الإقليم، قلنا: بلى، لأن دقيانوس هو الملك الذى أسس مدينة الكدراء و سكن الجند، و كان القوم من أهل الأفسوس، فلما تم لهم ما تم و خرجوا من مدينتهم صعدوا جبل صبر فأووا إلى كهف و جرى عليهم ما جرى، و كلبهم معهم،

كما قال اللّه تعالى: وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً[۴۴]، كما قال:

تاريخ المستبصر، ص: ۱۸۷

كثر الشكّ و الخلاف و كلّ يطلب الفوز بالصراط السوىّ

و اعتقادى أن لا إله سواه ثم حبى لأحمد و علىّ

فاز كلبّ بحب أصحاب كهف كيف أشقى بحب آل النبىّ

و قال دعبل بن على الخزاعى:

ملوك بنى العباس فى الكتب سبعة و لم تأتنا عن ثامن لهم الكتب

كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة كرام إذا عدوا و ثامنهم كلب

و ينزل ماء تعز من جبل صبر حين اشتراه سيف الإسلام طغتكين لهذا الماء من أصحابه بعشرة آلاف دينار و سبّله، و يسمى ماء الخشبة، و هو ماء خفيف هنىء مرىء، و يقال: إنه عين كسر كثير الماء نصفه يقلب إلى تعز و نصفه ينزل إلى مدينة جبأ، و هو أصح من ماء الخشبة الذى يقلب إلى تعز و أجود منه، و ليس يمنّ أهل جبأ على الغرباء إلا بشرب هذا الماء لا غير من طيبه، و ينزل جميع فواكهها و أحطابها و أخشابها التى للعمارة لأن الغصن ميال و الغيم هطال، و من يوم يدخل الإنسان الدريعاء إلى أن ينحدر إلى نقيل الحمراء يهب عند كل عصر هواء بارد يحيى الفؤاد و بعده تكلل الأفق بالغمام و ينزل الغيث ساعة زمانية ثم يصحو، و يبقى العالم على هذه الصفة مدة ستة أشهر الصيف.

فصل: [(إذا رأيت الهلال)]

إذا رأيت الهلال فى الماء يضرب إلى الحمرة فإنه يدل على هبوب الريح، فإذا رأيت فى وسطه سوادا دل على الغيث، و إذا رأيت عين الشمس حين طلوعها فى وسطها شىء من الغيم دل على مطر و صحو جميعا، و إذا رأيت الشمس تغرب و عليها و حولها قطع قطع من السحاب يدل على المطر، و إذا رأيت سحابا متفرقا دل على الغيث، و إذا كان الهلال ابن ليلتين أو ثلاث، فإن رأيت فى قرنى الهلال أو كأنه مظلم ملطخ بدم دل على الشتاء و كثرة المطر.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۸۸

ذكر بلاد ينزل فيها الغيث كثيرا

ينزل الغيث فى أعمال ماردان دائم، و فى أعمال كلاب مدة عشرة شهور، و فى أرض بنى سيف مدة أربعين يوما فى إقليم اليمن و يدبس شهرين، فلذلك سمى البوالة، و إقليم المينا و مدة أربعة أشهر، و إقليم الجاوة ينزل الغيث من الغيم شبه أفواه القرب و لا يستدل سفّارة البحر على إقليم الجاوة إلا بكثرة لمع البرق، و فى إقليم خور فوفل أربعة شهور، و فى العينين ينزل دبس رفيع شبه الصماق دائم، و ينزل فى جزيرة الخضراء و جزيرة منفية دائم، و فى بلاد السند مدة أربعين يوما، و يكون فى جميع الهند تارة صحوا و تارة غيثا، فى نهار واحد مقدار عشر مرات، و تمطر على دار و لا تمطر على أخرى، و يقال: إنها قد تمطر على أحد قرنى الثور و لم تمطر على الآخر، و ينزل الغيث فى جبال اليمن ستة شهور ما بين الظهر و العصر.

ذكر المياه و الرياح و ما يتعلق بكل كوكب و برج

فصل الحمل و الميزان النيران المشعلة، الجوزاء رياح طيبة و رياح الجنوب، و السرطان المياه العذبة و الأمطار الكثيرة الحركة و ما ينزل من السماء، الأسد، النيران التى تدخن فى الكوانين و علم الهوى و النيران التى فى الأحجار، السنبلة كل ما جارى الميزان الرياح التى تلقح الأشجار بهبوبها و تسمن الثمار و تدل على طيبة الجو، و العقرب المياه الجارية التى ينزل إليها بالمراقى مثل الصهاريج و السيول و القرب و ما يعجن من الطين، و القوس الأنهار و النيران الغريزية فى أبدان الحيوانات، الدلو

تاريخ المستبصر، ص: ۱۸۹

المياه الجارية و البحار و الرياح العواصف المؤثرة قلع الأشجار مفسدة للنبات، الحوت المياه الراكدة و البحريات و يدل على الأشجار المعتدلة الطول.

و يسمى أعمال معاشر تعز الشعبانيات و حدوده إلى وادى ورزان و بركة الحوبان، و به أنشد سليمان شاه بن شاهنشاه بن شاذى يقول:

بليت بها دون الحسان فمهجتى‌تذوب و بى من جرة البين بلبال

أقمت بأكناف الحصيب و أصبحت‌بحصن تعز ذا التفرق قتال

من تعز إلى الجند

اشارة

من تعز إلى بركة الحوبان ربع فرسخ، و إلى وادى السمكر ربع فرسخ، و السمكر كان رجلا يهوديا قتله على بن أبى طالب، رضى اللّه عنه، و فى هذا الموضع أراض تغلب عليها المياه إحداها .....[۴۵] و إلى الجند نصف فرسخ، و اللّه أعلم و أحكم.

بناء الجند

غرست الأوائل فى فضاة الجند نخلا و حمل فلما دار الدهر رجع عقدة، و بقى النخل على حاله إلى أن ظهر دقيانوس الملك و قطع النخل و بنى فى فضاة الجند بلدا عظيما سماه الأفيوس، و به كانت وقعة أهل الكهف مع دقيانوس الملك و اللّه أعلم، و صورته على هذا الوضع و الترتيب:

تاريخ المستبصر، ص: ۱۹۱

و يقال: إن القوم فى كهف من كهوف جبل صبر نيام إلى الآن، و هم الذين قال اللّه عز و جل عنهم: سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ[۴۶]، و قد تقدم ذكرهم فى الأفسوس ...[۴۷] عامر إلى أن ملك اليمن أخو المعز بن معن بن زائدة الشيبانى، فقام المتولى و مد يده إلى أخذ المال و استباحة النساء بالفحش من العمل و قبح الأمل، فلما رأوا العرب منه ما رأوا قتلوه و عصوا فى البلاد، فعلم أخوه معن بن زائدة الشيبانى فعلم الخبر فركب و جاء فى خيل و رجل فملك اليمن بعد أن ركّب السيف على أهلها و أخرب الجند، و سد فى الجبال ثلاثمائة غيل، أى عين عذبة، و يقال: إن غيلا منه سده بالملح فملح ماؤه و صار يحمل منه ملحا إلى هذه الغاية.

فلما تولى معاذ بن جبل ولاية اليمن من قبل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بناها مدينة (سميت باسمه جبل غير أن البانون أبدلوا اللام دال، فسميت الجند)[۴۸] لأنها مسكن الجند.

حدثنى عبد اللّه بن محمد بن يحيى قال: إن فى الأصل يسمى قارع الأجناد لأن أهلها كانوا جند اليمن لم يسمع أحد منهم كلام صاحبه و لم يرضوا بحكومة بعضهم بعضا، فلما كثر القال و القيل بين زيد و عمرو و خرج نصر و جعفر إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم

برضى خالد و زبير و طلبوا منه رجلا يؤدون له الزكاة و يعلمهم الشرائع

تاريخ المستبصر، ص: ۱۹۲

والدين و يتحاكمون إليه أنفذ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم معاذ بن جبل، فقلت له: أريد على هذا برهانا، قال: يقول الشاعر:

يا بنى مسعود شدوا الخيل من قارع الأجناد

ما عليكم يا موالىمن نباح الكلب فى الواد

حدثنى رجل من أهلها أن كل ما كان يحفر فى الغيل حبط ...[۴۹] زبدى تراب، أى من تراب، كان يعطيه رغيف خبز و عظم، أى قطعة لحم، و دراهم، و قيل:

دينار، و لا يزال على حاله إلى أن جرى الماء من الغيل و عمر، و بقى البناية على حالها إلى أن تولى سيف الإسلام طغتكين بن أيوب فأدار عليها سورا من الحجر و الجص و أعلاه طين و لبن سنة سبع و تسعين، و الأصح ثلاث و تسعين و خمسمائة، و ركب على السور خمسة أبواب: باب المنصورة، و باب الحديد، بناية الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبى بكر، و باب الأقطع، و باب السر، ينفذ إلى بستان السلطان.

صفة جبل البقر

و هما جبلان وراء الجند لمسافة ربع فرسخ بنى بها العرب حصنين و سائر القوم يصبح به الجند صباحا و مساء ليلا و نهارا، و بقيت أهل الجند معهم فى عناء و تعب إلى أن ملكت من ملوك العرب هدمت و أردمت آبارها، و بقيت الآن جبلين قائمين خرابين لا بهما داع و لا مجيب.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۹۳

صفة أكمة سليمان

و بئر النخر، و كان فى قرب الجبل حصن مانع يسمى أكمة سليمان، من بناية سليمان بن داود، عليهما السلام، فلما عصت العرب على معن بن زائدة الشيبانى تحصنوا بالحصن مما يلى البحر بئر ماء ذات عمق وسعة و طول، و قد بنى على دورانة القلعة إلى قرار هذه البئر درج ينزل إليه الخيل و الرجل، و البئر مشترك ما بين الفريقين إلى أهل البلد فشربوا منه باطن و عسكر معن بن زائدة ظاهر، فنزل فى بعض الأيام فارس بحصانه إلى قرار البئر يرويه فلما شرب الحصان حوض الماء نخر الحصان من غمق الماء فسميت بئر النخر لأجل ذلك، فلما علم معن بن زائدة شركية البئر فيما بينهم أفلت فى الماء نفطا فصار كل من شرب منه مات، فسلم له الحصن، فلما ملك الحصن هدمه و البئر معا و جمعا.

صفة الجامع

اشارة

و أول من بنى الجامع معاذ بن جبل مع أهل الجند و ما حوله من القرى، و أعاد بناءه القائد الحسين بن سلامة، وجدده الأمير المفضل بن أبى البركات بن الوليد سنة ثمانين و أربعمائة بالحجر المنقوش و اللبن المربع، و أحرقه على ابن المهدى سنة أربع و خمسين و خمسمائة، و يقال: إن الخلق سعت و شفعت فى إبقائه فقال:

قد استوجب النار، قيل: و لم؟ قال: لأنه قد خطب على منبره الإسماعيلية، يعنى ملوك بنى زريع أى ولاة عدن، فهم أنجاس ينجس الجامع بذكرهم و كل من هو

تاريخ المستبصر، ص: ۱۹۴

نجس طهّر و قد طهرناه بالنار، فأعاد بناءه سيف الإسلام، و مع ذلك رفع سقوفه بالآجر و الجص بعد أن ذهّبه، و أجراه بالذهب و اللازورد سنة ثلاث و ستمائة فى دولته الملك الناصر بن طغتكين بن أيوب.

و قال حكيم: خذ من جامع تعز المنبر و من جامع الجند السقف.

و يجتمع فى أول جمعة رجب فى جامع الجند من كل الأعمال ناس يصلون فيه و يبلغ ذلك اليوم فى الجامع مقدار ما يسع رجل واحد درهم فيقال: دينار ليصلى ركعتى الجمعة، و يكون فيه ذلك اليوم نور مشهود.

و أهل الجند و ما حوله من القرى يروون فى فضل هذا المسجد أخبارا من جهة زيارته فى أول جمعة فى رجب تعدل عمرة، بل قالوا: حجة، و لم يزل الناس يزورونه فى كل سنة فى أول رجب حتى أثر ذلك ...[۵۰] و صار صفى الدين حاتم ابن على بن محمد بن المعلم حتى أسقاه فى بطيخة، و يقال: إنه أخذ إبرة مسمومة و غرز فيها خيطا مسموما و صار يغرز الإبرة فى جوانب البطيخة و يجرها و الخيط معا، و جاءها إلى سيف الإسلام و هو قائم على بناية المنصورة فجلا سكينا فوق البطيخة ليأكل منها، فتناول منه سيف الإسلام البطيخة فقطع و أكل و أحس بالشر به فقال لعلى بن حاتم: اللّه المستعان على ما تصفون، فقال له: كل يا مولاى، ما هو إلا خير، و غاب الشيخ حاتم بن على بن محمد بن المعلم من ساعته، فأوجعه فؤاده و مات، رحمه اللّه تعالى.

و حدثنى عبد اللّه بن محمد قال: إنه كان يقرأ فى النزع: ما أَغْنى عَنِّى

تاريخ المستبصر، ص: ۱۹۵

مالِيَهْ* هَلَكَ عَنِّى سُلْطانِيَهْ* خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ* ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ[۵۱] إلى تمام الآيات.

و حدثنى إنسان جبلى من آل الصليحى قال: إنه قرأ: الَّذِى جَمَعَ مالًا وَ عَدَّدَهُ* يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ* كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ* وَ ما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ* نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ* الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ* إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ* فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ[۵۲] و صار يكررها إلى أن مات رحمه اللّه تعالى.

بقيت النيابة على حالها إلى أن توفى الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب فردّ الأراضى على أربابها، و يقال: إنما ردها إلا بعد أن أسقى الشيخ على بن حاتم بن على بن محمد بن المعلم فى زبيد، و يقال: إنما سقى ابن المعلم إلا لإدراك سيف الدين سنقر بعد قتله الملك المعز فى زيد.

فصل: [(وفاة طغتكين)]

كان يقال: فى زمان سيف الإسلام طغتكين بن أيوب: إنه لا يموت حتى يملك قسطنطينية و يعمرها، فلأجل ذلك طال أمله فى الدنيا و زينتها، و أسس المنصورة فبينما الفعلة يحفرون الأساس إذ خرج عليهم صخرة حجر عليه مكتوب:

إن فلان بن فلان الشقى بنى مدينة قسطنطينية، قال: و مات و دفن بتأريخ الشهر و السنة، فسأل عن اسمها الأصل، قالوا: إنها تسمى قسطنطينية، قال: متنا ورب الكعبة! و سقى عليها و مات و دفن بمغربة تعز، و ما أراد ببناء هذه البلدة إلا أنه يخزن فيها جميع غلال الجبال، على ما تقدم ذكره.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۹۶

فصل: [(وفاة الصليحى)]

نزل الأمير الأغر على بن محمد الصليحى بقرية من أعمال المهجم يقال لها: أم الدهيم و بئر أم معبد.

قال سعيد بن نجاح: فلما دخلنا المهجم لم يشعر بنا إلا عبد اللّه بن محمد ابن على فركب و قال لأخيه: يا مولانا اركب فهذا و اللّه الأحول بن نجاح، فقال على لأخيه عبد اللّه: إنى لا أموت إلا بالدهيم و أم معبد، يعتقد أنها أم معبد التى نزل بها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حين هاجر و معه أبو بكر، فقال له فلان بن فلان: قاتل عن نفسك فهذه و اللّه بئر الدهيم بن عبس و هذا المسجد خيمة أم معبد بنت الحارث العبسى[۵۳] فحينئذ قتل بها، و كان فى طالع الملك المعز أنه لا يقتل إلا فى العراق بعد أن يملكها أموى مزيل دولة بنى العباس، فلما تيقن عنده ذلك قتل بوادى العرق من زبيد، و فيه أنشد المحننى يقول:

الموت فى كل حين ينشر الكفناو نحن فى غفلة مما يراد بنا

لا تطمئن إلى الدنيا و زينتهاو إن توشّحت من أثوابها الحسنا

أين الأحبة و الجيران ما فعلواأين الذين بها كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كأسّا غير صافيةفصيّرتهم لأطباق الثرى رهنا

و إلى قلعة ضراس نصف فرسخ، و إلى وادى ورزان نصف فرسخ، و إلى ذى جبلة نصف فرسخ، و يصعد نقيل ذى جبلة و يسمى النقيلين و هما جبلان يسمى أحدهما نقيل ندران و الثانى نقيل العكائف، و ما اشتهر بهذا الاسم إلا أنه كان به عجائز معتكفات، و اللّه أعلم.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۹۷

بناء ذى جبلة

اشارة

ذى جبلة من مخلاف جعفر، و جبلة كان رجلا يهوديا يبيع الفخار فى الموضع الذى بنيت فيه دار العز، و به سميت المدينة، و أول من اختط ذى جبلة عبد اللّه بن محمد الصليحى المقتول على يد سعيد الأحول بن نجاح مع أخيه على الداعى ابن محمد بن على يوم المهجم، و كان أخوه قد ولاه حصن التعكر، و هذا الحصن مطل على ذى جبلة و هى سفحه، و هى مدينة بين نهرين جاريين فى الصيف و الشتاء، و اختطها عبد اللّه بن محمد سنة ثمان و خمسين و أربعمائة، و بها كانت تسكن الحرة الملكة السيدة بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحى.

فصل: [(اشتراء المعاقل)]

و ما كان فى سنة سبع و أربعين و خمسمائة ابتاع الداعى محمد بن سبأ من الأمير منصور بن مفضل جميع المعاقل التى كانت لبنى الصليحى و هى ثمانية و عشرون حصنا و مدائن و من جملتها مدينة ذى جبلة، و اشتراها منه بمائة ألف دينار، و نزل الأمير منصور بن مفضل حصنيه صبر و تعز، و طلق زوجته الصليحية و هى بنت عبد اللّه بن عبد اللّه بن محمد الصليحى و صعد الداعى المخلاف و سكن فى ذى جبلة و تزوج امرأة الأمير منصور بن مفضل، و أكثر الشعراء تهنيته و مدحوه بالمعاقل و العقيلة المذكورين، و طاش فرحا بما صار إليه، و بسط يده فى العطايا، و اللّه أعلم.

تاريخ المستبصر، ص: ۱۹۸

بناء المخلاف و نجا

كما يقال: أعمال اليمن، و يقال: مخلاف تعكر و مخلاف جعفر، أى من أعمال تعكر، و أعمال كل حصن بذاته يكون صعودا، أدخلت تلك الأعمال إلى ذلك الحصن، فما كان حول كل حصن من القرى و الزراعات فهو مخلافة، و المخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع، و ليس تعرف المخاليف إلا بجبال اليمن و أما فى التهائم فليس يعرف، و اللّه أعلم.

ذكر تغلب الفقهاء فى حصن التعكر

و لما خرج المنصور بن ...[۵۴] بن نجاح من زبيد بأخيه عبد العزيز بن جياش هاجر هو و عبيده إلى الملك المفضل بن أبى البركات و التزموا له على النصرة ربع البلاد، فسار المفضل معهم فأخرج عبد الواحد و ملّكهم، ثم همّ أن يغدر بهم و يملك زبيد.

فحين خلا التعكر و طالت إقامتهم بتهامة و فى التعكر نائب له يسمى الجمل، و كان هذا الجمل متمسكا بالدين، فصعد إليه إلى التعكر سبعة من إخوانه الفقهاء، منهم: محمد بن قيس الزجاجى، و منهم: عبد اللّه بن يحيى، و منهم: إبراهيم بن زيدان، و كانت له البيعة، فأخذوا الحصن من الجمل، و كانت الرعايا قد قالت

تاريخ المستبصر، ص: ۱۹۹

للفقهاء: إذا حصلتم فى رأس الحصن فأوقدوا النار، ففعل ذلك ليلا فأصبح عندهم على رأس الحصن عشرون ألفا، و استولت الفقهاء على ذلك و لم يعهدوه.

و وصل الخبر إلى المفضل بتهامة فسار مسير ظبى لا يلوى على أحد إلى التعكر، فقامت خولان فى نصرة الفقهاء، و أقام الحصار عليهم، فلما طال ذلك قال إبراهيم بن زيدان: لن أموت حتى أقتل المفضل ثم أهلا بالموت، فعمد إلى حظاياه من السرارى فأخرجهن فى أكمل زى و أحسنه و جعل بأيديهن الطارات و أطلعهن على سقوف القصر بحيث يشاهدهن المفضل و يسمع هو و جميع من معه من تلك الأمم أصواتهن.

و كان المفضل أكثر الناس غيرة و أنفة، فقيل: إنه مات فى تلك الليلة، و قال آخرون: امتص خاتما كان معدا عنده فأصبح ميتا و الخاتم فى فيه، و كان موته فى رمضان سنة أربع و خمسمائة.

و لما مات المفضل طلعت الحرة من ذى جبلة و خيمت على باب التعكر، و كاتبت الفقهاء و لا طفتهم إلى أن كتبت لهم خطها بما اقترحوه من أمان و أموال، و اشترطوا عليها أن ترحل هى و جميع الحشود و توصل إليهم من ترضاه والية، و ولى لها التعكر مولانا القائد فتح ابن القائد فتح.

حدثنى السلطان ناصر بن منصور قال: حدثنى إبراهيم بن زيدان أنه وصل نصيبه من العين خمسة و خمسين ألفا، يعنى دينارا لمّا تركوه من حصن التعكر.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۰۰

صفة بناء ذى جبلة

بنى بذاك الصليحى فى مخلاف جعفر و حدودها بالطبول من نقيل صيد إلى مصايح[۵۵] و بالعرض من سوق و صفات إلى حصن الطريمة[۵۶] إلى ذى الأسود من حدود مخلاف حب، و تسمى قلعة النهرين لأن جبل التعكر ما بين أيمن البلد و شماله و مجمع النهرين فى آخر البلد عند موضع يقال له وادى ميتم، كما قال المازنى فى بعض قصائده، حيث يقول:

ما مصر ما بغداد ما الطبريةكمدينة قد حازها النهران

حدود لها شأم و حبّ مشرقو كذاك تعكرها المنيف يمانى

و له يقول:

ليس الخورنق و السدير و بارق كطرمحى كلا و لا النعمان مثل الدنا هطل اليدين

و قال مضطبع الدولة مواهب بن جديد المقرئ يمدح الملك المفضل بن أبى البركات بن علاء الحميرى:

فرفضتها شوقا إلى ذى جبلةو تركتها لملوك أهل المشرق

تاريخ المستبصر، ص: ۲۰۱

و نذكر عجائب إقليم اليمن و ما فيها من الغرائب

و من جملتها حصن أشيح

و مما ذكره عمارة بن محمد بن عمارة فى كتاب المفيد فى أخبار زبيد قال:

حدثنى المقرى سليمان بن ياسين، و هو من أصحاب أبى حنيفة قال: بت بحصن أشيح ليالى كثيرة و أنا عند الفجر أرى الشمس تطلع فى المشرق و ليس فيها من النور شىء، و إذا نظرت إلى تهامة نظرت عليها من الليل ضباب يمنع الماشى أن يعرف صاحبه من قريب، و كنت أظن ذلك السحاب و البخار و إذا هو عقائل الليل، فأقسمت أن لا أصلى الصبح إلا على مذهب الشافعى، إن أصحاب أبى حنيفة يؤخرون الصبح إلى أن تكاد الشمس تطلع على وهاد تهامة، و ما ذاك إلا أن المشرق مكشوف لأشيح من الجبال و ذروته عالية.

و هو مقر الداعى سبأ بن أحمد بن على الصليحى، و فيه يقول عبد اللّه بن الحسن بن على بن القم شعرا:

و لما مدحت الهبرزى بن أحمدأجاز و كافانى على المدح بالمدح

فعوضنى شعرا بشعرى و زادنىعطاه فهذا رأس مالى و ذا ربحى

شققت إليه الناس حتى رأيتهفكنت كمن شق الظلام إلى الصبح

فقبّح دهر ليس فيه ابن أحمدو نزّه دهر كان فيه من القبح

تاريخ المستبصر، ص: ۲۰۲

و نجد الحنشين

من أرض بنى نجاح، و كان فى قديم العهد تسمى هذه الأعمال أعمال نجد، و ما عرفت بالحنشين إلا أن صاحبيه تقاتلا و تعاقرا، فبينا هم فى قتالهم إذ وقع عليهم لمع برق أحرقهم، و يقال: بل خسف من تحتهم فنزلوا فى الخسف، و الخسف باق، و هو فى قدر بئر عظيم ليس يوجد له قرار، عرف النجد بالحنشين، و نجد الحنشين من أعمال الحقل و الكفل.

و حصن ثريد

بناه سليمان بن داود، عليهما السلام، فى أرض بنى سيف و هو سور دائر على سنام جبل عال شاهق فى الهوى، و فى وسط الحصن بحيرة ماء قديم خلقه اللّه على ظهر الجبل لم يعلم له قرار، و هو ماء عذب، و قد يرى فيه من الأسماك و دواب البحر و موج هائل، و قد بنى على السور على ساحله مستدار بالبحيرة، و بنى من داخل السور ثلاثة دور، لا غير، يسكن فى أحدهم ثلاثة رجال، و فى الثانى أربعة، و فى الثالث خمسة رجال، يصح عدد القوم اثنى عشر رجلا رتبة، و لم يقدر أحد من ملوك الغز على أخذها من أربابها بنى سيف، و يقال: إن به شجرة يصح طولها ثلاثة أذرع، قط ما أوكر عليها طير إلا وقع من ساعته ميتا، و لا يزال تحتها طيور موتى من كل فن.

حدثنى أحمد بن محمد بن المهنا الصفار قال: إنى رأيت فى بلاد البرابر شجرا

تاريخ المستبصر، ص: ۲۰۳

يوجد تحتها قردة ميتة فسألت بعضهم عن حال قصة القرود فقال: إن تلك الشجرة شجرة السم الذى يغلى حطبه يستخرج منه سم و يجعلونه فى نشاشيبهم، فمن أصابه من تلك النشابات و لم يقوّر اللحم و الجرح معا مات من ساعته، فتجىء القردة تأكل من ثمرها، لأنه يكون حلوا فيموتون كما ترونهم.

قال ابن المجاور: و ما يموت من القردة إلا كل من يكون فى بطنه جراح أو مرض يصل سم الشجرة إلى الجرح فيختلط بالدم و يموت و يرجع بسببه مرميا شبه جذع نخل منصرم.

و لا شك ان هذه الشجرة شجرة سم.

قال ابن المجاور: و رأيت فى المنام ليلة الاثنين العشرين من شهر رمضان سنة عشرين و ستمائة كأن قائلا يقول لى: إن فى أرض الزنجبار شجرة تسمى نار و لا يمسها احد إلا احترق من وقته.

و ما اشتق حصن ثريد إلا من ثريد الخبز و اللحم، أى كل من يملك هذا الحصن يبقى إقليم اليمن قدامه شبه جفنة ثريد يأكل ما أراد، أى يملك ما اشتهى و أراد.

و فى سنة خمس عشرة و ستمائة زرعت جميع جبال اليمن الفوة و بطّلوا زراعة الغلال، لأن أحدهم كان يزرع الحنطة و الشعير، و ما كان يغل كل جريب إلا خمسة دنانير ملكية فزرعوا الفوة فغل لهم الجريب ستين دينارا، و ابتاعت الفوة سنة اثنتين و عشرين و ستمائة بعدن البهار بستة و سبعين دينارا، فلما رأت الخلق ما رأت قالوا: نترك غيره و نزرعه فزرعوه حتى الخدم و الجوارى و النساء و المشائخ

تاريخ المستبصر، ص: ۲۰۴

و الغنى و بقوا إلى أن ملك الملك المسعود يوسف بن محمد من ديار مصر، فأخذ جميع الفوة و لم يخل لأحد وزن أوقية، و جميع ذلك مباح مستهلك و ذلك فى سنة أربع و عشرين و ستمائة.

و مثابة فيه بدر الفضة

و أهلها قوم يقال لهم بنو نهم، و فى سوارق صعدة انباع و لو أنه من كان، و يقال:

إنه جلب زيد عبدا يريد بيعه فى السوق فقال العبد لسيده زيد: اصعد على هذا الحجر ناد على زيد، فلما صعد نادى العبد على زيد: من يشترى هذا العبد؟

فاشترى منه فباع العبد لزيد و أخذ ثمنه و راح.

من ذى جبلة إلى صنعاء

اشارة

من ذى جبلة إلى القرين فرسخ، و إلى السحول فرسخان، و هو الذى ينسج فيه الثياب السحولية، و كفن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى ثوبين منها، و هذا الوادى لبنى أصبح، قوم الفقيه أبى عبد اللّه مالك بن أنس الأصبحى، إمام دار الهجرة.

و إلى ذراع الكلب فرسخ، و إلى قلعة إبّ فرسخان، و إلى المغربة فرسخان، بناية الملك المعز إسماعيل بن طغتكين، و إلى المعبر فرسخ، و إلى حصن سماوى فرسخ، و إلى جدرة نقيل صيد فرسخ، و هو مدرّج، درّجه الملك الأعز على بن محمد الصليحى، و قال:

تاريخ المستبصر، ص: ۲۰۵

و أسكنت العراق خيار قومىو أسكنت النبيط قرى قتاب

و قتاب هو من جملة الحقل و الحقل من وادى صيد، و ينزل من ذروة النقيل عين ماء تسمى بالجبل إلى حوض و فى الحوض حوض صغير و فى الحوض الصغير سرب ينزل الماء فيه، لم يعلم أحد إلى أين يجرى.

و إلى ضربة عمرو فرسخ، و هى ضربة عمرو بن عبد ود العامرى فى حجر غاص سيفه فى لب الحجر كما تغوص الشفرة فى قالب جبن طرى، و كان السبب فى ضربه الحجر أنه تبعه قوم من العرب، و الأصح سيف بن ذى يزن، و يقال:

الحبوش، فلما ضجر منهم ضرب الصخرة ضربة، فلما رأت الحبوش ذلك ردوا على أعقابهم راجعين، و يقال: لما نظر سيف بن ذى يزن الضربة علم أنه لا يصح له منه شىء إلا بيد غالبة فخرج إلى العراق مستنجدا بكسرى فأعطاه كسرى جيشا ملك بهم اليمن.

فلما ثبت سيف بن ذى يزن فى ملك اليمن و خرج عمرو بن عبد ود إلى الحجاز، و هو الذى برز إليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب، رضوان اللّه عليه، و كبّر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ثلاثا و قال: برز الإيمان كله إلى الشرك كله، و قتل على يد أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى الوقعة[۵۷] كما قال:

كن ابن من شئت و اكتسب أدبامن عجم كنت أو من العرب

إن الفتى من يقول: ها أنا ذاليس الفتى من يقول: كان أبى

تاريخ المستبصر، ص: ۲۰۶

و إلى منزل الأصم فرسخ، و ما عرف بهذا الاسم إلا أنه وصل إلى هذا الموضع رجل أصم، أى أطروش، فسمع دوى جرى الماء تحت الأرض فحفر آبارا، و يقال:

أنهرا، و سكن به فعرف به، و إلى دار الضيف فرسخ، سكنها رجل من الأعراب و كتب على بابه فى الصخر:

ألا من وصل إلى الدار فلا يعدّىلأن فى الدار رجلا يغدّى

قال ابن المجاور: و عجبت منه كيف لم يكتب:

ألا من وصل إلى الدار فلا يمشّىلأن فى الدار رجلا يعشّى

و الكتب إلى الآن باق على حاله.

و قال أبو فراس بن حمدان فى المعنى:

نار على شرف تأجّج للضيوف الساريه

يا نار إن لم تجلبى ضيفًا فلست بناريه

و صفهٔ جبل ... السلطان الأعظم بهرام بن شاه بن مسعود ما وهب لأحد مال إلا وهب مع المال خلقًا استوجبوا القتل، فقيل له فى ذلك، قال: أما المال الذى ليس له عندى قيمهٔ و لا قدر و لا محل إلا لو وهبت الأرواح، كما قال الباركل فى المعنى:

كلّ له ثمن يباع بمثله إلا النفوس فما له أثمان

فأخذ هذا المعنى الحكيم فضل اللّه الغزنوى يقول:

تاريخ المستبصر، ص: ۲۰۷

ز ابتداى كون عالم تا بوقت پادشاه از بزركان عفو بودست از فرودستان كناه

خاصهٔ اندر عصر شاهى كز پى انصاف او كهربارا نيست آن يارا كه كردد كرد كاه

من كه از تدبير خصمان خورده بودم تير قصدزنده ما ندم تا بروز محشر از اقبال شاه

جان من بخشيده شاهيست كندر عصر او چند شاه تاج بخش است يا امير داد خواه

خسرو سياركان بايد كه اين شش بيت راباز كرداند بكلك تبر بر رخسار ماه

تا بياموزند شاهانى كه زر بخشند و سيم رسم جان بخشيدن از سلطان دين بهرام شاه

و إلى الملاوى ثلاثهٔ فراسخ، و إلى الحزيز فرسخان، و إلى مدارهٔ فرسخ، و إلى نقيل سلح فرسخان صعود، و إلى حداران فرسخ حدود، و إلى حبارى فرسخ، و إلى غيل البرمكى فرسخان، ماء جار، فلما قتل الإمام أبو محمد هارون الرشيد جميع البرامكهٔ هرب إنسان منهم و سكن صنعاء، فلما وجد قلهٔ الماء على أهلها اشترى أرض قاع عبّاد بن الفخر و حفر بها نهرا عظيما، و يقال: إن معين النهر هو من أرض العراق، فلما تم جريان الغيل أوقفه على ضعفاء صنعاء، فعرف الغيل بالبرمكى، و يقال: بل الذى حفره برمك الذهب، أى ما قصر فى جرح الذهب على حفره.

و إلى صنعاء فرسخان.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۰۸

بناء صنعاء

حدثنى يحيى بن على بن عبد الرحمن الزراد قال: إن شيث بن آدم، عليه السلام، بنى مدينهٔ صنعاء و غرس بظاهرها بستانين أحدهما أيمن الدرب و الثانى أيسره، و هما بطول من صنعاء إلى العراق مسيرهٔ سبعهٔ أيام.

حدثنى السلطان جميل: بنى به سام بن نوح، عليه السلام، لأنه استولى عليه و لم يكن يقدر على المقام فى مدينهٔ واحدهٔ فكان يدور العالم على موضع هوى خفيف الماء معتدل الأرض فى الصحهٔ ليسكن ما به من الألم، فوجد أرضا موافقهٔ لطبعه، فلما نزل صنعاء زال عنه الألم، و حينئذ صعد على جبل نقم فسكنه و قال لأهله و أشياعه و أتباعه:

ليعمر كل منكم مسكنا يسكنه، فعمرت الخلق المساكن فرجعت مدينهٔ طولها و عرضها مسيرهٔ سبع فراسخ، و كانت أعمالها تنفذ إلى البصرهٔ، و بقيت الطريق مسلوكهٔ عامرهٔ إلى أن علاه الرمل فقطعه.

و بنى هود، عليه السلام، فى جامعه بئرا، و هى أول بئر حفرت فى عالم الكون و الفساد، و أدار سورها الملك الأغر على بن محمد بن على المعلم الصليحى بالحجر و الجص و ركب عليه سبعة أبواب:

باب غمدان ينفذ إلى اليمن، و باب دمشق ينفذ إلى مكة، و باب الشيخة ينفذ إلى محلة الشيخة، و هم المجذومون، و باب خندق الأعلى يدخل منه السيل، و باب

تاريخ المستبصر، ص: ۲۰۹

خندق الأسفل يخرج منه السيل يسقى الأرض، و باب النصر ينفذ إلى جبل نقم و براش، و باب شرعة ينفذ إلى بستان السر، و اللّه أعلم.

ذكر قصر غمدان

اشارة

أول من ابتدأ فى بنائه سام بن نوح، عليه السلام، لما بنى صنعاء، و يقال:

سليمان بن داود، عليهما السلام، لما دخل اليمن يتزوج بلقيس، و كانت التبابعة من ملوك اليمن لهم رغبة نفيسة و همة عالية فى عمارته، و كل ملك تولى منهم كان يعلى قصرا على قصر حتى ارتفعت تلك القصور اثنين و سبعين سقفا، و يقال:

ثلاثة و تسعين سقفا.

و آخر من بنى به أسعد الكامل، و يقال: أسعد الخزاعى، قصر من زجاج و هو الخاتمة.

أنشدنى عبد اللّه بن دارى بن أبى بكر العنبرى ليلة الأحد الخامس من صفر سنة ثلاث و عشرين و ستمائة:

لا يأخذ الثأر إلا كابن ذى يزنإذ صيّر البحر للأعداء أحوالا

أتى هرقلا و قد شالت نعامتهفلم يجد عنده النصر الذى سالا

ثم انثنى نحو كسرى بعد سابعةمن السنين يهين النفس و المالا

حتى أتى ببنى الأحرار يقدمهمتخالهم فوق متن الأرض أجبالا

غلبّ أساورة بيض مرازبةأسد تربب فى الغيطان أشبالا

للّه درّهم من عصبة صبرما إن رأيت لهم فى الناس أمثالا

تاريخ المستبصر، ص: ۲۱۰

أرسلت أسدا على سود الكلاب فقدأضحى و شيكهم فى الأرض فلالا

فالطط بمسك إذا شالت نعامتهمو أسبل اليوم فى برديك إسبالا

و اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقافى رأس غمدان دارا منك محلالا

تلك المكارم لا قعبان من لبنشيبا بماء فعادا بعد أبوالا

حدثنى قاضى الجبل من آل الصليحى قال: حدثنى رجل سمع من لفظ أبى محمد عبد اللّه بن حمزة الحسينى قال: إن أواخر فىء قصر غمدان كان يصل إلى وادى الظهر، قلت: كم يكون بينهم من المسافة؟ قال: مثل من زبيد إلى الزريبة، و من زبيد إلى الزريبة مقدار

فرسخ زائد لا ناقص.

قال ابن المجاور: و لا شك أنه كان يصل فيء القصر إلى وادى الظهر إذا قربت الشمس للغروب، لأن فى مثل ذلك الحين يكون الظل و الفيء إلى أن يرجع مثل الشيء ثلاث [أو] أربع مرات، كما يقال، بنيانه بل ضياء سرجه كان ينظر من المدائن و قيل: إلى المدينة.

و بقى القصر على حاله إلى أيام خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى اللّه عنه، قعد بعض الليالى بظاهر المدينة إذ نظر فى الجو شيئا يضيء شبه كوكب درى، فسأل عنه فقال بعض من حضر مجلس أمير المؤمنين و فى خدمه:

إن ضوء هذا ضوء شمعة تشعل على أعلى قصر غمدان بصنعاء، فأمر بهدمه فهدم، فالآن بقى تل عظيم، و قد بنى موضع القصر بدر الدين حسن بن على بن رسول قصرا عظيم الهيكل سنة ثمان عشرة و ستمائة.

حدثنى يحيى بن على بن عبد الرحمن الزراد قال: ما بنى قصر غمدان إلا

تاريخ المستبصر، ص: ۲۱۱

امرأة تسمى الزباء و أمرت ان يجعل فوق كل قصر قصر طويل، كل قصر أربعون ذراعا بالعمرى فى عرض مثله فى ارتفاع مثله.

قال الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد اللغوى الأزدى فى ذلك:

و استنزل الزباء قصرا و هى منعقاب لوح الجو أعلى منتما

و سيف استعلت به همتهحتى رمى أبعد شأو المرتمى

فجرّع الأحبوش سمّا ناقعاو احتل من غمدان محراب الدّما

و قد ذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب ان قصر غمدان يعمر ثانية أحسن مما كان فى الأول.

فصل: [(بناء القصور)]

حدثنى سلامة بن محمد بن حجاج المذحجى أن الأوائل بنت فى بيت بئر فأس العوامل قصرا و أعلاه سبعين سقفا بالحجر الرخام الأبيض، ضرب فيه بعض الحبوش نارا أحرقه و أخربه و ارتدم بعضه على بعض فرجع كشبه جدار عظيم، و كان ينظر منه إلى مكة، و بنى الإمام أبو جعفر المنصور القبة الخضراء ببغداد لسبع طباق، كلها عقود، لئلا يرميها الهوى من علوها فى الجو، و كان ينظر إليها من هيت و تكريت، و بنى ملوك العجم إيوان كسرى فى المدائن، و كان ينظر منه إلى حلوان.

و يقال: إن العمانية و صفها مذكور مشهور و لو لم تكن مشهورة كنا ذكرناها على التمام و الكمال.

و بنى الكوالى قصر ادور حورهر فى قلعة كواليور على تسع طبقات و ينظر منه مسيرة عشرة أيام، و هو إلى الآن قائم عامر، و كان فى سالف الدهر على رأس قبة

تاريخ المستبصر، ص: ۲۱۲

المسجد الأقصى درة فإذا أظلم الليل غزل نساء حوران فى حوران على ضوئها غزلا رفيعا، بناه سليمان بن داود- عليه السلام- و خربه بختنصر البابلى، و كان ينظر منه مسيرة عشرة أيام.

و قلعة ماردين تبان من الفرات مسيرة ستة ايام.

و كوارى حصن جاهلى بنته بنت بكر من الهنود و بينه و بين السند ... و راواسان يبان من توران يعدى شط السند مسيرة خمسة عشر يوما، و بنى مهراست بن ارجاسب فى أيام درست الحكيم و جمة تول ادر فى بلخ و نصب على قبة الوجمة علما أخضر فأخذ شدة الهوى العلم و رماه إلى الأرض على مسيرة خمسة و عشرين فرسخا، و ذلك لعلوها.

صفة جبل المذيخرة

و بلغنى أن فى أعلاه نحو عشرين فرسخا، و طافّتها المزارع و المياه و فيه ينبت الورس و هو كالزعفران، و لا يسلك إلا من طريق واحد، و كان محمد بن المفضل الداعى المعروف بشيخ لاعة، و هذه لاعة إلى جنبها قرية لطيفة يقال لها: عدن لاعة، و ليست عدن أبين الساحلية، قال عمارة بن محمد بن عمارة: إنه دخل هذه، عدن لاعة، و هى أول موضع ظهرت فيه الدعوة العلوية باليمن، و منها منصور اليمن و منها محمد بن المفضل الداعى.

و ممن وصل إليه من دعاة الدولة الفاطمية أبو عبد اللّه الحسن بن أحمد الشافعى الشيعى الكوفى صاحب الدعوة العلوية بالمغرب.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۱۳

و فيها قرئ على محمد بن محمد بن على المعلم الصليحى فى صباه، و هى دار دعوة باليمن، فكان محمد هذا، محمد بن المفضل الداعى غلب على جبل المذيخرة و خطب فيه لدعوة العلوية سنة أربع و ثلاثمائة، ثم استرجعه منه أصحاب أسعد بن يعفر صاحب صنعاء.

صفة جبل شبام

و هو منيع جدّا، و فيه قرّى و مزارع و جامع كبير، و هو معاملة نفيسة، و يرفع منه العقيق و الجزع، و هى حجارة مغشّاة، فإذا عوملت[۵۸] ظهر جوهرها.

و ممن امتنع به من عمال ابى الجيش اسحاق بن زياد سليمان بن طرف صاحب عثر و هو من ملوك تهامة، و أعماله مسيرة عشرة أيام فى عرض يومين و هو من الشرجة إلى حلى، و مبلغ ارتفاعه فى العام خمسمائة ألف دينار عثرية، و كان مع امتناعه عن الوصول إلى أبى الجيش إسحاق بن زياد يخطب له و يضرب السكة على اسمه و يحمل إليه مبلغ من المال فى كل عام و هدايا لا يعلم مبلغها، و أما الذى سلم لابن زياد من اليمن حين طعن فى السن فله من الشرجة إلى عدن طولا و له من غلافقة إلى صنعاء عرضا، و رأيت مبلغ ارتفاع أعمال ابن زياد بعد تقاصرها فى سنة ست و ستين و ثلاثمائة ألف ألف دينار عثرية خارجا عن ضرائبه على المراكب الهندية و الأعواد المختلفة و المسك و الكافور و الصندل و الصينى، و خارجا عن ضرائب العنبر على السواحل بباب المندب و عدن و أبين و الشّحر، و خارجا عن

تاريخ المستبصر، ص: ۲۱۴

ضرائبه على معادن اللؤلؤ و عن ضرائبه على جزيرة دهلك، و من بعضها منها ألف رأس منها خمسمائة و صيف و خمسمائة و صيفة نوبية، و كانت ملوك الحبشة من وراء البحر تهاديه و تستدعى مواصلته.

و مات أبو الجيش هذا سنة إحدى و سبعين و ثلاثمائة عن طفل اسمه عبد اللّه، و قيل: إبراهيم، و قيل: زياد، تولت كفالته أخته هند بنت أبى الجيش، و عبده أستاذ حبشى يدعى رشيد، و كان من عبيد رشيد هذا وصيف من أولاد النوبة يدعى حسين بن سلامة، و هى أمه، و بها كان يعرف، و نشأ حسين هذا حاذقا عفيفا، فلما مات مولاه رشيد توزّر لولد أبى الجيش و لأخته هند، و كانت دولتهم قد تضعضعت أطرافها و تغلبت ولاة الحصون و الجبال على ما فى أيديهم منها، فأقام الحسين بن سلامة يحارب أهل الجبال حتى دانوا ودان سليمان بن طرف و ابن الحرامىّ و استوسقت له مملكة ابن زياد الأولى.

صفة صنعاء

اشارة

صفة شرب أهل صنعاء من غيل البرمكى، و قد تقدم ذكره، موافق لمن شربه، و أهويتها باردة تشبه أهوية خراسان موافق لجميع البضائع لم يضر شيئا، و خاصة الزعفران تبقى فيها ما شاء اللّه، و يوجد بها من جميع الأثمار من التفاح و المشمش و الخوخ و الإنجاص و السفرجل و العنب و التين و الكمثرى و الورد و النرجس و الياسمين و سائر المشمومات و الرياحين و البقول.

حدثنى قيصر، مولى جمال الدين و الدولة جوهر، أنه يباع بها الفجل مشقق

تاريخ المستبصر، ص: ۲۱۵

أربع، قلت: و لم؟ قال: لأنه وجد امرأة تستعمله فى فرجها، فعلم بشرح حالها والى المدينة فأمر أن لا يباع الفجل إلا مشقا و أسسوها سنة.

و يجمد بها الماء، حدثنى سليمان بن منصور قال: إن الماء يجمد على الورا و الكرامى و لم يبن من أبدانهم سوى رءوسهم، فحينئذ يأتى درين، و هو الثعلب، على الجليد يقطع رءوس الطيور.

قال ابن المجاور: و هذا شىء مستحيل لأن كل بدن فيه الروح لم يجمد عليه شىء لأن الحرارة الغريزية تغلب البرودة و لم يجمد الماء إلا على شىء مات لأن طبع الحياة حار لين و طبع الموت بارد يابس، فإذا كان الأمر على ذلك لم يستقم قوله و لا يستبين فعل درين.

و أهلها من نسل العجم خرجوا من الحبوس و القيود فى دولة يزدجرد بن شهريار ابن بهرام، و يقال: كسرى بن قباد مع سيف بن ذى يزن لا ستفتاح اليمن من الحبوش، و حكايتهم مشهورة مذكورة فى كتاب مسطور، و ليس جميع اليمن مدينة أكبر و لا أكثر موافقة و أهلا من صنعاء.

و هو بلد فى حد الاستواء سواء، و هو من الاعتدال فى الهوى بحيث لا يتحرك الإنسان من مكان واحد طول عمره صيفا و شتاء، و تتقارب ساعات الشتاء و الصيف، و كان لها بناء عظيم خرب.

فصل: [(خروج الجيوش لإستفتاح البلاد)]

خرج أهل اليمن فى أيام سعد الخزاعى، و هو من جملة التابعة لاستفتاح المغرب، فلما استفتحوها طابت لهم سكناها، و من جملتها مدينة صنهاجة، و لما كسر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الأصنام من الكعبة سرقت بنو مقبل لمناة و أدخلوه

تاريخ المستبصر، ص: ۲۱۶

الهند و تفرقوا بأعمال البلد و سكنوها، و تنصرت بنو جفنة فى أيام أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، رضى اللّه عنه، لأجل لطمة دخل بعضهم إلى القسطنطينية و إلى بلاد الادعوان و هم مناجمين [كذا] أهل المغرب، و فيهم قال أبو تمام: و لما دعا إسحاق بن إبراهيم- عليه السلام- لولده يعقوب بالنبوة اغتاظ العيص فدخل حرز الإفرنج مع جماعة من بنى إسرائيل توطنوها فولد الإفرنج منهم، و بنو عجل أخرجهم ربيعة، و الأصح المرقعة، أسكنوها خراسان، و صار ملك خوزستان على الرعية انتقلوا إلى أعمال الكر سكنوها.

و خرج جيش عرب من بنى تميم فى أيام عمر بن عبد العزيز بن مروان استفتحوا السند، فلما طابت لهم سكنوها فظهر منهم الكوكر و الحمت و السنه و حاجر، و خرج جيش من أنطاكية فى أيام عبد الملك بن مروان إلى المغرب، فلما طابت لهم سكنوها، و ظهر منهم الملثمون، و يقال: إنهم من نسل مظلوم بن الصحصاح بن جندب الكلابى فى الترجمة، و هم من أخيار و كبار خوارزم، أخذهم السلطان محمود بن سبكتكين، نفاهم إلى أرض الهند، فلما طابت لهم سكنوها، و لما خرجت الإباضية على علىّ بن أبى طالب بأرض اليمن، من أعمال العراق، و لوا الأدبار و ما زال السيف وراءهم إلى أن عبّرهم البحر و سكنوا إقليم عمان.

و أهل طرابلس المغرب تحولوا فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضى اللّه عنه، إلى بارى و تولية، و بنو كنانة و أخرجوا الإفرنج من عسقلان و سكنوها، فلما تخربت تفرقوا فى أكناف البلاد، و بنو حية خرجوا من الشأم فى أيام دولة الإمام أبى عبد اللّه

جعفر المنصور و سكنوا المغرب.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۱۷

و لما غزا بختنصر بنى إسرائيل الشأم سكن اليهود نهر السبت مما يلى ظهر الحجاز، و لما قويت صولة السلطان معز الدنيا و الدين أبو المظفر محمد بن سالم على الخوارزمية نزل من نيسابور ألف رجل مكتّفين الأيدى مكشّفين الرءوس حفاة مشنقين فى حبال المنجنيقات شتت شملهم و مزق جمعهم فى أقاصى إقليم الهند.

و لما قويت شوكة السلطان علاء الدين أبو الفتح محمد بن تكش على الخطا و التتار ساق منهم من أراد و أسكنهم أعمال كرمسل، و لما قويت شوكة الترك على السلطان علاء الدين محمد نقلوا المسلمين من خراسان إلى بغداد و أوراق الشجر و القصران إلى أن عبّرهم سيحون.

شعر:

خليلىّ نومى عن جفونى مهّدو قل اصطبارى بعدهم و التجلّد

فقلبى عن الأحباب لا يقبل العزاو جفنى قريح بالدمع مسهّد

و إنى حزين كلما مر ذكركم‌بنو لكم بعضى و بعضى مفرّد

لئن جمعت بينى الليالى و بينكم‌و عاد زمان الوصل بالوصل مسعد

أصوم لوجه اللّه دهرى تطوعاو ألصق وجهى بالتراب و أسجد

و بعض أهل صنعاء و جميع أهل المشرق على مذهب الزيدية، و هو مذهب الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، و ينسلخ من الزيدية المخترعة و المطرفة، و هم الذين يقال لهم الصالحية و الجارودية، لبسهم الخام لبرودة البلاد، و لبس شبابهم الفتوحى، و اللّه أعلم.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۱۸

ذكر تفصيل الفتوحى

جاءت عجوز بأبى سعيد بن الحسين بن أحمد بن بهرام الجباهى، و الأصح على ابن فضل، إلى خياط يعلمه الخياطة، فكان الصبى يأخذ الثوب المفصل من أستاذه الخياط يخيطه فى موضع لا يراه أستاذه، فلما طال ذلك سأله الخياط عن انفراده و غيبته، قال له على بن المفضل: إنى لآخذ الثوب منك فأصعد على أعلى ذروة نقم أخيط هناك و أفكر و أشرف إذا ملكت صنعاء من أى باب من الأبواب أدخلها، فلما سمع الخياط لفظ على بن فضل قال له: قم نسكن جبل نقم فسكناه، و صار كل من يقتل أو يهرب من دين أو مظلمة صعد إليهم فأمن، فما زالوا على حالهم فى مكانهم إلى أن التأم إليهم و انضاف إليهم خلق و عصوا فى الجبل، و صارت سرية القوم تصابح صنعاء و تماسى، فلما استقوى و ضعف حال ولاة صنعاء تملكها فتولاها، فإذا هو على مذهب القرامطة، و كان مولعا بحب النساء، يفصل لهم الفتوحى، و كان يوقف النساء حلقة دائرة و يدخل هو فى كم إحداهن و يتفرج على نهودها و أعكانها و أركانها و يمسك قماشها و يخرج من كمها إلى كم صاحبتها، و لا يزال إلى أن يدور على الجميع و لم تنكشف إحداهن إلا كلّ عندها ما عند صاحبتها و كلّ بروحها مشغولة، و يسمى الفتوحى لاستفتاح صنعاء، و يقال: إنه فتح الخياط، و كانت تلبسه نساء بغداد إلى أواخر دولة الإمام أبى محمد الحسن المستضىء بنور اللّه، أمير المؤمنين، و لبس نساء جميع العرب و جميع التركمان و الكرد و الباذج و نساء أهل سيستان إلى الآن منه، و لهذا يقال للصنعانى:

يا أبا حسان.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۱۹

حدثنى يحيى بن عبد اللّه الخياط قال: زرع أسعد الصنعانى فى أرض له شعيرا، فلما بلغ الحصاد قال للحصّاد: ألا كل من أراد حصاد الحنطة، فالتأم معه خلق، فلما وصلوا الزرع و إذا به شعير، قال: فنادى بعض الحصادين بعضهم: يا أبا حسان، يعنون صاحب الزرع، لأن كنية أسعد أبو حسان، أى كذب أبو حسان، فمن الحين و الوقت سنة اثنتين و عشرين و ستمائة، و يقال بالعجمية: كندم نما جو فروش، أى يظهر عين الغلال و حنطة و يبيع شعيرا، و هذا عيب عظيم، و لهذا يقال صنعاء محاصرة.

حدثنى سليمان بن منصور قال: إذا وقع فى لحية إنسان من العرب، يعنى زيد، شىء من فتات الخبز أو قشر أو شىء لا يليق به يقول عمرو لزيد: صنعاء محاصرة! فيمسك زيد لحيته يهزها ليقع ذلك الشىء منه و يقول: حاشا صنعاء تحاصر، و هذه اللحا باقية، و هى إشارة بين القوم كما قال:

و ما زلت أطوى مهمها بعد مهمه‌على حسرة حتى وقعت على صنعا

كما يقال فى الشأم: حلب محاصرة.

عجائب ذمار

لم يوجد فيها حية و لا عقرب و إذا دخل إنسان بحية إلى ذمار فعند دخوله الباب تموت الحية، و يقال: إذا أخذ من تراب ذمار و شذر فى سلة الحواء موّت جميع حياته، و هذا أعجب شىء يكون.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۲۰

و يقال: إن أرضها كبريتية لا يقيم فيها من المؤذيات شىء إلا هلك، و منها يجلب الكبريت إلى سائر أعمال اليمن، و يكون طول آبارهم ثلاثة أذرع.

صفة جبل لشى

و هو جبل الشب، و مشارق ذمار بمسافة فرسخين جبل يسمى لشى، و جميع حجره و مدره و يمينه و شماله و شأمه و يمنه قطعة واحدة لحب، و فى صيد منه أى ضرس منه كهف، و فى الكهف بحر ماء حار يغلى، و كل مريض يمرض من أهل البلاد يأخذ منه فدّى، كلّ على قدره، يعرى ثيابه على باب الغار و ينزل و بعد ذلك يسبح فى الماء و ما يخرج منه إلا و هو متعاف، و فوق منه مدينة مدور من جبالها يستخرج و تسمى المعدن و المقر، و مغارة صنعاء جبل اللوز و سرير ملك مدينة نعمة، و من ورائها مثابة[۵۹] و هى مدينة ذات طول و عرض، و جميع هذا الجبل يحمل اللوز لا غير.

صفة نكاح أهل هذه الأعمال

إذا خطب زيد بنت عمرو و أنعم له بذلك يقول زيد لعمرو: أريد أشاهد جمال كريمتك، فيقول له عمرو: اقدم إلى السوق الفلانى فإنها تتوعد به تشاهدها فى بيعها و شراها و جمالها، فيتقدم زيد إلى السوق الذى دله عمرو عليه فيقعد على

تاريخ المستبصر، ص: ۲۲۱

قارعة الطريق، فتقبل خطيبته و على ظهرها كارة و على قدر شيلها تحط فى السوق فتبيع ما معها و تشترى حوائجها، و ترفع كارتها على ظهرها، و يرجع خطيبها وراءها تقطع الجبال و الأودية و الشعاب و السهل و الجبل و اللين و الوعر، و هذا كله و لم تحط الكارة من ظهرها و لم تسترح، فإذا أعجب الرجل حالها و جمالها و شيلها و بيعها و شراها و قوة صبرها على شيل الثقيل فعند ذلك يملك بها و

يدخل عليها و تبقى على شغلها ذلك إلى الممات.

و هذا زى القوم فى البدو و البادية، و لبسهم الخام لبرودة البلاد، و يقال: إن رجلا قال: اشتهيت على اللّه عز و جل مياه صنعاء فى عدن و أحطاب عدن فى صنعاء و كلاهما ملكى، و لم تعرف أهلها شعلا لسراج.

حدثنى محمد بن منصور بن محمد الواسطى قال: يطلع فى أعمال تعز و صنعاء قضبان تسمى شوحط، إذا أشعل رأس القضيب اشتعل شبه الشمع، و لم يشتعل فى سائر الأعمال طول الدهر إلا الشوحط لا غير عوضا عن السراج و الفتل.

مأكولهم الحنطة و الحلبة و اللحم، و الشراب لا يقطعونه لا صيفا و لا شتاء، لا ضعيف و لا قوى، سفرهم إلى عدن و شراؤهم العطب و العطر و الهندوان، و غاية اشتغال القوم فى معرفة الجواهر و علم الكيمياء و علم النجوم و النحو و المنطق و الفلسفة و الهيئة و الهندسة و حساب الضرب و الجمّل، و قوم يدّعون الحكمة و فصل الخطاب.

و بناؤهم بالحجر القديم لا يحفرون الأساسات القديمة و يستخرجون منه ألواح حجر طول اللوح أربعة أذرع فى عرض مثله، تكسر تلك الحجارة و تعمل و يبنى بها، و بناؤهم على تقاطيع بغداد فى التفريض و التذهيب.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۲۲

صفة وادى الظهر

حدثنى عبد اللّه بن مسلم الزبيدى الوكيل قال: فى أعمال صنعاء واد يسمى وادى الظهر، ففى بعض السنين مطر غيث طحطاح رحراح فسالت منه الأودية و رويت منه البلاد و سقى منه العباد، و سال أواخره إلى الوادى، فمن حدة جريانه غسل الأرض من التراب و الحصى فظهر فى بطن الوادى صخرة كبيرة عليها مكتوب:

أنا الذى قد أفنى ثموداو عادا ثم أفنى جبلا

فمن يعمل قبيحا أو جميلابه يلقاه مكتوبا سجلا

فبقيت الصخرة فى بطن الوادى يقرأها زيد و عمرو و يعتبر منه قيصر و جعفر عدة شهور، و بعد انقضاء هذه المدة جاء سيل أعظم من الأول طم الصخرة بالحصى و التراب و رجع إلى ما كان و لم يعرف أين كان إلى الآن.

من صنعاء إلى المحالب راجعا

من صنعاء إلى حصن ثلا ثلاث فراسخ، بناء مشائخ بنى معن.

حدثنى منصور بن مقرب بن على الدمشقى قال: إن تبع بنوا حصونا سبعة، فمن جملتها كوكبان وحب و جبأ و نكور و صحم و عزان و ثلا.

و إلى عزان فرسخ و نصف، بناه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة الحسينى، و إلى مسك أربع فراسخ، و إلى حجة فرسخان، و أما إقليم حجة فطويل عريض، و من

تاريخ المستبصر، ص: ۲۲۳

جملتها مائتان و ثمانون حصنا، و تسمى المقطوعة و الجاهل و الاغرابى و قرن عشار و الشرفة و القطيع و جبل عمرو و الظعين و الرهبة و العيار.

حدثنى سليمان بن منصور قال: إن جميع ما تقدم ذكره حصون مانعة أعطاها الملك المسعود أبو المظفر يوسف بن محمد بن أبى بكر مع ثلاثين ألف دينار حتى سلّموا إليه حصن بكور سنة ست عشرة و ستمائة.

و إلى الـذنائب خمسة فراسخ، و يكرى بهذه الأعمال الشـقة الشـقدف التى تلى الجبل بدرهم واحد، و التى تلى الوادى بدينار، قلت: و لم؟ قال: لأن الآساد فى هـذه الأماكن كثيرة، يكمن الأسـد على سـقيف جبل مشـرف على المحجـة فلم يحس الإنسان إلا و الأسـد قد اختطفه مكابرة و العين ترى العين، و الـذى مما يلى الوادى مخلص من خوف الأسد فإنه قاعد على تل السـلامة، و يقال: إن أسود هذه البلاد متأسدة، أى سحرة يقلبون صورهم على صورة الأسود.

حـدثنى على بن معالى الـدلال قال: إن أسود هـذه البلاد قط لم تفترس حمارا و لا بقرة و لا ضأنا، و لم تقصـد إلا ابن آدم، فإذا قصـد الإنسـان شـجرة نزل الأسـد تحتهـا و يبقى مـدة ثلاثـة أيـام، أربعـة أيـام، و ينتظر الإنسان متى يتعب و ينزل فيأكله و ترى الإنسان يقول للأسد: باللّه عليك إلا ما عفوت عنى، و هو يريد نزوله و يضـرب بيديه الأرض و الشخص يحلفه بمعبوده إلى أن يعدو عليه، قلت: فما السـبب فى تأسد القوم، فإن الثواب فى الظلم للعشـيرة؟ قال: يتعلم السـحر من بعضهم البعض و يتأسد الإنسان و يجتهد فى إيذاء الخلق بأوحش الصورة و الخلق، و إنهم طول حياتهم بينها حكايـة طويلـة عريضة، و قد قال النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم: «كاد الفقر أن يكون كفرا».

و إلى المحالب خمسة فراسخ.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۲۴

من صنعاء إلى مأرب

اشارة

حـدثنى سـلامة بن محمـد بن الحـذجاج المحجى قـال: من صـنعاء إلى مسور أربع فراسـخ، أرض بنى باهش، و الى وادى جنات أربع فراسخ، و إلى المأزمين أربع فراسخ.

ذكر هد سد المأزمين

اشارة

حـدثنى محمد بن سـلامة بن حجاج قال: سدّت أهل شداد و عاد منفذ جبلين بالحجر و الرصاص و صـعدوا فى ارتفاعه إلى أن حاذى الحائط ذروة الجبلين، فصارت السـيول تفلت فيه و الماء يستجمع إلى أن رجع بحرا مسدودا، و كانوا يسقون منه أراضيهم و أنعامهم، و يقال: إنهم كانوا يسقون منه إلى قرب الشأم بساتين ذات أعناب و نخل و زرع و قرى متصلة بعضها ببعض، و بقى الإقليم عامرا إلى أن أخربه اللّه، و كـان الموجب مـا ذكره الرازى أنه خرجت قافلـة من الشأم و إذا بفأر قفز من الأرض ركب ظهر جمل من بعض الأجمال التى فى القافلـة، و مـا زال الفـأر ينتقـل من جمـل إلى جمل و يعبر منزلا بعـد منزل إلى أن وصل مدينـة مأرب فقفز الفأر من الجمل و دخل السد و صار يعمل فيه عمله.

و يقال: إن النعمان خرج يوما فى طلب الصـيد فحصّل فى طرد الصـيد فوجـد الفأر بأنياب حديد يحفر السد، فلما رجع إلى أبيه المنذر قص عليه حكاية الفأر و صفة أنيابه أنها من حديد يحفر السد، فقال المنذر: صح يا بنى ما وجدناه فى

تاريخ المستبصر، ص: ۲۲۵

الكتب أن ما يخرب سـد مأرب إلا فأر أنيابه من حديـد، و أريد منك إذا دخلنا يوم الأحد إلى الدير و الكنائس و الناس فيه مجتمعون فقم إلىّ و شاكلنى فى أمر من الأمور و طوّل لسانك علىّ، فإذا رأيت الأمر قد طال فقم إلىّ و الطمنى براحة كفك على خدى.

قال النعمان: و كيف يمكن ذلك؟ قال: يا بنى افعل ما أمرتك به، لأن لى فيه رأيا، و لك فيه مصلحة، ففعل الولد ما أمره به والده.

فلما لطم الشيخ غضب الشيخ، فمن الحين سمى الملطوم، فقام الشيخ بين الجميع و قال: يا وجوه العرب، ما بقى لى معكم سكن، فقالوا له: و لم؟ قال:

و كيف أقيم و صبى كسر حشمتى بينكم و حرمتى!.

و من ساعته نادى على السد فتألبت و التأمت قبائل العرب فى شراه، قالوا: بكم؟

قال: تغمدوا سيفى هذا! و غرس ذؤاب سيفه على الأرض و صارت العرب تنقل الذهب و الفضة و المصاغ إليه، و ما زالوا على حالهم يصبون الذهب إلى غمد سيفه بالذهب، فأخذ الشيخ المال و صعد الجبل و سكن مقابل السد، و الجبل يسمى جبل حقا، و هو و أهله فيه ينتظرون خراب السد، و لما تمكن الفأر من السد و خرقه أخربه و ضرب السيل[۶۰].

حدثنى سلامة بن محمد بن حجاج قال: لما دفع السد أخذ الماء فى جملة ما أخذ ألف صبى أمرد على ألف حصان أبلق غير البيض و الشقر و الدهم و الخضر، كما قال:

تاريخ المستبصر، ص: ۲۲۶

تهدم سد المأزمين و قد مضى‌زمان و هو ينقاد حيث يقاد

و إلى مأرب أربع فراسخ، و تسمى الحصنين، و من هذه البلدة نقلت الجن عرش بلقيس إلى أرض فارس، فى زمن سليمان بن داود، عليهما السلام، كما قال عز و جل: أَ هكَذا عَرْشُكِ قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ[۶۱] فقال:

مولاتنا و وليهٔ آل الذى‌طالت كما طالت علا بلقيس

و قد قال الأديب الصابر فى مدح السلطان أتسز بن ألب أرسلان، حاجب السنجرى:

وين؟؟؟ صور كه ماندهى كسدمى‌كارم دل لسانه و الان يسرى

فلما اندق السد أخذ مأرب فى جملة ما أخذ، فلما زال شر الماء و ضرره دارت الخلق على موضعين سليمين منه صوران يسمى أحدهما درب الأعلى و الثانى درب الأسفل، و فى درب الأعلى شارع يقال له: شارع الفضول، كل من تلاكم و تعربد و ضرب و ضرب لا يؤخذ له و لا يؤخذ منه حق، فإن كان خارجا عن الشارع وجب على كلّ حقه فى الأخذ والرد.

قال: و حدثنى رجل مغربى قال: و كان حسام الدين على لؤلؤ فى صنعاء واليّا يقال له: والى الفضول، كل من كان يتعلق عليه بحجة فكان يأخذ من كل واحد دينار.

و هو على هذا الوضع و الترتيب.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۲۸

و يقال: إن مدينة مأرب بناها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، و يقال:

عابر، و هو: هود، عليه السلام، و يقال: إنما سمى سد مأرب لأن قوم عاد لما سلط اللّه عليهم الريح العقيم و كان يقف على السد كل يوم كذا و كذا من رجل ليردوا عن أصحابهم البلاء، و كانت الريح تضرب بعضهم على بعض، كما قال اللّه عز و جل: ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ[۶۲] فبنوا السد ليرد عنهم قوة الماء، فلما عذب تلك الأمة اجتمع السيول فيه و كثرت المياه فبقى جريا للماء فبنى عليه قرى و عمارات و زراعات إلى حدود الشأم و كان يسقى منه جميع ذلك.

فصل: [(فى المعادن)]

ولد لحصيص بن حصن ولد فى مأرب أمسى علمه فى حضرموت مسيرة ثمانية أيام، لأن كل ناطور زرع كان يخبر صاحبه حتى اتصل الخبر بحضرموت، و ذلك من عمارة البلاد و كثرة العباد.

بأعمال العواهل جبل يسمى المعدن، و هو معدن الفضة، و جبل يسمى سرواح معدن الذهب و ترابه أصفر يشبه الزرنيخ لم يعرف أهل زماننا هذا عمله، و يقال: إن قوم عاد كانوا يستخرجون الذهب و الفضة من هذين المعدنين و هم فى هذه الأعمال، ما بين إقليم العواهل، و وادى بيحان جبل ملح لم يكتل عرب مذحج و البدو و البلاد إلا منه، و يقال: بل يكتال منه عرب نجد و ما حولها من البدوان، و يوجد بهذه الأراضى النعام و الفهود و الظباء و الأيائل كثيرة، و جميع بناء القوم بالحجر الرخام المنحوت المنجور، و كان ينقل فى قديم العصر من جبل يام، و هو مقارب براقش مسيرة أربع فراسخ، حصن أبيض.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۲۹

من مأرب إلى الجوف

اشارة

من مأرب إلى ورسان اربع فراسخ، بئر صغير من بناء قوم عاد، و إلى براقش اربع فراسخ من اعمال الجوف، و إلى معين فرسخ، و إلى هرم فرسخ، و فيه يقال:

ما بين معين و هرم‌سبعون بئرا لابن لخم

مطوية بالساج من جوف القدم‌ما برحت لحم حاب لحم

غلبت عليها هذيل و عقيل و جشم

و إلى الجوف الأعلى أربع فراسخ، أرض بنى دعام، و به من القرى العادية معمور درب الظالم و السوق و دار عصية و وحسان و سعموم و صهيد، و القاع يزرع به الحنطة و الكمون، و كل هذه القرى عامرة بأهلها، و لا يزال القتال بينهم دائما، و مشائخ البلاد يدعون أموالهم بأرواحهم و الضعفاء يزرعون و يحصدون، و التى هى خالية من السكان السوداء و حراضة و درب بنى محرم و العاصة، و فى الجوف السوداء و البيضاء و معين و هرم و سرال و براقش و درب أقصى و مقعد الفيل و الجار و بردا و حمضة و حمض و الهجيرة، و اللّه أعلم.

صفة هذه الأعمال

مساكن شداد و عاد و التبابعة الجبابرة، بناؤهم بالحجر و الرخام و الرصاص و شىء منها نقر فى الجبال كما قال اللّه عز و جل: وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً

تاريخ المستبصر، ص: ۲۳۰

فارِهِينَ[۶۳] و يقال: إنه كان يلين لهم الحجر فى العام شهر زمان، و الأصح عشرة أيام، ففى هذه المدة كانوا يعملون منه ما أرادوا، فلما كفروا نعمة اللّه، عز و جل، خسف بهم و تفرق شملهم و تشتتوا فى أقاصى الربع المسكون و أدانى البحر المعمور، شرقا و غربا و شمالا و جنوبا، كما قال أبو نواس، الحسن بن هانئ، المعروف بالمذحجى، فى ذلك:

فى فتية كالسيوف هزّهم‌شرخ شباب و زانهم أدب

لما أراب الزمان فاقتسموا أيدى سبا فى البلاد فانشعبوا
لم يخلف الدهر مثلهم أبداعلى هنات لشأنهم عجب
لما تيقنت أن روحهم ليس لها ما حييت منقلب
أبليت صبرا لم يبله أحدو أقسمتنى مأرب شعب

فرجعت الدور قبورا و المساكن مساكن فارتدمت بعضها على بعض، و تقلعت النخيل و الأشجار و طلع بدله العشب و الأراك و سكنت البدوان ببيوتها الشعر، و صارت الإبل ترعى بين عامر الخراب و تشرب ظباؤها من الندا و السراب، لبئس الشراب و ساءت مرتفقا، كما قال بعضهم فى المعنى:

يا صاحبىّ قفا المطىّ قليلايشفى العليل من الديار غليلا
هذى طلولهم أطلن صبابتىو تركن قلبى من عراى طلولا
و لئن خلت منهم مرابعهم فقدغادرن قلبى بالغرام أهيلا
لو أن عيسهم غداة رحيلهم حمّلن وجدى ما أطقن رحيلا

تاريخ المستبصر، ص: ۲۳۱

إن الظعائن يوم جزع مفحش أبقين لى جزعا بها و عويلا
من كل رئم لا عديل لحسنهارحلت فكانوا للفؤاد عليلا
كالبدر وجها و الغزال سوالفاو الرمل ردفا و القناة ذبولا

و لآخر يقول:

يا قلب هل منك إن سليت سلوان أم أنت فى غمرات الحب و لهان
و اللّه ما طاب لى عيش أسر بهحتى يعود أصحابى كما كانوا
هيهات بانوا فلا و اللّه ما طمعت نفسى بقربكم من بعد ما بانوا
يا لهف نفسى على عيش نعمت بهأيام لى فيه أوطار و أوطان
أقسمت ما سرّ قلبى بعد فرقتهم خلق و لا لاح للإنسان إنسان

و يسمى هذا الإقليم إقليم العواهل، و هو بالطول من نجران إلى بيحان و بالعرض من روضة نسر إلى حضرموت.

من مأرب إلى صنعاء راجعا

من مأرب إلى بئر موهل فرسخان، و إلى حرنين فرسخان، و إلى طبال العاشر فرسخان، و إلى الرحبة فرسخان، و إلى صنعاء فرسخان.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۳۲

من صنعاء إلى صعدة

اشارة

على الطريق القديم.

قال ابن المجاور: و كان هذا الطريق يسلك فى أيام الجاهلية، فلما ظهر الإسلام بطل.

من صنعاء إلى مرمل ثلاث فراسخ، سرير ملك أعمال الخشب، و هو مساكن ثمود، و الأصح مساكن التبابعة، و جميع ما بنى بالحجر و الجص المدن منها و القرى طول كل لوح حجر منه عشرة أذرع، زائد لا ناقص، و هو الآن كله خراب بناه.

و إلى ثريد ثلاثة فراسخ، من أعمال تومين، و هما واديان، و إلى رأس نقيل عجيب ثلاثة فراسخ درجة أسعد الكامل، و إلى نقيل الفقع فرسخ، و إلى المصيرع فرسخ، و فيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب صرع الكفار، و أنشد بعض العرب المصرعين يقول:

كلينا يا سباع و جرجرينافو اللّه يا سباع لتفقدينا

علينا البيض و الدرق اليمانىو أسياف تجرّ و تعذرينا

و إلى نجد فرش فرسخان و هو نقيل مدرج، و إلى العميشة ثلاث فراسخ، و إلى الدرب فرسخان و إلى صعدة فرسخان، و اللّه أعلم.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۳۳

ذكر خراب صعدة القديمة

فلما جرى على ذات النحيين ما جرى و رأى عمرو بن معديكرب الزبيدى ما تم على المرأة حمّل جمالا رملا و قدم بها وقت الصبح الصادق إلى صعدة و قال لبنى عمه: إذا دخلتم صعدة فاسفقوا الزوامل الرمل بين دروقى الباب، ففعلوا ما أمرهم به و امتلأ دروقى الباب رملا فعلم البدوى فأمر بغلق الباب، فلما غلق الباب لم يجئ معهم الأكياس الرمل بين دروقى الباب، فحينئذ دخل عمرو بن معديكرب الزبيدى إلى أرض الحجاز فتبعه رجل من البدو، فلما دهمه جذب السيف و ضرب الصخرة التى تقدم ذكرها فعرفت بضربة عمرو، فلما نظر الرجل الضربة رجع عنه، و تم على قوة إلى أن خرج إلى الحجاز و أسلم على يد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و يقال: على يد بعض الخلفاء، و خرج فى فتح العجم مع سعد بن أبى وقاص، و قتل بأعمال نهاوند من إقليم العراق، فلما تم على أهل صعدة ما تم تراجعت الخلق من كل فج عميق فعمّر كلّ منزله و مسكنه و سكن فيه، فلأجل ذلك هى خمسة دروب، و يقال: إن صعدة القديمة كانت فى الابتداء عند حصن تلمص مع خراب صعدة و أعاليها بناها الهادى يحيى بن الحسين.

بناء صعدة، بناء الشرف

اشارة

بنى فى دولة الإمام أبى موسى محمد الأمين باللّه، أمير المؤمنين، و يقال: بنى قديم بناء الجاهلية، و الأصح أنه بنى فى أيام بناء صعدة صنعاء، و لا شك أنها بناء

تاريخ المستبصر، ص: ۲۳۴

سام بن نوح، عليه السلام، و أما صعدة هذه فإنها لما خربت صعدة القديمة و تم على أهلها ما تم ثم جاء يحيى الهادى بن الحسين أراد بناء مسجد فى هذه الأرض فجاء إليه تاجر فقال: و كلنى على بنائه، فوكله و بنى التاجر المسجد، فلما فرغ بناؤه قال له الهادى: أحسبت حساب الخرج؟ قال التاجر: معاذ اللّه أن آخذ على بناء بيت اللّه أجرة و ثمنا.

و سكن الهادى يحيى بن الحسين المسجد بمقامه فسكنت معه الخلق فكثرت الأمم فبنوا مدينة و أسواقا و دورا و أملاكا، فلما رأوا

ذلك أداروا عليه أربعة دروب:

الدرب العتيق، و درب القاضى، و درب الفر، بنى فى أيام سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، و درب القاضى بن زيدان، و يحوى هذه الأربعة الدروب درب واحد و هو السور، و ركّب على السور باب الدرب العتيق و باب علىّ بن قاسم، و باب درب المعز، و باب درب القاضى ابن زيدان، و باب حوث، و باب درب الإمام، و أما درب الإمام فهو حصن بناه أبو محمد بن عبد اللّه بن حمزة ما بين الشمال و المشرق منفردا بذاته لم يخالطه شىء قريب من البلد لم يسكنه إلا الإمام و عترته.

و صورته على هذا المنوال فى الصفحة الثانية التى بعد هذه.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۳۶

و أما البلد فإنه عامر كثير الخلق و الخير ذات معاش، و شربهم من الأنهار و الأعين و زرعهم الحنطة و الشعير، ذات أشجار و أنهار، و لبسهم الحرير و القطن لأن البلاد ظاهرها حار بالمرة و باطنها حار لين، و هم قوم أخيار يدعون الحكمة و معرفة الجواهر و العلوم العلوية، و هم على مذهب الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب جميعا، و هم شوكة القوم فى المذهب.

فصل: [(فى أمر الزيدية)]

حدثنى على بن محسن الجبلى قال: إن بنى العباس لم تهب أحدا إلا الزيدية، قلت: و كيف ذاك؟ قال: لأن السنة و الجماعة من حزب الأئمة بنى العباس، و تقول الشيعة و الإمامية: لا الإمام إلا من ضم العصى و أورق العصى، و هم مع ذلك ينتظرون خروج الإمام المنتظر محمد بن الحسن، فهم الآن يفرقون من الفريقين، و أما شوكة البلاد فهم الزيدية، لأن عندهم كل إنسان عفيف متدين شريف من آل الحسن بن على بن أبى طالب يكون فيه خمس خصال فهو عندهم إمام واجب الطاعة، فكل من قام على هذه الصفة قامت الزيدية معه و قاتلوا بين يديه، و وقع أحمد بن عبد اللّه بن حمزة بخزانة ساج فى نواحى صعدة و ظهر لهم فى جملة ما ظهر أربعمائة زردية داودية غير السلاح و العدد و وقعوا بمطلب ذهب، و لكن ما صح لهم منه شىء، لأن عليه طلسم لم يمكنهم الدخول إليه سنة أربع و عشرين و ستمائة.

من صعدة إلى ذهبان

من صعدة إلى الحوانيت أربع فراسخ، بناء أسعد الكامل فى وادى سجع، بنى

تاريخ المستبصر، ص: ۲۳۷

هذه الحوانيت سكنة لما عزم أن يعمر نقل حرف العراق، و إلى خطم البكرات فرسخان، و يقال: إنما عرف هذا المنزل بهذا الاسم لأن عفريتا من الجن قال لرميم ابن جابر الشاعر: أنشدنى بيتا و أنشدك مثله حتى ينصر من يغلب صاحبه، على شرط أنك لا تذكر فى شعرك الديك، قال: نعم، فما زال هذا يقول بيتا و هذا ينشد صاحبه مثله حتى عجز رميم بن جابر فقال:

وديك أحمر سليمانى ما يلقىبحافته جنى و لا حيث يسمع

فلما سمع الجنى ذلك طار فى الهوى و نزل أخذ صيدح بكرة رميم بن جابر فصيّحها قطع قطع، فلما رأى رميم ذلك حزن على بكرته و صار يبكى و ينقش صورتها فى الأحجار، فما فى هذه الأمكنة حجر إلا و فيه صورة الناقة، فعرف الموضع بخيم الركاب، و فيه يقول:

فما فى الصبايا مثل ميّا صبيةو لا فى المطايا نضوة مثل صيدح

و قال أيضا:

و أصبح فى شق المشورة قاعداو صيدح ترعى بين عيس قناعس

و إلى القديم فرسخان، و هو موضع قوم كما قال:

أمسى قومى بلحى و غادرنى كريمو عادسنا يام ...[۶۴] أرى القديم

و هذا يام بن أصنع و سكنهم بوادى الخانق و الحقة، و إلى ملتقى الأودية فرسخ، و إلى غسل جلاجل فرسخان، و إلى المحلف فرسخان موضع قوم، و إلى البصرة

تاريخ المستبصر، ص: ۲۳۸

فرسخ، و إلى وادى نقوص فرسخان، و إلى الجبل الأسود فرسخ، و إلى السروات فرسخان، و إلى رفيدة فرسخان، و إلى طريب فرسخان، و إلى ذهبان فرسخان، و تسمى هذه الأعمال بيشة العباس بن مالك بن عمرو بن وائل يرجع إلى نزار.

من صعدة إلى نجران

اشارة

من صعدة إلى زهران ثلاثة فراسخ، و هو لابن ملك لآل عبد اللّه بن حمزة لأنه اشترى أراضيها من أربابها بيعا و شراء، و كان لقوم يقال لهم: الأقشور رأس الركب، و إلى الحد ثلاثة فراسخ، و إلى الركب ثلاث فراسخ، واد عظيم يجرى على صفا، و إلى الخانق ثلاث فراسخ، نخيل و ماء جارى أوله يجرى من الركب، و إلى كوكبان فرسخان، و منه يخرج إلى نجد، و وضع هذا الحصن ما بين نجد و جبال اليمن، فهو حصن مانع سرير ملك نجران، و إلى الحقة ربع فرسخ، مدينة الأصل نجران، و عليها المعول فى البيع و الشرى، و ينقسم أهلها على ثلاث ملل: ثلث يهود و ثلث نصارى و ثلث مسلمين، فالمسلمون الذين بها ينقسمون على ثلاثة مذاهب: ثلث شافعية و ثلث زيدية و ثلث مالكية، و هى المدينة التى كانت لأصحاب الأخدود و هى التى قال اللّه عز و جل فيهم: قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ* النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ* إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ[۶۵].

و إلى قابل ربع فرسخ، و إلى حبونا أربع فراسخ، و إلى قرقر أربع فراسخ، و اللّه أعلم.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۳۹

صفة مدينة قرقر

اشارة

حدثنى الراوى أن قرقر كانت مدينة عامرة بها ثلاثمائة و ستون محلة فيها ثلاثمائة فارس، خربت لاختلاف الأمم.

فصل: [(سوق العمدين و بنو عبدالمدان)]

وجد زيد البدوى عمرو القرقرى قاطنا ساكنا فى فلاة نجد مع البدوان فقال زيد لعمرو: ما لى أراك فى جنوب نجد بعد أن كنت فى أكناف قرقر بألف غزور غدوت الآن أراك رد الشرد، فأنشد عمرو القرقرى يقول:

أحب دخولا بين أدوار قرقرو يمنعنى دين علىّ ثقيل

و لو كان دينى ينقضى لقضيتهو لكن دين القرقرى قتيل

و كان يقوم تحت قرقر سوق تسمى العمدين و ما عرف هذا السوق بهذا الاسم إلا أن مشائخ العرب كانت تقيم بهذه السوق عامود ذهب و عامود فضة يعرف السوق بهما، و رجع الآن سوقا للعمل بين أرض قفر تزرع به و تحرث، فراح الجسم و بقى الاسم.
و لانها قوم يقال لهم: بنو عبد المدان، و هم قوم شداد بن عاد، اللين القياد، ذو الجياد، و فيه أنشد بعض العرب يقول:
و لو لا بنو عبد المدان و خيلهالحلك يا نجران بعض القبائل

و قال آخر:
ألست تعلم أن قلبىيحبك أيها البرق اليمانى

تاريخ المستبصر، ص: ۲۴۰

لئن أقتلكم قتلا دنيّافلا شيخ يدب على البنان
و إن أقتل فمقدور وليتو فى قومى على سرج الحصان
و إن أقتل فقد قتلت قريشو قد قتلت بنو عبد المدان

و القوم لا يطيعون لملك الغز و لا لسلاطين العرب، و آخر من تولى من بنى عبد المدان أخوان يقال لأحدهما: القاضى، و للثانى القاضى، و فى عهدهم دخلت عليه يد الأمير محمد بن عبد اللّه بن حمزة معهم حتى صار يصل إليهم نصف دخول البلاد، لأن الأمير محمد بن عبد اللّه و أخاه أحمد ولدى عبد اللّه بن حمزة تزوجا بأخوات القاضى و القاضى ابنى صعيب بن عدنان بن عبد المدان سنة ثلاث و عشرين و ستمائة.

صفة بئر الصفر

أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى اللّه عنه، أن تحفر بئر فى بعض أعمالها ذات عمق وسعة و طول و عرض و أن يطوى بالصفر المصبوغ منه شبه الآجر و يسبك فيما بينه الرصاص، فبنيت البئر، على ما تقدم ذكره، و هو باق على حاله.
و يقال ما بناه إلا رجل من وجوه العرب فى زمن الجاهلية فاندثر و استتر مع طول المدى، فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى اللّه عنه، فأعاد بناءه فبقى على ما تقدم ذكره، و البئر من جملة العجائب.
تاريخ المستبصر، ص: ۲۴۱

صفة نجران تهامة

اشارة

من حرض إلى قرار ثلاثة فراسخ، و إلى نجران فرسخان، و هى قرية مختصرة و يسكن أهلوها فى إغصاص بعكس بعض و هم فى التغصص يتجرعون الغصص و يقرأون القصص، و إلى الحاوة ثلاثة فراسخ، و إلى حدب أربع فراسخ.

فإن قال قائل: كيف يفرق بين الاسمين؟ قلنا: هذه قرية مختصرة تحت تهامة اليمن خربة، و الثانى إقليم طويل عريض عامر تحت من شمال نجد اليمن و سرير ملكها، فهذا غلام و ذاك سلطان، و هذا كرة و ذاك ميدان، و يسمى إقليم نجران وادى سوحان.

قال ابن المجاور: دل على أن هذا الإقليم بناه العجم لأن دار بهمن بن اسفنديار فى أعمال المدائن قصبة تسمى دار ريحان، و لا شك أنه هو الذى بنى هذا الوادى و يسمى على الاسم المقدم ذكره فى أعمال المدائن سوحان.

و فيه أنشد رميم بن جابر:

شبهتها قوس شريان مجزعةمما يلذّ بها الرامى فيحييها

شبهتها مهرة عذرا محجلةعند الملوك ليوم الروع ساريها

شبهتها جونة مال النسيم بهاالطل من فوقها و النهر يسقيها

و وادى العلائم كما قال بعضهم: و بنجران وادى الخسف و وادى العلائم.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۴۲

قال ابن المجاور: و ما اشتق اسم الخسف إلا من الخصب و أراد بذلك وادى الرفاء، و يهب بها ريح الطرف مدة اثنتى عشرة ليلة فيهلك الزرع و الكروم، و فيه بعض الأعراب يقول:

و قد سلمت نجران فى الطرف لم يزلببحران منها قبة و عروش

و بعضهم ينشد لرميم بن جابر:

و ليلة من ليالى الطرف مظلمةسودا جمادية قد بت أسربها

فصل: [(اشتقاق بحران)]

قال أبو بكر: ما بحران مأخوذة إلا- من قولهم بحرت الناقة إذا شققت أذنيها، و البحيرة مشقوقة الأذنين، قوله تعالى: ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ و هى الناقة التى و هبت عشرة بطون سيبت فلم تركب و لا يجز لها و بر وَ لا وَصِيلَةٍ و الوصيلة الشاة إذا وهبت ستة بطون عناقين و ولدت فى السابع عناقا وجديا، فيقال: وصلت أخاها يحلبون لبنها للرجال دون النساء وَ لا حامٍ[۶۶] و هو الفحل من الإبل إذا لقح ولده ولده فلا يركب و لا يجز له و بر و لا يمنع من مرعى، و اللّه أعلم.

القول فى زوال ملك آل حمزة

اشارة

و حصولها لبنى الهادى ...[۶۷].

تاريخ المستبصر، ص: ۲۴۳

فصل: [(فى أحوال الإبل)]

و يسمى الفحل عند الجرب العر و رهانه أنه إذا أوجعه موضع أو ثار عليه هواء او داء يحتاج الكى يؤخذ بعير غيره يكوى فوق الريح و

تكون العر واقفة تحت الريح بحيث يصل روائح حرق الكى إلى العر فحينئذ يبرأ من دائه و يصح، كما قال النابغة:

و حملتنى ذنب امرء و تركته‌كذى العر يكوى غيره و هو راتع

و لم لا يكون لحليب الإبل زبد؟ حدثتنى فاطمة بنت على بن مسعود قالت:

سألت امرأة مويلية من أهل اليمن عن هذه قالت: إن الأوائل كانوا يستخرجون الزبد من ألبان الإبل ثم قالوا: نتركه، قال: لأن امرأة خاصمت ولدها فتعاطى الولد فى الخذف فخذف الصبى حجرا إلى صوب أمه و كان فى يد الأم كبة زبد من حليب النوق فرجمت بها ولدها فوقعت كبة الزبد و هى جامدة كالحجر على مقتل الصبى فمات، فلما جرى هذا الأمر نادت مشائخ العرب فى قبائلها على ترك مخض لبن النوق بالمرة، فقالوا: نتركه إلى الآن.

و قال حكيم: إذا دهن زيد رأسه من دهن الإبل لم يقلعه شىء، و لم يتنظف الشعر إلا إذا حلق الشعر لأنه غليظ بالمرة.

ذكر طريق الرضراض

كان من نجران إلى البصرة طريق الرضراض و كانت المسافة فيما بين هاتين المدينتين سبعة أيام، و قد بنى على حد كل فرسخ منه ميل بالآجر و الجص، من بناء عمرو بن معديكرب الزبيدى، و الأصح من بناء النعمان بن المنذر لما خرج من

تاريخ المستبصر، ص: ۲۴۴

أرض اليمن طالبا العراق، و الأصح أنه بناء سيف بن ذى يزن لما خرج إلى ناحية العراق و استنجد بكسرى بن قباذ بن يزدجرد بن هرمز ملك من ملوك الفرس، و الأصح إنما بنته عرب جاهلية لما سكنوا أرض نجد لأنهم كانوا فى تلك الديار شبه السوس فى الأرض و الناموس الحفر.

و أما المناهل التى كانت فى المنازل قديمة الحفر، و بنى البناءون قصورا من باب صنعاء إلى العراق واحدا من حد الآخر، فإذا كان خوف فى اليمن أو فرح حسن أشعل على أعلى ذروة كل قصر و كان يبصرونه فى ذروة قصر فى نواس تفل عجيب فكان يبصرونه فى حصن قرن الجند و منه كان يدخل نجد.

و قد بنى فى نجد قصر قرب قصر و لعان، و فى الصعيد من أعمال صعدة، و كان يشعل فى ولعان و كان يبصره فى قصر فوق الخبت، و منه كان يدخل نجد.

و قد بنى قصر فى قرب آخر من أعمال العراق فكان إذا أصبح الصباح يصبح الخبر عند أهل البلاد ما نجز من خير و شر و نفع و ضر، كما قال:

يبلغ الصارخ العراق بيومو فى مدى ليلة تأتى المغير

ذكر انقطاع طريق الرضراض

حدثنى محمد بن سلامة بن محمد بن حجاج قال: ركبت امرأة لبعض البدوان، و يقال: بنت عمرو بن معديكرب، ركبت أتانا على نحيى سمن، أى ظرفين، فبينما هى غادية إلى الفلا صادفها عابر طريق و سالك سبيل فراودها عن

تاريخ المستبصر، ص: ۲۴۵

نفسها فأبت أن تطيعه، فقال لها: إن كان و لا بد فاسقنى سمنا، فقالت له: أهلا و سهلا، اشرب! و نزلت بالظرفين فحلّت رأس أحدهما فشرب الرجل منه شيئا و قال لها: ليس هذا سمنا طيبا، ففتحت له الثانى فشرب حاجته و قال لها: أمسكى، فأمسكت الظرفين، فحينئذ قام و كشف وراءها و جامعها و المرأة خائفة أن تخلى السمن يتبدد، و ما زالا على حالهما إلى أن فرغ منها، فشدت رأس النحيين، أى

الظرفين، و أركبها أتانها و مضى و مضت وراء شغلها، و تم الرحل على ذلك، فعلم أبوها، و يقال: أخوها، عمرو بن معديكرب، الخبر فجاء و سدد الآبار و هدم الأميال و نقض القصور ليقطع سلوك الطريق، فلما طم الآبار سفى الرمل فظهر ما بقى منه و انقطعت الطريق، و عرفت بذات النحيين، يعنى المرأة و الظرفين، و اللّه أعلم و أحكم.

ذكر الفيض

و هو رمل شبه دقيق السميذ دون أعمال التنعيم مما يلى ظهر اليمن، لم يقدر أحد يسلكه لرفعه، مسيرة هذا الرمل شهر كامل و يقال: أيام، و هو الذى يسمى رمل عالج، و هو الرمل الذى هو على شفا طريق الرضراض قطعه بعد أن منعه، و يقال:

إنما دخل سيف بن ذى يزن إلى العراق و ورد إلى اليمن بعساكر الفرس إلا على حده، و كانت المسافة فيما بين الإقليمين سبعة أيام، و يقال: عشرة أيام، على ما تقدم ذكره.

و يقال براوية أخرى: إن عمرو بن معديكرب كان وراء الفلاة مع الظعن لما سدد الآبار سفى السافى طم ما بقى من الباقى و جاء فى خلق عظيم ملك صعدة

تاريخ المستبصر، ص: ۲۴۶

بعد أن أخربها، و قد تقدم ذكر خرابها، فلما خربت المدينة بنت العامة موضع الخراب بعينه، و يقال: بل قريب منه، و الأصح أنه بنى فى أوسط الخراب و قالوا: نترك الأطراف! و يقال: إنما غزّى القوم إلا بدوى من ذات الأكيك و ذات الحرمل، و فيه يقول عنترة:

طال الثوى على رسوم المنزلبين الأكيك و بين ذات الحرمل

فلما ضاق على البدوى الأرض أسفى الأرض فى ديارهم خرج إلى الحجاز و قتل على يد أمير المؤمنين على بن أبى طالب، كرم اللّه وجهه.

و يقال: إنما ينتقل الإنسان من مكانه لأربع خصال: لرزق يستوفيه، أو لموت يقتضيه، أو لسعادة تأتيه، أو لشقاوة تستوليه.

حدثنى هشام بن مسعود النجرانى فى دار الإمارة قال: إنه كان هذا الطريق ينفذ إلى الكوفة، أو قال: إلى البصرة، و كان أهل اليمن يسافرون إليه بالحمير و عليهم الأديم إلى إحدى هاتين المدينتين فى العام مرتين، قلت: و على أى الأمكنة كان مسلكهم؟ قال: على اليمامة و الحساء و البصرة، قلت: و متى كان عهدكم بعمرانه؟

قال: سنة عشرين و خمسمائة و قال:

لما رأيت سلوّى غير متجهو أن غرب شفارى عاد مفلولا

دخلت بالرغم منى تحت طاعتكملقضى اللّه أمرا كان مفعولا

و قال آخر:

سألت الناس عن خلّ و فىّفقالوا: ما إلى هذا سبيل

تمسّك إن ظفرت بودّ حرّفإن الحرّ فى الدنيا قليل

تاريخ المستبصر، ص: ۲۴۷

صفة إقليم نجد

نجد أرض عالية ذات آكام لطاف، حرة الأرض صافية، الجو معتدل موافق لمن سكنها و دخلها، و بنى فيها الأوائل أربعين قصرا مجتمعة، و الأصح متقاربة، تسمى فى العراق قصور نجد، و تسمى عند أهل البلاد السكيت، و يقال: معاصم، بنى بالحجر و الجص ذات آكام و مكنة للربيع بن زهير و عمرو بن معديكرب و عنتر بن عمرو بن شداد.

قال الراوى: كنت أدور مع البدوان فى فلاة نجد فنجد بين شجر الأراك آبارا طويت بالحجر و الجص، و قد أدخل فى جملة البناء أخشاب الساج، و كنا نجد الكرم حاملا- بالعنب ألوانا مختلفة و نخلا حاملا بالخلال و شجر التين و الخوخ و الإجاص و من جميع الفواكة.

و لا- شك أن هذا الإقليم كان عامرا و فيه بساتين عمرت على تلك الآبار، و جميع ذلك موجود فى أرض نجد على ما ذكرنا، ما دنا منها و ما قرب، و اللّه عز و جل أحكم.

صفة ماء الهباءة

و الأصل فيه على ما ذكره الراوى أن الهباءة هو غدير طويل عريض عميق ليس فيه قرار لأحد من شدة جريان السيل ينزل من جبال عظيمة عالية شامخة، و فيه يقول القائل:

تاريخ المستبصر، ص: ۲۴۸

يا جبال الشأم يا شمخ الذرىأقواطى بلاك اللّه بالمحل

و يجرى منه إلى وادى إلى الأرض، فمن حدة جريانه مع طول المدى حفر الأرض إلى البيوت و كثرت عليه السيول و أملئ ماء فرجع بحيرة ما ينقص منه الماء، و لو غرف منه أهل البادية و سقى و استقى منه الأموال و النعم لما نقص منه الماء و لا بان منه مقدار إصبع، و فيه قتل قيس بن زهير بن جذيمة بن أبى سفيان أولاد عمه لأنه وصل إليهم فوجدهم يسبحون فركّب السيف عليهم و قال: إن ماء الهباءة أورثنى الذل و رحت ظالما أو مظلوما، و قال:

شفيت النفس من حمل بن بدرو سيفى من حذيفة قد شفانى

فإن أك قد شفيت بهم غليلىفلم أقطع بهم إلا بنانى

و بها قتل عنتر بن زبيبة أربعين فارسا من وجوه العرب.

و هذا الماء مجتمع القبائل و الفتن، و بهذه الأماكن مسكن عنتر بن زبيبة و قيس ابن زهير و عمرو بن معديكرب و غيرهم من كبار العرب و مشائخها و رؤسائها.

قال الراوى: و نجد فى فلاة نجد، حيث لا عمارة و لا سكن، قبورا بنيت بالآجر و الجص ألوف مؤلفة لم يعلم أهل زماننا لمن تلك القبور، و عن محمد بن أبى حامد قال: حدثنى أبو بكر الشاعر أنه قرأ على قبر:

الموت أخرجنى من دار مملكتىفالترب مضطجعى من بعد تريفى

للّه عبد رأى قبرى فأحزنهو هاب من دهره ريب التصاريف

هذا مصير ذوى الدنيا و إن جمعوافيها و غرّهم ريب التساويف

أستغفر اللّه من عمدى و من خطئىو أسأل اللّه عفوا يوم توقيفى

تاريخ المستبصر، ص: ۲۴۹

و من جملة القصور حجر عبد اللّه، قصر بنى على أكمة عالية بالحجر و الجص و بالآجر و الجص و بعده بالآجر و الجص، و بعده قصر عنتر بنى بالحجر و الجص و الآجر و الجص بناء وثيقا محكما، و بعده بئر العاصمية.

صفة بئر العاصمية

بنيت على أربعة و عشرين عمودا، ستة أعمدة مقابل ستة، و هى مربعة و طوى ما بعده الحجر الرخام طول كل حجر منه عشرون ذراعا بالجص مدرّج ينزل إليه بدرج، و من يوم بنيت إلى هذه الغاية ما نزفت و لا وجد لها قرار، و هو بناء عجيب لب أعمال سلات، و بعده مدينة الهجرة خرب البلد و بقى فى أوسطه القصر عامرا ساكنا بأهله، و قد حفر فى أوسطه بئر يروى منه العرب إبلها و ظعنها.

و مشرق العاصمية قصر الصبية، و النخل مستدار حول القصور ليسكن بل و يدخر متاعهم من السمن و الأقط كل ما يصل إليهم سيله، و هو على هذا الوضع، و اللّه أعلم:

تاريخ المستبصر، ص: ۲۵۰

ذكر أودية نجد

الحساء و اليمامة و تحت منه الأكيك و ذات الحرمل، و هذه الأماكن أودية مشرفة، و العواهل و العويهل سمن و سهل و جاش و عشرون الرمل ما بين نجران و الهجيرة و وضع ما بين الهجيرة و مكة، فإذا كان فصل الغيث سالت الأودية و السيل، فإن كان أيام الجحر حفر الإنسان بيده نبع عليه الماء شرب و أروى ظعنه و كلّ يطلب أرضه و فلاته بروايا المحلة، و فيه يقول:

تاريخ المستبصر، ص: ۲۵۱

لو لا شفاها ذا طراز زمانهاو حمل الروايا كان من جاء يفرس

و قال آخر:

لو لا المشقة ساد الناس كلهمالجود يفقر و الإقدام قتّال

و هذه العشرة الأودية إذا مطرت جرت فى فلاة نجد و يصل أواخرهم إلى البحر المالح.

ذكر الكرم

اشارة

قال حكيم: الكرم هو عشرون دينار، قيراط منه للعرب و أربعة قراريط منه فى سائر الأمم و العالم، و البخل هو دينار و عشرون قيراطا منه فى الروم، و يقال: فى الهنود، و الأصح فى المغاربة، و أربعة قراريط منه فى سائر العالم، و يقال: أول من أطعم الكسرة إبراهيم الخليل، عليه السلام، فهى سنته، و يقال: ثلاثة هم أصحاب الأعراف: أبو طالب لتربيته النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أنوشروان لعدله، و حاتم لكرمه ... و يقال: إن بعض العرب شرع فى طعم الكسرة و أراد أن يعادل حاتما فى زمانه فجاء إليه ضعيف يطلب منه فأعطاه ما سأل فرجع السائل إليه ثانية و ثالثة و رابعة و خامسة، فقال المدعى: يا أخى، كف فما أنت إلا قليل الوفاء كثير الجفاء، هذه لك

خامس مرة أو سادس مرة، فقال السائل: إن كان حاتم بنى قصرا و فتح به أربعمائة طاقة، و اللّه إنى كنت أدخل فى كل يوم من كل طاقة أربعمائة مرة بلا عاقة و كنت أكون فى الأول شبه الساقة، كما قال:

تاريخ المستبصر، ص: ۲۵۲

أجاد جميل مرة بعد مرةو ما الجود إلا عادة لجميل

فلما سمع المدعى كلام السائل قال بترك ما كان قد أسس من بنائه المجصص، و كان حاتم طيئ إذا قدّم الزاد قدام الضيوف و فضل منه شيء لم يرده إلى منزله، بل يخليه على حاله، كما قال:

رحلنا و خلقنا على الأرض زادناو للطير من زاد الكرام نصيب

[۶۸]

تاريخ المستبصر ؛ ص۲۵۲

أما عرب الفلاة فلا يتغدى أحدهم إلا قرب الظهر و لا يتعشى إلا قرب نصف الليل و ما يؤخرون الغداء و العشاء إلا لأجل الضيف الذى يقدم عليهم، فإذا وصلت قافلة إلى حلة عرب يخرج أهل الحلة إلى القافلة يمسك كل واحد منهم ثلاثة أربعة أنفس من أهل القافلة، و كذلك من يكون فى البيت من النساء و العجائز و الأطفال، و كل من يكون قليل النهضة ينادى بأعلى صوته: إلىّ يا وجوه العرب باركك اللّه فيكم، و يشير بيده إلى الإنسان، فإذا حضر عندهم رجل عزيز القدر ينحر عليه رأس إبل، و إن كان عابر سبيل يذبح عليه شاة، و إن كانوا جماعة و الضيافة لرجل واحد من بين القوم يقدم صاحب الدار قدامه الزور و الألية، يعلم من حضر أن الدعوة لذلك الرجل الواحد و الباقون طفيلية، و المستورون يأخذ صاحب الدار رغيف يكسره ثلاث أربع كسر يرميه قدام إنسان، تكون الدعوة لذلك الشخص، و يسلق اللحم بالماء و الملح و يثرد الخبز و يقلب عليه السمن الكثير فيشرب اللحم بالمرقة و يفرّق جميع اللحم على الثريد، و هذا طبيخ العرب خاصة يسمونها الهريسة.

فصل: [(الشعراء و الأعرابى)]

نزل جماعة شعراء على رجل من الأعراب فى برية قفر فقام الأعرابى يجزر على القوم بعيرا كان عنده فأضافهم تلك الليلة، فلما انبسط القوم فى الحديث

تاريخ المستبصر، ص: ۲۵۳

قال الشعراء للأعرابى: من أى البلاد أنت؟ و كم أنت فى رجل؟ و كم معك من المال؟ فقال لهم الأعرابى: أنا رجل غريب نازل هذه الأرض، و ما لى من العشيرة إلا امرأة عجوز، و ما لى من المال سوى الجمل الذى نحرته عليكم، كما قال:

الجود طبعى و لكن ليس لى مالو كيف يصنع من بالقوت يحتال

فهناك خطى إلى أيام ميسرتىدينا علىّ ولى فى الغيب آمال

حكاية [عن أبى عمرو الدمشقى قال ...]

عن أبى عمرو الدمشقى قال: خرجنا مع أبى عبد اللّه بن الجلال إلى مكة لم نجد ما نأكل فرفعنا إلى حى فى البرية و إذا فى الحى أعرابية عندها شاة فقلنا لها:

بكم هذه الشاة؟ قالت: بخمسين درهمًا، قلنا لها: أحسنى قالت: خمسة دراهم، قلنا لها: تنهرين تنهرين، قالت: لا و اللّه، و لكن سألتمونى الإحسان، و لو أمكننى لما أخذت شيئا، قال أبو عبد اللّه بن الجلال: أيش معكم؟ قالوا: ستمائة درهم، قال: أعطوها و اتركوا الشاة لها! فما سافرنا سفرة أطيب منها، و اللّه أعلم.

ذكر ذمام العرب

اشارة

إذا أمسك عربى لصًا أو ربيطا أو من يكون له عليه دم فإن أكل الربيط فى بيت صاحبه تمرا أو لحمّا قتله بعد يومين و ليلتين، و قيل: بعد ثلاثة أيام، و يقال: بعد سبعة أيام، و إن أكل خبزا قتله بعد يومين و ليلتين، و يقال: بعد سبعة أيام، و إن شرب

تاريخ المستبصر، ص: ۲۵۴

ماء فى بيته فبعد يوم واحد، و يقال: بعد ساعة واحدة، و إن شرب حليبا حرم عليه دمه بعد ثلاثة أيام بلياليها، و يقال: إن السلام يكون فى ذمامه إلى أن يغيب كلّ عن صاحبه، فإن سلّم عليه صاحبه بطل حقه و أمن من جميع ما يكره، قيل: و لم ذا؟

قال: لأن اللحم يبقى بمعدة الإنسان يومين و ليلتين، و يبقى الخبز يومين، و ليلة، و يبقى الماء يوما واحدا، و السلام ما يغيب عن النظر، فما تقتضى المروّة أن تقتل إنسانا و خبزك فى أمعائه.

فصل: [(دعبل و المطلب)]

هجا دعبل بن على الخزاعى المطلب بن عبيد اللّه الخزاعى، فلقيه المطلب فى طريق فقال له: سر معى إلى منزلى، فذهب به، فلما دخل قال: و اللّه لأقتلنك شر قتلة، فقال له دعبل: لا تقتلنى و أنا جائع، أشبعنى و افعل ما شئت سَتَجِدُنِى إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ[۶۹] قال له: ما أحسن ما طلبت النجاة! إن أطعمتك وجبت الحرمة و الأمان، و إن لم أطعمك بخلت أى بخل، فقال دعبل:

و اللّه لا ذكرتك بعدها بسوء أبدا، فأطلقه و أحسن جائزته.

و إذا عض الذى عليه الدم ذيل امرأة أو طفل يحرم ذنب المذنب على صاحبه، فإن هرب الذى عليه الدم إلى بيت إنسان استجار به، فإن عفى عنه صاحب البيت الذى جرى بينهم ....[۷۰] و حكى أن قوما استجاروا بحجر بن مهلهل فأجارهم من الهواء و بنى لهم سورا من الحجر و الجص و نصب على السور سرادقات من الأدم و لم يخلّ الهواء يهب عليهم.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۵۵

فصل: [(السقا و الأعرابى)]

نزل سقّاء بئرا بطريق مكة ينزح منه الماء فى الدلاء لقلته فرحل الحاج على غفلة و بقى السقاء مكانه ثلاثة أيام بلياليها، فبعد انقضاء هذه الأيام قدم رجل من وجوه العرب فأدلى دلوه فنظر الأعرابى السقاء فى قرار البئر فاستقى و سقى حصانه و شرب و استخرج السقاء من البئر و أردفه وراءه و سار به غير بعيد إلى أن وصل خبت قفر ليس به مما خلق اللّه عز و جل من المخلوقات سوى فرد حى، أى بيت شعر له، و فى الحى امرأة واحدة، و هى زوجته، فقامت المرأة و غسلت يد السقاء و رجله بماء حار و أدفأته، و نام السقاء و استراح، فلما استيقظ وجد طبيخا حارّا فتعشى و شبع و نام صاحب البيت و زوجته إلى الصباح، فخرج صاحب البيت أسرج و ألجم و ركب حصانه و غدا للصيد، و بقى السقاء عند المرأة تهتم بحاله و تدور فى أموره إلى أن تعافى وصح مما به، فلما دار الدم فيه فتح

عينيه، و قدم صاحب الحى عند اصفرار الشمس و أحضر بين يديه الذى رزقه اللّه سبحانه من الصيد طبخا أو أكلا جميعا، و بقى السقاء على حاله مدة ثلاثة أيام على الرسم و العادة، و فى الرابع شبع و تعافى و استراح، فمد عينيه إلى المرأة فوجدها صورة عجيبة فطالت يده مع قصر رجله فى مثال ذلك المكان و راودها عن نفسها مرارا فنهته فلم ينته، فقام معها بالكلية و قامت معه بالمنية، فلما أبصرت العفيفة عين الحقيقة قامت إليه فمسكته و أدارت كتافه و شدته فى جوار كلب كان عندها.

ففيهن من تسوى ثمانين بكرةو فيهن من تسوى عقال بعير

و فيهن من لا بيّض اللّه وجههاإذا قعدت بين النساء بزير

فلما رجع زوجها نظر الحال غير الحال فقام إليه وحله و قدم إليه ما حضر، و بقى يراودها عن نفسها ثلاثة أيام متواليات و تفعل به الدست.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۵۶

قال ابن المجاور: و لا شك أن هذه المرأة كان طالعها بالسنبلة، كما ذكره أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى فى كتاب التفهيم فى علم التنجيم: أما الحمل و الثور و الأسد و السنبلة و الجدى و الحوت فذوات شبق و حرص على النكاح، و فى الميزان و القوس شىء من ذلك، و أما فى أمور النساء فالثور و الأسد و العقرب و الدلو فدال على عفتهن و حصانتهن، و الحمل و السرطان و الميزان دال على فسادهن، و الجوزاء و السنبلة و الحوت على توسط ذلك فيهن و السنبلة أعف.

فلما عر [كذا] الحد عن الحد قال البدوى للسقاء: إلى أين تريد أوصلك؟

قال: إلى الكوفة، فشد على حصانه و نفسه و ركب و أردف السقاء وراءه و سار به يومين و ليلة إلى أن أشرف به على نجد الكوفة، فلما نزّل البدوى السقاء عن حصانه ودّع كلّ صاحبه، فحينئذ قال البدوى: باللّه عليك إلا ما كتمت بحالك معى، أعد اللّه جزاك خيرا، كما قال:

لا تضيع فعل الجميل تضيعهإن اصطنعت لذى خطا و ذنوب

و الشوك لو تسقيه ماء الورد ما....[۷۱] و يحمل الخرنوب

و قال آخر:

ليس الكريم الذى إن زل صاحبهبث الذى كان من أسراره علما

إن الكريم الذى تبقى مودتهو يحفظ السر إن صافى و إن جرما

و قال آخر:

لا تجلسن مع السفيه فإنهبفساده لصلاح أمرك يذهب

تاريخ المستبصر، ص: ۲۵۷

و لقد ظفرت ببيت شعر قالهبعض من الأعراب و هو مهذب

ما ينفع الجرباء قرب صحيحةمنها و لكن الصحيحة تجرب

و لماذا يقال: جراد نجدى لا يأكل الحشائش و يشم أطيب الأهوية و يشرب أطيب المياه و يتربى فى أطيب الأمكنة و يرجع دواء لكل داء؟ و يقال: إنه يظهر فى نجد من أعمال تسمى الدهناء، و الموضع هو مشرق البحر، و قال آخر: بل هو يخرج من البحر بإذن اللّه عز و جل.

قال ابن المجاور: و هو قريب من المن و السلوى ينزل على شجر الزيتون بجبال الروم و غيرها، و السلوى هو طير يجىء إلى دمياط على وجه الأرض، و قد تقدم ذكره، و لم يعلم من أين يأتى، و كذلك الجراد يأتى من علم اللّه عز و جل، فإذا غرس الجراد فى الأرض و أفقس يسمى العرجل، فإذا بت و دب على وجه الأرض يسمى الدباء، فإذا طار يسمى الجراد.

و قال رجل من المفسرين: إنه كتب على جناحه اسم اللّه الأعظم فلذلك يقدر على الطيران و يتسلط على أكل الزرع و غيره لأنه جند اللّه عز و جل سلطه على بلاده و عباده.

فصل: [(نزول الجراد)]

نزل الجراد فى قرب قبيلة زيد و نزل الجراد قريب قبيلة عمرو، فقام أهل قبيلة زيد و قالوا لأهل قبيلة عمرو: ها نحن نصيد جرادا احتمى بكم، فلما سمعت قبيلة عمرو ذلك قالت: لا سمع و لا طاعة، و لا نمكنكم من صيد جوارنا، فقام القتال بين الفريقين، و ما زالوا على قتال إلى أن قتل جميع هاتين القبيلتين، و أنشد بعض أهل قبيلة عمرو يقول:

تاريخ المستبصر، ص: ۲۵۸

و منا من أجار جراد نجدو حرّمه على المتصيّدينا

فصل: [(أكل الجراد)]

مرض زيد مرضا شديدا إلى أن تعيّت الأطباء من علاجه لقلة ملاقاة أدويته، فلما أشرف على الهلاك قال الطبيب لقرابته: أطعموه ما اشتهى و أراد فإنه من الهالكين! و صار المريض يأكل ما اشتهى، فاشتهى فى بعض الأيام الجراد فأكل و أمعن فى الأكل منه، فلما أكثر منه تعافى من مرضه، و شاهده الطبيب فقال: باللّه عليك أخبرنى بما تناولت من المعاجين أو ما شربت من الأشربة و ما غذاؤك من المآكل؟ فقال: الجراد، فقال الطبيب: صدقت، لأن الجراد يكون قد قعد على حشائش يأكل منها، و لم تصل منفعتها إلى فهم مخلوق إلى الآن، و وافق خاصية تلك الحشائش لدائك فبرئت، و كان الجراد واسطة لعافيتك، و اللّه إنى نظرت فى جميع كتب الطب على أن أعرف لدائك دواء فما صح لى من ذلك فقلت بترك الحمية لك، و اللّه أعلم.

ذكر زواج أهل نجد

حدثنى سليمان بن منصور قال: إن جميع أعمال الجبال و جميع أهل البوادى و البدو و تهامة و نجد يزوجون بناتهم و لم يورثوا البنت شيئا، بل إذا كانت البنت بكرا تجهز و تزوج من مال أبيها، و إن كانت البنت ذات عيال فقد استراحت عواذلى من عتابى، و كل امرأة يقل أهلها و عشيرتها يقل خطابها، فإذا عجزت عن مقاساة نعمها و أموالها و مواليها تركب هودجا عاليا و تساق نعمها إلى سوق فى وعدة و يقوم لها مناد ينادى عليها: ألا من يطلب عروسا و دودا؟ فإن كانت راجعا ينادى عليها: ألا و من

تاريخ المستبصر، ص: ۲۵۹

يطلب نحيحا و دوبا، و النحيح هى المرأة الثيب و الدوب مالها و نعمها من ...[۷۲] و أمانات، فكل من رغب فيها و فى مالها تزوج بها،

فإذا أبوها أو أخوها أو ابن عمها أو بعض قرابتها يقول للرجل: تزوج بها يا وجه العرب، و إذا قل رغبتك فيها فأنت وكيلها فى زواجها، زوّجها من شئت!!

و أنشد بعضهم:

عليك بصعبات القياد و لا تقع برجلك فى مدءوسة قد أذلت

إن أكرمتها قالت: قد اكرمت قبل ذاو إن هنتها قالت: بل النعل زلت

و قال آخر:

يا مبشرى يايا[۷۳] و يا زوج راجع أبشرتك الخسران من يوم راجع

و إذا دخلت المرأة على بعلها تجىء كل امرأتين من جيرانها يهنئانها بإتمام سرورها و تأتى معها بجراب ملآن دقيق سميد أو سويق أو زبيب، و حينئذ يحصل للمرأة نحو مائة ظرف ملآن تنفقها مدة أيام و أشهر، و إذا كان لإحدى النسوة اللائى حضرن العرس عرس ردت لهم المرأة الجرابب ملآن مثل ما كان، و هذه عوائدهم.

و تغزل نساء هذه الديار القطن كما يغزل الوبر بالقانون غليظ مرة، و ينسج منه

تاريخ المستبصر، ص: ۲۶۰

شبه السياسات شبة الأكسية الصوف يسمونها ثياب الهجيرة لبس العبيد و الإماء و الضعيف، و يقال: إنما يوجد فى هذه البلد ستون حائكا و دحاح، و ليس يعرف القوم أيمانا إلا أن زيد يخط خطا دائرا على وجه الأرض، و يقول لعمرو المنكر عليه: ادخله! فإذا دخله يقول له: ارفع رأسك إلى اللّه، فإذا رفع رأسه نحو السماء قال زيد: كفيت باللّه ربّا، اقصد يا إنسان طريقك باركك اللّه فيك، و هذه أيمان القوم.

و تنقسم أموال هذه البلاد على فرقتين: الضأن و بعض الإبل و الخيل، فأما الإبل و الضأن فيستقنونهم قوم يقال لهم الشاورية، و بعض الإبل و الخيل يستقنونهم الدواشر، و لم يعرفوا غير هذا المال شيئا آخر، يعنى مثل المعز و البقر و الثيرة و الحمير و البغال، و الآن ينزل البدوان حول القصور بالبيوت الشعر و الخيل و الإبل و الغنم و هم أهل جود و عطا و كرم، مأكولهم لحم الإبل و مشروبهم الحليب و ركوبهم الخيل و بيعهم و شراؤهم الخيل و الإبل و لبسهم الخام، و هم أهل قوة و فصاحة، و يدورون الفلاة وراء الأموال و النعم، لا يؤدون قطعة و لا يعرفون خراجا.

قال ابن المجاور: و كل بدوى لا يأوى تحت سقف و لا يؤدى قطعة فهو من أولاد إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه السلام، ليس فيه خلاف و لا شك، و اللّه أعلم.

و أما نجد و حدودها فما كان من حد اليمامة إلى قرب المدينة راجعا على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين إلى البحر فهو حد نجد.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۶۱

و من صعدة إلى صنعاء راجعا على طريق الجديد

اشارة

قال ابن المجاور: حدثنى الحسن بن على بن محمد التولى الصعدى قال: لما فتح اللّه عز و جل بالإسلام سلكوا هذه الطريق، من صعدة

إلى الخيام ثلاث فراسخ و تسمى الدروب، و إلى العين فرسخ، و إلى العمشية أربع فراسخ، و فى هذه الحدود مدينة تسمى خيوان و يقال وادى خيران، و هى مدينة وضعت فى لحف جبل، و من علمها أنه كان بها ستمائة شارع، و كان يخرج من كل شارع ستمائة فارس، و كان قد بنى لهذه المدينة سد شبه المأزمين بمأرب، و قد تقدم ذكره، فلما خرب السد خربت المدينة، و الآن هى ملك أحمد و محمد ابنى عبد اللّه بن حمزة و اشتروا أراضيها بذهب كثير، و هى ذات زرع و ضرع.

و يقال: إن من طيبة أهلها كانت تسمى خيران فى أيام الجاهلية.

و إلى حوث خمس فراسخ، و إلى جحضم أربع فراسخ، و إلى صنعاء فرسخان.

ذكر الرؤيا

قال ابن المجاور: رأيت فى المنام كأنى فى مدينة عامرة، و كان عمارتها بالحجر المنقوش، طول كل حجر منها مقدار خمسة أذرع و لكل حجر لون، و هى ذات جامع و مساجد و خانقات و ربط و مدارس و أسواق و دكاكين و حوانيت، نزهة بين جبلين عاليين، كثيرة المياه و الأنهار و الأشجار و البساتين، و كان قد طبق إحدى

تاريخ المستبصر، ص: ۲۶۲

جبلى الوادى الآخر القائم على حرفه، و قد كحل السوق بالجص من لحفة إلى ذروته، فلو سار على وجه أى سد الجبل نملة لناظره من على بعد المسافة، و كأنى قلت لأحدهم: ما تسمى هذه البلد؟ قال: حجب، قلت: و ما المعنى فى هذا الاسم؟ قال: إنها احتجبت عن الناظرين، قلت: فمن أى الأعمال تحسب؟ قال:

من أعمال صنعاء اليمن، و ذلك ليلة الجمعة سادس رمضان سنة أربع و عشرين و ستمائة.

من تعز إلى زبيد راجعا

اشارة

من تعز إلى عدينة ربع فرسخ، قرية فى لحف الحصن، و فيها قال الشاعر:

قد كنت إن لألأ برق من عدينةناديت: ما بال أحباب لنا بعدوا؟

و إلى الدمينة ربع فرسخ و بها يعمل الخزف، و إلى وادى حذرا ربع فرسخ، و إلى بئر ماهوت ربع فرسخ، و يسمى الأجناش، و بنى بها نور الدين عمر بن على بن رسول مسجدا على ثلاث قباب سنة ثلاث و عشرين و ستمائة، و إلى بئر الصدع فرسخ، و إلى وادى النخل فرسخ، و إلى وادى الحناء فرسخ، و جميع غرسه و زرعه الحناء، و هو كثير القردة، و إلى السالبين فرسخ، و إلى عقدة مجعر فرسخ، و إلى الكدحة فرسخ، و إلى حديلة فرسخ، و تسمى سراديب النيل، و إلى الدريعاء نصف فرسخ، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۶۳

صفة طير الدلنقوق

طير أبلق يشبه الأفر غير أن الذى فى أرض العراق بمنقار طويل يأوى هذه الجبال، و صفته إذا غرد رقص.

حدثنى الجمال قال: ما يكثر تغريده و ترقيصه إلا فى فصل الغيوث و المطارات و الشتاء، و هذا أعجب شىء رآه المصنف.

و فى اليمن أيضا طير يسمى جولب أكبر من القسم و أجنحته حمر وله منقاران يقول أحدهم فى تغريده: سيدى أجب ستى! و يقول

الآخر فی تغریده: دقوا قفا السودان.

و یوجد فی هذه الجبال طیر یهدر شبه هدیر الجمل الهائج، و یأتی إلی زبید عند طلوع کل شمس طیور تشبه الطیطویّة و ذلک فی فصل الشتاء تسمی الحوّامات حمل فی جمل، تدور حول البلد أربع دورات و ترجع لم یعلم أحد من أین یأتون و لا این یمسون و لا أین یکورون، و هم من جملة العجائب.

و یطلع فی هذه الجبال ریحان بری یسمی فی أرض تهامة حبق، و یسمونه فی زبید النحالة الدرافساير، و کان هذا الموضع رأس حد أعمال الحبشة لما کانوا ولاة زبید.

و إلی الساسة فرسخ، و إلی المخیشیب فرسخ، آخر أعمال الجبال، و إلی الفوترین[۷۴] فرسخ، و إلی حصب الدین نصف فرسخ، و کانا قریتین عظیمتین

تاریخ المستبصر، ص: ۲۶۴

عامرتین، و من جملة عظمهما أنه کان یرکب منهما أربعمائة فارس، فسلط اللّه علیهم دابة یسمونها أهل الیمن: الحرباء، لدغتهم فمات الجمیع، و یسمیه أهل خراسان آفتاب پرست، و یسمی فی زاولستان سکند، کما قال ابن المجاور فیه:

چه کردی ایا روزکار نزندکه پیوسته کردی برنک شلند

کهی زرد روی و کهی سبز کشت کهی دست یار و کهی بای بند

و یسمیها أهل نهاوند رکثرله؟؟؟، و یسمیه أهل الحجاز أم حبین لأنه یکون لأحدهم لسان طوله أکثر من مائة ذراع، و یسمیه أهل أبین الفخاخ، و تسمیه العرب العرباء:

الحرباء، کما قال کعب بن زهیر:

و یوما یظل به الحرباء مصطخماکأن ضاجیه بالنار مسملول

و إلی السلامة نصف فرسخ، فإذا کان فی هذه البلاد خوف غزوهم أهل شمیر لأن القریة فی لحفه.

و إلی حیس نصف فرسخ، بناها الأمیر جیاش بن نجاح، و هو جد ملوک زبید الذین تولوا ملک زبید و التهائم، فلما تولی الملک بنی حیس و أنفذ إلی أهله و قرابته:

انتقلوا من أعمال الحبشة و اسکنوا حیس، و یقال: إنه لیس فیها بیت من العرب بل کان من بها من نسل السودان، و بها یضرب أهل الیمن المثل، یقول زید لعمرو:

و اللّه ما تضیر إلا تیس فیقول له عمرو: و لم؟ فیقول: کما أعطی حب و أخذ حیس.

و کان الموجب علی ما ذکره یحیی بن علی بن عبد الرحمن الزراد أن عصاه فی حب حصن حب، فحینئذ أعطی سیف الدین سنقر له حیس و أخذ منه حبا فبقی مثلا بین عوام زبید، و کذلک أعطی بعض ملوک الموصل قلعة و أخذ سنجار.

تاریخ المستبصر، ص: ۲۶۵

و إلی الدوامل فرسخ و إلی السرداب فرسخ، و إلی القرتب نصف فرسخ، و إلی زبید نصف فرسخ.

من زبید إلی حجة

اشارة

من زبيد إلى القحمة ثلاث فراسخ، و إلى الكدراء فرسخان، و إلى طرف العنمية ثلاث فراسخ، و إلى العمد ثلاثة فراسخ على لسان وادى لعسان، و إلى أسحر ثلاثة فراسخ، و إلى حراز المستحرز ثلاثة فراسخ.

بناء حصن مسار

اشارة

و لما كان فى سنة تسع و عشرين و أربعمائة بنى الصليحى فى رأس مسار و هو أعلى ذروة فى جبال حراز، و كان معه سبعون قد بايعهم بمكة فى الموسم سنة ست و عشرين و أربعمائة على الموت و القيام بالدعوة، و ما منهم إلا من هو مع قومه و عشائره فى منعة و عدد كثير، و لم يكن برأس الجبل بناء بل كان قلة قاسية منيعة، فلما ملكها لم ينتصف النهار الذى تملكها فى ليلته إلا و قد أحاط به عشرون ألف ضارب سيف فحاصروه و شتموه و قالوا له: إما نزلت و إما قاتلناك أنت و من معك بالجوع، فقال لهم: ما فعلت ذلك إلا خوفا عليكم أن يملك هذا الجبل علينا و عليكم، فإن تركتمونى أحرسه لكم و إلا نزلت إليكم، فانصرفوا عنه، و لم تمض له ستة أشهر حتى بناه و حصنه و أتقنه.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۶۶

و بقى الصليحى فى مسار و أمره يستعلى من سنة تسع و عشرين و أربعمائة، و كان يخاف نجاحا، صاحب تهامة، و يلاطفه و يستكين لأمره، و لم يزل الصليحى يعمل على نجاح حتى قتله بالسم مع جارية جميلة أهداها إليه، و كانت وفاة نجاح بالكدراء فى عام اثنين و خمسين و أربعمائة.

و فى عام ثلاث و خمسين كتب الصليحى إلى الإمام المستنصر باللّه يشاوره فى إظهار الدعوة فعاد الجواب إليه بالإذن، ففى ذلك طوى البلاد طيّا و فتح الحصون و التهائم، و لم تخرج سنة خمس و خمسين و لم يبق عليه من اليمن سهلا و لا عرا و لا برا و لا بحرا إلا فتحه، و ذلك أمر لم يعهد مثله فى الجاهلية و الإسلام.

قال: و يبان من زبيد حصن مسار يمين القبلة و يسار المشرق، على أعلى ذروة الجبل، شبه أكمة عالية مشرفة على التهائم.

و فى سنة خمس و عشرين و ستمائة ملكه الشريف عماد الدين يحيى بن حمزة، و هو الآن فى قبضته و تصرفه.

و إلى الجبلين ثلاث فراسخ، و إلى سوق القباب ثلاث فراسخ، فى أوسط وادى سارع.

حدثنى سليمان بن منصور قال: إن أهلها كتبوا على باب مسجدهم: من أمسى فى مسجدنا هذا فلا يراعى منا عشاء.

فصل: [(حديث ...)]

حدث يوسف بن يحيى عن أبيه عن غسان عن أبى عبيدة بن جهيم ابن خلف قال: أتينا اليمامة و نزلنا على مروان بن أبى حفصة فأطعمنا تمرا و أرسل

تاريخ المستبصر، ص: ۲۶۷

غلامه بفلس و سكرجة يشترى له زيتا، فلما جاءه بالزيت قال: خنتنى من فلس واحد، قال: كيف أخونك؟ قال: أخذت الفلس لنفسك و استوهبت زيتا، فأنت أبخل الناس، و قال فيه:

و ليس لمروان على العرش غيرة و لكن مروانا يغار على الفلس

و إلى طرف نظار ثلاثة فراسخ، و إلى ربض أربع فراسخ، و إلى لاعة أربع فراسخ، و إلى المخلافة فرسخان، و إلى حجة أربع فراسخ.

حدثنى يحيى بن على بن عبد الرحمن الزراد قال: إن فى الجبال جبال لا يزال البرق يضرب أطرافها إلى أن رجع ضرس قائم بنى على حصن مانع مثل الدملوة و حب و التعكر و بكور، و ما يضرب البرق على حصن عامر إلا هدمه و أخرب حصنه و دحضه إلى أن خلاه مع الأرض مستويا، فإذا جاز على جبل من هذه الجبال قوم من أعراب الأعمال يقول زيد لعمرو: هذا حصن نصر بن جعفر و هذا منزل خالد ابن الوليد، خرب من كذا و كذا سنة، و لم يكسر جبال اليمن و يدحضها إلا دوام البرق، و هذا أعجب شىء يكون.

من زبيد إلى غلافقة

اشارة

من زبيد إلى القرشية فرسخ، و منها ظهر أبو موسى الأشعرى، رضى اللّه عنه، و هو من جلة الصحابة، و أحد الحكمين الذين حكّمهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب و معاوية بن أبى سفيان، رضى اللّه عنهما.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۶۸

فصل: [(فى ظهور البنات)]

أهل الزريبة و العنبرة و الهرمة و القرشية، لم تظهر بهذه القرى بنت إلا إذا عقد نكاحها و قطع مهرها و سلم دفعها، و بعد ذلك تظهر البنت بطبل و زمر على رءوس الأشهاد بالمهامين و الضيافات و الطرح و التسليم، فسأل عن فعلهم، قالوا:

نخاف نظهر طفلة فإذا كبرت رأت نبتها و خدها و قدمها و نهدها مع أعكانها مليحا يعجبها حسنها فتحتاج إلى أن تخرج عن الطريق إلى غير الطريق، بل نخليها على حالها، فإذا رأت قلفتها طويلة و هى مع و سخها رهكة كريهة الرائحة وحشة المنظر تخمد نارها و يقل طلابها لأجل ما معها من طول الغفلة، فإذا مهرها طهرت فأدخلت على بعلها هين لين.

و يقال: إن جميع بلاد الشأمية عند زبيد على هذا السنن و الغرض بطول و بعرض.

و إلى خبت نفحان فرسخان، من حدود المحالب، و ليس فى تلك الأراضى أكثر توهجا منه، و إلى غلافقة فرسخان.

بناء غلافقة

اشارة

كان ما بين غلافقة و المكينة بلد تسمى الزبر، و ما اشتق اسم الزبر إلا من الزبور، أى زبور داود، عليه السلام، و يقال: من زبرة الحديد، طمها السافى فرجعت تلول رمل.

قال ابن المجاور: و وجدت فى المكان قبرا على ساحل البحر و قد جعل الرمل حجرا و قد غاص عظام الميت فى الحجر الأصم، و اللّه عز و جل أعلم.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۶۹

فصل: [(دور الزمان)]

إذا دار على التراب ألف عام رجع التراب رملا فإذا دار على الرمل ألف عام رجع الرمل حجرا و إذا دار على الحجر الف عام رجع الحجر ترابا، فعلى هذا الوجه لا شك أن للقبر ثلاثة آلاف عام، لأنه تقلّب ثلاث قلبات: قلب بالتراب و قلب بالرمل و قلب بالحجر،

فلما خربت الزبر بنت امرأة تسمى بنت إسرائيل و لا- شك أنها بنت يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم السلام، غلافقة فخربت لمرور الزمان عليها و دور الأفلاك عليها فبقيت رسوم و أطلال إلى أن جدد العمارة أخوان من الفرس، و الأصح من سيراف، يقال لهم: أولاد ابن القشيرى، و يقال: إن القوم من الذين خرجوا من جدة، لأنه كان قد جرى بينهم و بين الأمير القشيرى شكر بن أبى الفتوح سنة خمس و تسعين و أربعمائة، و قد تقدم ذكره بأعمال جدة على التمام و الكمال، فلما توطن القوم بها بنوا منارة حسنة، فلما طال الدهر تشعث و نقل أساطينه الساج إلى مسجد الأشاعر بزبيد بنى به، و يقال: إن هذا الجامع بناء القائد حسين بن سلامة، و بنوا الدور الملاح و المساجد الساح من حجر الكاشور، و هو حجر يستخرج من قعر البحر.

فصل: [(منع الحطب و إشعال الخيوش)]

حدثنى يوسف بن أحمد بن يعيش قال: لما صام أهل غلافقة شهر رمضان قال زيد الكبير، من أولاد القشيرى: شاهد اللّه على أحد من الرعية باع أو يبيع على أخى عمرو حطبا، و أنفذ إلى أشياع أخيه عمرو و إلى أتباعه و قال لهم: و اللّه ما يأتى أحد منكم بحطب إلى بيت عمرو إلا أفعل به كيت و كيت، و حرم أن يدخل بالحطب إلى بيت عمرو، فلما كان ليلة العيد أمر عمرو أهله أن يطبخوا و يشووا، قالوا: بماذا نطبخ و أخوك زيد قد حرم علينا دخول الحطب؟ فأخرج خيوشا

تاريخ المستبصر، ص: ۲۷۰

بللها بالسمن و أشعلها تحت القدور، فلما كان يوم العيد وصلت الناس صلاة العيد قام عمرو و سبق أخاه زيدا و قال: باسم اللّه يا أصحابى إلى دارى بارك اللّه فيكم، فدخلت الناس داره إلى أطعمة و أشربة و أشوية خلاف العادة، فقام زيد و قال لعمرو:

يا أخى من أين لك الحطب؟ قال عمرو: لما منعت الحطب من قلة خيرك أوقدت الخيوش المنقوعة بالسمن الكثير، فعند ذلك تعب أخوه زيد من علو همته و آكل جميع من فى غلافقة من داره و لم تقبل إلا على طعام عمرو، فتعجب زيد من فعله و علو همته و قال: يا أبا محمد، قدمك فى الموضع الماحل، أورق العود فى كفك و هو فاضل، و البخل إذا ما سمعك انتزح راحل، و أنت كالبحر، و كفك للعطا ساحل.

و أنشدنى زكرى بن سكيلا بن عبد اللّه البحترى يمدح جياش بن نجاح:

المشترى حلل الثناء بما حوت كفّاه و الحامى لها أن تشترى

و الموقد النارين: نارا للوغى لا تنطفى أبدا، و نارا للقرى

فصل: [(قول إبليس)]

سئل إبليس: من أحب الناس إليك؟ قال: عابد بخيل، قيل: فمن أبغض الناس إليك؟ قال: فاسق سخى، قيل: و كيف ذاك؟ قال: لأنى أرجو أن لا- يقبل اللّه عبادة البخيل، و أعلم أنه لا يتم له شىء من خير مع البخل، و لا آمن من أن يطلع اللّه على العبد الفاسق فيرى بعض سخائه فينجيه و يرحمه به.

فصل: [(جوار أبى دلف)]

و كان لأبى دلف القاسم بن عيسى العجلى جار و كان للّه عليه نعمة فسلبها فآل أمره إلى بيع داره فساوموه فيها، فقال: بألف و خمسمائة دينار! فقيل:

يا هذا إنما تساوى دارك ألف دينار، فقال: و جوارى من أبى دلف بخمسمائة دينار!

تاريخ المستبصر، ص: ۲۷۱

فبلغ أبا دلف ذلك فأحضره و أمر له بألف دينار فقال: تعذرنا فى ذلك و لا تتحول عن جوارنا، فهو الذى يقول فيه على بن جبلة الضرير فى هذا المعنى:

إنما الدنيا أبو دلف‌بين باديه و محتضره

فإذا ولى أبو دلف‌ولّت الدنيا على أثره

و سكنا المكان جميعا إلى أن انقرضوا، رحمهم اللّه تعالى، قال:

أف للدنيا الدنيه‌خبثت فعلا ونيه

و العيش كله همّ‌و عقباه منيه

ذكر بئر الرباحية

حدثنى ريحان مولى على بن مسعود بن على قال: أول من ابتدأ فى حفر البئر ربّاح، أى قرد، و حفر بيده الأرض إلى أن نبع ماء عذب حول عقل الساب[۷۵] يصح غمقها نحو أربعة أذرع لا- غير، فلما رأت الفرس صورته بالحجر و الجص، و هو عن البلد نحو شوط خفيف بين نخل باسقات شامخات فبقى مستقى أهل غلافقة، و من يصل من المراكب الصادرة و الواردة على مائها فلم يقل منه شىء، فعرفت البئر بالرباحية، يعنى القرد الذى ابتدأ فى حفره، و يقال: بل كان الرباح اسم الرجل و لم يكن قردا.

و هذه البلدة فرضة الكارم إذا وصلوا من ديار مصر، و يجلب منها الحشيش

تاريخ المستبصر، ص: ۲۷۲

الأخضر للخضر و الزنابيل و السمك العربى و غيره و ضيراك و رعيد و المراوح و الفار و القرش و البياض و العربى و المخنف و الفرا و السفية و الطويلة، و يكون لها فرج على هيئة فروج النساء، و لم تشتر من الصياد حتى يحلف أنه لم يطأها، و يباع لحمها بالميزان لأجل الدواء، و السفية ذات صدف، و الصبايا و المرح، و جميع هذه الأسماك ترفع إلى زبيد و يسمونه الملتح، و ضمان سوق السمك بزبيد كل يوم ثلاثة عشر دينارا ملكية، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

جزيرة فرسان

ما بين دهلك و حلى ابن يعقوب، و بها مدينتان عامرتان، إحداهما سور، و الثانية جدة، بناء الفرس و الأصح بناء مالك بن زهير، أهلها صلاح أتقياء، و يجرى بين الفريقين نهر كبير عريض صاف عذب خفيف صحيح، أوله عين، و يقال: ماء تراب، و قد نبت على شاطئ النهر شجر و خضر و حشائش ألوان مختلفة، و يزرع فيها من جميع الحبوب و الخضروات، و عندهم من سائر الدواب الأهلية مثل البقر و المعز و الضأن و الإبل و الدواب، و يوجد عندهم من سائر الأسماك و دواب البحر.

و قد خص اللّه سبحانه و تعالى أهل هذه الجزيرة: إذا طلعت الشمس مقدار قامة يدوّى الجو، و حينئذ يخرج كل من فى القرية إلى ظاهر القرية يصطفون على شاطئ البحر، و ينزل على القوم بعد ساعة طير شبه الخرّق، و يقال: شبه السمان، مائة ألف طير، فإذا حصل فى شاطئ البحر لم يقدر أحدهم على الطيران فيأكل كل كفايته و على قدر حاله تذبيحا و تطبيخا، و لم يوجد فيه سوى اللحم و الشحم شىء آخر،

تاريخ المستبصر، ص: ۲۷۳

و يكون عيش القوم طول الدهر منه، و لم يملّ أحد من أكله مع مداومته لأنه لحم خفيف طيب مرىء، قلت: و ما يسمى؟ قال:

السلوى، و هو الذى قال اللّه عز و جل:

وَ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى[۷۶] فقلت للراوى: كم يكون دور الجزيرة؟ قال:

مسيرة يوم كامل لرجل طرّاد، حدثنى بدر مولى بشر الصوفى بذلك.

ذكر جزيرة الغنم

و ذلك فى بر السودان، ما بين عيذاب إلى بحره جزيرة تسمى جزيرة الغنم، مائة الف رأس غنم بها و أكثر من ذلك و جميعها و حشية، و كان الموجب لذلك ما ذكره ريحان مولى على بن مسعود بن على المجاور قال: إنه قدم مركب من بعض مدن الودان شحنته غنم و كباش أرسوا بهذه الجزيرة فزخر الريح عليهم، فلما طال الشوط فى المقام عليهم أخرجوا الغنم فى الجزيرة لترعى، مع طول المقام فطاب للقوم الريح على غفلة فركبوا الكباش المراكب، و نسوا تسع ثمان رءوس منها فى الجزيرة فلم يمكن القوم أن يدوروا عليهم لضيق أخلاق الربان، فشال القوم شراعهم و ساروا بالسلامة، و بقيت الغنيمات فى الجزيرة فتناكحوا و تناسلوا مع طول الأيام فكثروا و استقطعوا الجزيرة فعرفت الجزيرة بهم و صاروا الآن إذا أرسى بهم مركب لم يقدروا أن يصطادوا من تلك الأغنام شىء إلا بعد جهد عظيم مع القوس و النشاب، و قد لا يحصل لهم شىء لأنهم قد صاروا و حشيين يسقون الغزال و هم ملء تلك الجزيرة إلى الآن، و اللّه أعلم بالصواب.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۷۴

ذكر جزيرة الناموس

و كذلك جزيرة الناموس، حدثنى ريحان، مولى على بن مسعود بن على، قال:

إنما بين جزيرة دهلك و عقيق جزيرة ملؤها ناموس، لم يسلكها و لم يسكنها أحد من خلق اللّه من كثرة الناموس الذى بها، و اللّه أعلم.

من زبيد إلى الأهواب

اشارة

من زبيد إلى المسلب فرسخ، و يقال: إنما سميت المسلب المسلب لأن نساءها يسلبون العقول من حسنهم و جمالهم و ظرافتهم[۷۷]، كما قال:

سقى اللّه ربات الحصيب و ربعهافما الحسن إلا ما حوته ربوعها

قال ابن المجاور: و اللّه الرحمن الرحيم ما رأيت فى جميع اليمن، سهلها و جبلها، وجها حسنا يعتمد عليه النظر، و لا فيهم ظرافة و لا لطافة و لا- ملاحة و لا- حلاوة إلا اسم بلا جسم، ما ترى إلا عجائز سوء خبيثات الأبدان قليلات الأدب ذوات آراب و سخين اللسان قذرين الأكل، كما قال الظهيرى:

بباده دست ميالاى كان همه خونيست‌كه قطره قطره جكيدست از دل انكور

بوقت صبح شود همچو روز معلومت‌كه با كه باخته‌اى عشق ذر شب ديجور

تاريخ المستبصر، ص: ۲۷۵

فلما أوقف صلاح الدين يوسف بن أيوب فى أعمال مصر ما أوقف، و قد تقدم ذكره فى أعمال جدة، أوقف توران شاه يوسف بن أيوب، و الأصح طغتكين بن أيوب المعز، وادى الجريب، و الحرب و المسلب، و بقى يرفع دخلها إلى مكة إلى أن خبل وقفها الملك المسعود بن محمد بن أبى بكر سنة خمس عشرة و ستمائة و بقى يرفع دخل هذه القرى إلى الديوان.

و أيضا كان أوقف طغتكين بن أيوب على المدينة أم الدجاج مع جمل من الأراضى كلها القاضى على بن الحسين بن وهيب، لما تغلب الأمير قاسم بن المهنا بن جمّاز، صاحب المدينة على مكة سنة اثنتين و عشرين و ستمائة، و بقى يرفع دخلها إلى الديوان، ورد الملك المسعود يوسف لأم الدجاج على الأمير شيحة سنة خمس و عشرين و ستمائة، و صار يصل دخلها إلى المدينة كما كانت.

و إلى الأهواب فرسخان بين نخل شامخات.

بناء الأهواب

بنى الأهواب أبو القاسم الرامشت بن شيرويه بن الحسين بن جعفر الفارسى سنة اثنتين و ثلاثين و خمسمائة، مدينة حسنة، لما تقدم من الهند يريد الحج، ذات أسواق و جامع و دكاكين و نقل الأخشاب الساج إليها من الهند، فلما انقضت دولة الحبشة و تولى على بن المهدى خرب جامع الأهواب و نقل أخشابه إلى المشهد الذى بناه فى زبيد سنة خمس و خمسين و خمسمائة، و هى فرضة المراكب الواصلة من عدن.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۷۶

و ما اشتق بطن الأهواب إلا من الأهوال، لأنه على آخر بطن السحارى، موضع هول لكونه كشفا.

و قال بعض الزيالع الذين أتوا الأمانات لجبريل بن زيد بن فارس: حط عنى عشور عشر سنين حتى أعمر لك مرسى الأهواب! فقال له: كيف تفعل فيه؟ قال: أشحن مراكب حجرا و ترابا أرميه معارض المرسى بالطول ليرد قوة الموج و الماء و الريح، فلما هان على جبريل ذلك، و قال: إن أربع مدن فى بر السودان مقابل أربع مدن فى بر العرب: عيذاب مقابل جدة، و الأصح أن عيذاب مقابل الجار، و هو مرسى ينبع و دهلك مقابل السرين، و زيلع مقابل العارة و عوان مقابل الأهواب.

من عدن إلى شبام

اشارة

من عدن إلى الرعارع أربع فراسخ، و على رأس البئر غرابان لا يزالان من مكانهما أبد الدهور، من أعمال لحج، و فيه يقول على بن زياد المازنى:

خلت الرعارع من بنى مسعودفعهودهم فيها كغير عهود

حلّت بها آل الزريع و إنماحلت أسودّ من مكان أسود

و إلى أبين أربع فراسخ، قرّى جماعة بناء أهل الحجاز، و يقال: بناء بنى عامر من أرض الحجاز، سكنوا الديار و بنوا القرى و حرثوا و زرعوا و تأهلوا فيها و بقيت فى أيدى القوم إلى آخر دولة الحبشة.

و من جملة الأعمال خنفر و الطرية و جبنون و المحل و السلامة و مسجد الرباط،

تاريخ المستبصر، ص: ۲۷۷

و بهذه النواحى قبر صالح النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و رجل ولى صالح، و جميع نساء أهل هذه الأعمال سحرة.

صفة العفو

إذا أرادت المرأة ان تتعلم السحر التام الذى لا قبله و لا بعده تأخذ ابن آدم تصليه إلى أن يذوب و يصير ودكا و يبرد فإذا برد شربته جميعه، تحبل منه و تضع بعد سبعة أشهر بشرا و حشيّا يشبه القط، سوى فى الطول و العرض يسمى العفو، و يقال: إنه يكون عليه آلة فى قدر آلة العفو الكبير، فلا تزال الساحرة تدور به و تربيه إلى أن يكبر و يشتد و يقوى، فإذا بلغ الإدراك جامع العفو أمه، فإذا جامعها فلو ركبت المرأة جرة نكست بها الجرة عنها، و لم يشاهد العفو إلا أمه، و هى زوجته، و لم ينظره أحد غيرها.

قال ابن المجاور: و ما سمى العفو إلا أنه يحمّلها أيرا، لا تطيقه.

و يقال: لم يتعلم سحرا لم تعلم له، و يقال: بل العفو مثل هذا الشىء، كما قال:

[العفو ان هب معربو حملا سمال على يدى

و أصبح البرد بالمساو صاح انى سلاح][۷۸]

و أصل نساء هذه الأعمال من هذا الفن: تمشى إحداهن إلى المعبر و ترجع فى ليلة واحدة.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۷۸

حدثنى محمد بن زنكل بن الحسن بن عميد كرمان الكرمانى الساكن فى مسجد الرباط: و هم الذين يصيرون الإنسان حمارا و ثورا كيفما أرادوا و اشتهوا.

و إلى دار زينة تسع فراسخ، جبل مشرف على البحر يسكنه الجحافل، فخذ من فخوذ العرب، و ما عرف الجبل بهذا الاسم إلا أنه إذ وصل إليه المراكب من سائر الأقاليم تزين بها لأنها أقرب المسافة إلى عدن.

سرير ملك هذه الأعمال مدينة تسمى دثينة.

و إلى بيحان سبع فراسخ، واد طويل عريض فيه قرى و نخل، و قد تقدم ذكرهم و نسبهم فى معاملة بلقيس فى الجزء الأول، و إلى وادى جريب أربع فراسخ، و إلى عازب ستة فراسخ، خربت على ماء واحد.

قال ابن المجاور: و قد خرب الفأر ثلاثة أعمال، من جملتهم قرية محاسن، بناء أبى بكر بن منصور بن العطار الحرانى فى أعمال صرصر فى دولة الإمام أبى محمد الحسن المستضىء بنور اللّه، أمير المؤمنين، و تسلط الفأر على دبالى، و هو أربعون قرية، و الأصح أربعمائة قرية من أعمال بغداد، حفر الفأر أراضيها، و زادت الدجلة و دخل الماء فى الأسراب، فلما زاد الماء أخذ القرى و الأراضى معه بمرة واحدة، و سد مأرب، قد تقدم ذكره.

و إلى عيبر اثنا عشر فرسخا، مسكن عيبر بن سام بن نوح، عليه السلام، و يقال:

إن السرج كانت تشتعل من سبأ إلى عيبر، قيل: و كانت عامرة آمنة ساكنة، فالآن صارت براريّ و خبوت و مهالك، و إلى شبام تسع فراسخ.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۷۹

بناء شبام

لما تزوج سليمان بن داود، عليهما السلام، بلقيس اشترت اختها نعم نوقا و إبلا و أسكنت المال و النعم فى مكان الأرض، فكانت الإبل إذا رمت الخلة تندت الأراضى من أبوالها، و كانت تأمر الرعاة أن يفرشوا على النداوة التراب ليرد الضرر عن النعم، و ما زالوا على

حالهم إلى أن صار تلا عاليّا شامخا فى الهوى فأدارت عليه سور و سكنته و ركبت على السور ثلاثة أبواب:

باب زبيد، كانت النعم تدخل منه و تخرج منه، و الآن عمرها علىّ بن المهدى حصنا مكينا سكنها، و يقال: لما بنى على بن المهدى هذا الحصن سماه زبيد، على مدينة الحصيب من اليمن، و باب الإبل الإبل تخرج منه إلى المرعى، و باب مسلة الأعوام الحلق، و يسمى باب ردفين.

فلما أتمت بناءه سمته ذا مناخ و عذبة و شبام، و يقال: إن اسم المرأة شبام فعرف البناء بها و اللّه أعلم.

ذكر شبام

و كم هى مدينة، إحداها مدينة شبام ضمرمر خراب، وضعت و بنيت فى أصل حصن ضمرمر، و لم يبق من جميع الربع سوى الجامع عامرا، و شبام كوكبان عامر فى الجبال، و شبام حضرموت و هى هذه.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۸۰

صفة الدور

فلما سكنت نعم المدينة بنت فى أوسطها قصرا يسمى الدوار ذات طول وسعة و ارتفاع، قالت الفلاسفة الأول: لا بد أن يتغلب البدو على الثلاثة فى آخر العهد بدوار، و لا ينام السيف، و يكون قد يحلو من الفريقين أخذ قصر الدوار عامرا على حاله.

و يقال: إنما بنت نعم لشبام إلا على الظلم لأنها اغتصبت الأراضى من الخلق، فلما تمت بناءها تغلبت عليها عثمن، و يقال: عثمان، أخذها منها، و ما زال ملوكها يتغلبون على إلى آخر من تغلب عمرو بن مهدى، أخذها بالسيف وجدد عمارة الحصن و أحكمها غاية الإحكام و جعلها سرير ملكه بعد أن بنى لها أسوارا و خنادق و أبوابا، فلما جاء أمر اللّه لم ينفع عمله شيئا، كما أنشد عبد النبى بن على بن مهدى يقول حين تولى أرض الحصيب:

أنخنا بخيل عند باب سهامهاو لم تأل أن جالت بباب الشبارق

أدرنا على درب الحصيب بخندقو لن يدفع أمر اللّه حفر الخنادق

و قيل: و ملكت العرب جميع حضرموت سنة إحدى و عشرين و ستمائة، و كانت ولايته أربع سنين، و خلّف فى جملة ما خلف مائة بهار فضة نقدا غير الآلة و العدد و الخيل و البضائع، و دوّخ ابنه ناصر الدين محمد بن مالك بعض حضرموت سنة أربع و عشرين و ستمائة، و هو إلى الآن مالكها، و اللّه أعلم.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۸۱

صفة شبام

اشارة

سرير ملك حضرموت، و هذا الإقليم هو مسكن حضرموت بن قحطان بن عيبر ابن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، عليه السلام، و بئر برهوت، و هو بئر تستجمع فيه أرواح أهل النار، نعوذ باللّه منها وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍ[۷۹] و مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً[۸۰] و لا تزال النار تخرج منه طول الدهر.

و كتب والدى محمد بن مسعود بن على بن أحمد بن المجاور البغدادى النيسابورى لجعفر بن عبد الملك بن عبد اللّه بن يونس

الخزرجي الجرجاني يهدده و يهيّبه فقال: أنا رجل برهوت و أنا سلم جهنم، و ليس في عالم الكون و الفساد أخشن ناسا من أهلها و لا أكثر من شرهم و أقل من خيرهم، كثيرين الذم لبعضهم بعضا، قليلين الذمة على من يستجير بهم، كثيرين الدم من المقتولين: زيد يشتم عمرا، و عمرو يكلأ زيدا، و نصر يستبيح مال عمرو، و جعفر يلاكم خالدا، و وليد يعربد على جاره، و ذا ينبش من هذا، و ذاك ينهش من هذا، أدبار مدابير، أنحاس مناحيس مفاليس، كما قال أبو نواس، رحمه اللّه:

قالوا ذكرت ديار الحي من أسدلا درّ درّك قل لي من بنو أسد

و من تميم و من قيس و أسرتهاليس الأعاريب عند اللّه من أحد

تاريخ المستبصر، ص: ۲۸۲

و قال أيضا:

دع الأطلال تسفيها الجنوبو تبلى جدّ عهدتها الخطوب

و خل لراكب الوجناء أرضاتجرّ بها النجيبة و النجيب

بلاد نبتها عشر و طلحو أكثر صيدها ضبع و ذيب

فلا تأخذ على الأعراب لهواو لا عيشا فعيشهم جديب

دع الألبان يشربها رجالرقيق العيش بينهم غريب

و أطيب منه صافية شمولايطوف بكأسها ساق أديب

و لهذا سمي إقليم حضرموت الوادي المفتون، و سماه اللّه عز و جل الأحقاف، كما قال اللّه عز و جل في قصة النبي هود عليه السلام: إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقافِ[۸۱] و الأحقاف هذه البلاد و الأراضي بعينها، مأكولهم العيد، و هو سمك صغار، مع الكسب و اللبن يشابه الخردل في اللون، و لبس رجالهم الأزرق مكشفين الرءوس حفاة، و لبس نسائهم الفتوحي، و يصبغ الثوب بالزاج، و يرجع اللون لا أخضر و لا أزرق، إلا لون عجيب، و تضفر النساء رءوسهن في أوسط رءوسهن ترجع تشبه الهدهد يسمونه الطرطر (و سحاب و هكاب فدارت الطاعيين الضفائر سارنين عساسل الفدور ذات المكدور)[۸۲].

و أسامي رجالهم بالكنى، فمنهم أبا[۸۳] لالكه و أبا هالكة و أبا مداس و أبا فارس و أبا رأس و أبا عرى و أبا حصى و أبا خرى و أبا عوف و أبا بول و أبا فقوق و أبا دقوق و أبا حل و أبا حبل و أبا فيل و أبا سل و أبا ريق و أبا بريق و أبا حيف و أبا دليف و أبا كنيف.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۸۳

و مهما جرى على ألسنتهم يكنونه به و لم يأنفوا من تلك الأسامي، و كذلك الدياكلة و أهل الموصل و بعض العرب و أهل نهاوند و بعض اليمن و أهل عسفان.

فصل: [(قدوم المراكب إلى عدن)]

قدم في أيام سيف الإسلام طغتكين بن أيوب مراكب الشحر و حضرموت إلى عدن، و صارت مشائخ الفرضة تسأل أحدهم عن اسمه فيقول:

أبا[۸۴] حجر أبا خرى أبا كوة أبا فسوة أبا شعرة، فأبى المشائخ أن يكتبوا أسماءهم في الدفاتر و تخلّص كل قماش هو في الفرضة إلا متاع الحضارم، بقي في الفرضة، يداس تحت أرجل الخلق، فلما طال الشوط و أوجع السوط نادى الصوت إلى سيف الإسلام فأحضر المشائخ و سألهم عن تأخير التخلص و التلمص و التجعمص من الحضارم، قال المشائخ: إنا لسنا نوقع أسماء القوم في دفاتر السلطان،

قال: و لم؟ قال:

لأن أسماءهم دونهٔ، قال سيف الإسلام: إذا كرهتم أن تكتبوا أسماءهم فكيف آخذ منهم العشور؟ فأطلق شأنهم و خلى سبيلهم.

فصل: [(فى الكنى)]

قيل لرجل من الحاكهٔ: قد رزقت ولدا فاختر له كنيهٔ، فقال: كنوه عبد رب السموات السبع و رب العرش العظيم، فقال له الرجل: ابن من؟ قال: ابن عبد الكريم، الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فقال:

مرحبا يا نصف القرآن العظيم.

و أعجب من ذلك أن رجلا من العجم مسكنه آذربيجان سمى ابنه: عبد من الأرض قبضته يوم القيامهٔ و السماوات مطويات بيمينه.

حدثنى منصور بن المقرب بن على الدمشقى قال: إن أصل أهلها عبيد

تاريخ المستبصر، ص: ۲۸۴

و موال، فلذلك فيهم حماقهٔ و كبر خارج، و ليس فى جميع الربع المسكون أشح منهم نفسا و لا أقل همهٔ، و قد تفرقوا فى سواحل البحر جميعا و تشتتوا فى أقاصى الأرض و أدناها يمينا و يسارا، كما قال:

كسى را در غريبى دل شكيباست كه در خانه نباشد كار او راست

صفهٔ قرن ابن إبراهيم

اشارهٔ

هو عين تجرى فى أعمال دوعان إذا جاز الوادى رجل من آل حمير جرى العين، و يقال: بل يمطر فى اليوم مطره، يروى منه الحميرى لا غير، دون غيره.

حدثنى على بن محمد بن أحمد السباعى قال: إنه جنّى موكّل على هذا الوادى، فإذا جاز عليه رجل من آل حمير أطلق الماء و الوادى حتى يروى منه الرجل الحميرى أو جماعهٔ، فإذا مد خولانى يده إلى الماء غار الماء فى الرمل، و كذلك لأهل خولان عين ثانيهٔ تسمى عمل، لم يشرب منها إلا الرجل الخولانى، و لم يشرب منه حميرى، على ما تقدم نعته و صفته، و هذا أعجب شىء يكون.

قالت حمير: لنا التقدم، قالت خولان: لكم التقدم فى أجر الحراثهٔ، و لنا التقدم فى لقاء الأعادى.

فصل: [(غزل نساء اليمن)]

حدثنى عبد اللّه بن محمد بن يحيى الحائك قال: ينقسم غزل نساء اليمن على وجهين: منه الفارسى و منه الحميرى، قلت: و كيف ذلك؟ قال:

تاريخ المستبصر، ص: ۲۸۵

الحميرى الذى يخرج الإصبع الوسطى على الإبهام فى الغزل، و الفارسى الذى يدخل الإبهام على الإصبع الوسطى من فوق الغزل.

من شبام إلى ظفار

اشارهٔ

من شبام إلى تريم سبع فراسخ، و فى أوسط ضرس جبل ثابت صاعد فى الجو شبه منارة، و قد بنى عليه حصن يسمى المشرق، فأنشأ يقول:

أقبل من أعشقه غدوةمن جانب المغرب على أشهب

فقلت: سبحانك يا ذا العلاأشرقت الشمس من المغرب

فصل: [(قصة الراكبين)]

قعد الأمير فهد بن عبد اللّه بن راشد على منظرة هذا الحصن مشرف فإذا هو يرى رجلين غاديين على غير طريق، فأنفذ قوما وراءهما فأحضروهما بين يديه فإذا هم قوم عرب، فقال لهما: من أين جئتما؟ قالا: من بصرة العراق. قال:

و كم لكما عنها؟ قالا: ثلاثة أو سبعة أيام، فقال: قولا لى كيف قصتكم، قالوا: إنا قوم بدو نسكن العراق و البصرة، إذ رأى شيخ خلفنا رجلين راكبين هجينين غاديين فى الفلاة، فقال لنا الشيخ: اقفوا لنا خبر هذين الراكبين، فقمت أنا و صاحبى هذا تبعنا أثرهم إلى أن غلس الليل، فلما أظلم ضاع منا الأثر، فتممنا على حالنا فى الصعود آكام و نزول أودية و رمل و حصى، فلما طال الشوط أردنا الرجوع إلى أهلنا فلم نعلم الطريق، فما زلنا نسير إلى أن أشرفنا على هذه المدينة، و ما هذا الإقليم؟

قال: هذه تريم، من أعمال حضرموت، ارحبوا بارك اللّه فيكم، فالبلد مستدار حول الحصن.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۸۶

و بنى بها ملك فى تريم جامعا، فلما تم بناءه قال للمهندس: تقدر على أن تبنى خيرا من هذا البناء؟ قال: نعم. ففى الحال ضرب عنقه، خوف أن يبنى فى موضع ثان خيرا من الأول.

و من محاسن سيرة القائد حسين بن سلامة إنشاء الجوامع الكبار و المنارات الطوال من حضرموت إلى مكة، حرسها اللّه تعالى، طول المسافة ... فمن ذلك ما رأيته عامرا و مستهلكا، و منها ما رواه الناس رواية جامعة.

فأولها جامع شبام و تريم مدينتان من حضرموت فاتصلت عمارة الجوامع منها الى عدن.

و إلى قبر النبى هود، عليه السلام، ثمان فراسخ، طوله سبعون ذراعا.

و فى هذه النواحى قبر ذى نيال، عليه السلام، ابن هود، طوله أربعون ذراعا.

حدثنى على بن محمد بن أحمد السباعى قال: إن قبر ذى نيال بن هود، عليهما السلام، فى قرية هارون بناء هود، عليه السلام، من أعمال دوعان.

قال ابن المجاور: و يمكن أنه كان لهود النبى، عليه السلام، ولدان ذكران، أحدهما رونيا و الثانى ذانيال.

و قبر ابن ذى القرنين طوله خمسة و ثلاثون ذراعا، و قبر العزير، عليه السلام، طوله ثمانية و عشرون ذراعا.

قال ابن المجاور: و ما أظن القوم كانوا بهذا الطول و لكن طوّلوا قبورهم.

و إلى مضى خمس فراسخ، و الى خلخليج عشرة فراسخ، و إلى ظهور عشر

تاريخ المستبصر، ص: ۲۸۷

فراسخ، و الى مهروب سبع فراسخ، و إلى كدنوب خمس فراسخ، ذات نخيل، و إلى مأرب عشرون فرسخا، و هى ذات نخيل و هى نصف الطريق.

حدثنى رجل من أهلها فى دار الإمارة بمكة سنة إحدى و عشرين و ستمائة قال:

إن هذه الأراضى و الجبال و الشعاب مواضع كانت مساكن قوم شداد بن عاد فى فصل الربيع يتنزهون بهذه الأمكنة، و قد بنوا على رءوس الجبال و فى بطون الأودية دكاك و مصاطب من الحجر و الجص، و كانوا يقيمون بها أيام الربيع يتفرجون.

و قال آخر: إنما بنيت هذه الدكاك و المصاطب فى هذه المواضع إلا لما سلط اللّه عليهم الذر و هو النمل، فكان القوم يجدون لذلك ألما شديدا، و حينئذ هجروا البلاد و خرجوا بأهاليهم و سكنوا الجبال و الشعاب و الأودية و بنوا الدكاك متفرقة فى بطون الأودية و رءوس الجبال، فلما كثر عليهم الذر أشعلوا النيران حول الدكاك لئلا يصعد إليهم الذر، كما قال اللّه تعالى: فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَ الْجَرادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفادِعَ وَ الدَّمَ ...[۸۵] تمام الآية، و إلى الآن الدكاك على حالها مع طول الزمان و مواضع النيران على حالها.

و هذه صورة الدكاك على هذا الموضع و الترتيب فى الصفحة الثانية.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۸۸

رسوم الدار باقية على خراب يجول بأكنافها كل لاهج

من سنن سب ذى إعسارو من ... حباه ذا مخارج

رحلوا الأحباب و خلّفونى بليل شبه شات عند ذابح

أمسى الزمان بدار قوم إذا رحل الأحباب عنها مصابح

و قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى المعنى:

نسائلها أى المواطن حلت و أى ديار أوطنتها و أنّت

و ماذا عليها لو أشارت فودعت إلينا بأطراف البنان و أومت

و ما كان إلا إن توليتها النوى فولى عزاء القلب لما تولت

و أما عيون العاشقين فأسخنت و أما عيون الشامتين فقرّت

تاريخ المستبصر، ص: ۲۸۹

و لما دعانى البين وليت إذ دعاو لما دعاها قد أطاعت و لبّت

فلم أر مثلى كان أرعى لذمة و لا مثلها لم ترع عهدى و ذمتى

و حد الدكاك من أعمال حضرموت إلى آخر معاملة عمان مع التهائم و نجدها، إلى جيروت أربع فراسخ، و إلى التهودى أربع فراسخ، و إلى الشعب سبع فراسخ، معدن شجر البان، و إلى حلوف خمس فراسخ، و إلى الغيل ثمان فراسخ مقابلة ثلاثة أعين تخرج من شعب جبل و يسمى جبل الأسفل و هى عقبه، و إلى ظفار أربع فراسخ، و كل هذه المواضع ثرار و شعاب ذات مياه ليس عليها عمارة إلا بعض الشىء، و اللّه أعلم و أحكم.

ذكر خراب ظفار

خرب أحمد بن عبد اللّه بن مزروع الحبوضى ظفار سنة ثمانى عشرة و ستمائة خوفا من الملك المسعود أبى المظفر يوسف بن محمد بن أبى بكر بن أيوب و بنى المنصورة و سماها القاهرة و سكنت سنة عشرين و ستمائة، و الاسم المعروفة به ظفار و هى على ساحل البحر، و قد أدير عليها سور من الحجر و الجص، و يقال: من اللبن و الجص، و رتب عليه أربعة أبواب: باب البحر ينفذ إلى البحر و يسمى باب الساحل، و بابان مما يلى البر و هما على الاسم لأبواب ظفار المهدومة أحدهما مشرق يسمى باب حرقة ينفذ إلى عين

فرض، و الثانى مما يلى المغرب و يسمى باب الحرجاء ينفذ إلى الحرجاء، و الحرجاء مدينة لطيفة وضعت على ساحل البحر بالقرب من البلد، و ما بنى المنصورة إلا لإحكام البلاد خوفا على العباد، فلما بنى

تاريخ المستبصر، ص: ۲۹۰

المنصورة و لم يؤبه إليه الملك المسعود و لا عاتبه فيما صنع، و كان أمر اللّه قدرا مقدروا.

و هذه صورتها على هذا الوضع:

تاريخ المستبصر، ص: ۲۹۱

ذكر مدن هدمت خوف الأعادى و لم يصلها العدو

خرب ناصر الدين أبو الفتح قباچة السلطان فى أعمال السند قلعة كلور وسب، رأس حد بلاده، خوفا من السلطان الأعظم علاء الدين أبى الفتح محمد بن تكش سنة اثنتى عشرة و ستمائة، و خرب، أيضا، الملك ناصر الدين أبو الفتح قباچة فى أعمال السند اهراوت و ساتر (و كفى و طلبيه و علنا اوروهام راوير سرور و نزواره و كريون و دهروت و شاهكا وراح بيوم و مكتوب)[۸۶] خوفا من السلطان جلال الدين منك برتى بن محمد بن تكش سنة اثنتين و عشرين و ستمائة.

و خرب صلاح الدين يوسف بن أيوب فى أعمال الساحل عسقلان و غزة و الدارون و الرسين و قلعة الأفضل و العباسية خوفا من الإفرنج سنة سبعين و خمسمائة.

و خرب السلطان علاء الدنيا و الدين أبو الفتح محمد بن تكش قلعة مرورّوذ و رسوم، و فى أعمال السند بدووب و حاما (و هانهوز و بكى و منك راور قصرا ايوب و كوب و ياحكة و موسى و يكورح)[۸۷] خوفا من أملاكها الأمهنة سنة أربع و ستين و خمس مائة، و أبقى المدن و هدم الحصون لأن فى هذه البلاد كل قرية بها حصن مانع بناء الهنود من سالف الدهر.

و هدم الملك المعظم عيسى بن أبى بكر بن أيوب فى أعمال الشام الكرك و الشوبك و القدس و أيلة و اللاذقية و هو مائتين و ستين و سقى من بون خوفا من الإفرنج سنة أربع و عشرين و ستمائة.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۹۲

و خرب الملك المعزى الذى تغلب على ملك السلطان سنجر من خراسان مرو و سرخس و نيسابور و من العراق الرى و همذان و من كرمان حريب و بم و كارى، و فى زاولستان حور، خوفا من السلطان علاء الدين حسين لبك الغورى سنة أربعين و خمسمائة.

و خرب الخان الحسين بن على الخلجى الديبول خوفا من ناصر الدين قباجة سنة تسع عشرة و ستمائة.

و خرب (الهمنن مسر بن دوده)[۸۸] قلعة الإسلام خوفا من الخلج سنة عشرين و ستمائة، و خرب (حبل خان المرحسى)[۸۹] جميع العجم خوفا من المسلمين سنة عشر و ستمائة، و خرب أحمد بن محمد بن عبد اللّه الحبوضى ظفار خوفا من الملك المسعود يوسف بن محمد سنة ثمانى عشرة و ستمائة.

صفة الطريق القديمة

كان من بغداد إلى ظفار و مرباط الطريق آمن يسلكه البدو فى العام مرتين يجلبون الخيل و يأخذون عوضهم العطر و البر و يرجعون إلى العراق، فلما تغلب أحمد ابن محمد على هؤلاء فتحوا فى الملك و وقع الخلف فى البلاد و انقطعت الطرق و اندثرت، فلما ملك أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن مزروع الحبوضى الملك و استقام فيها أمنت العباد و عمرت البلاد [انقطعت الطرق] خرج البدو على رءوسهم

تاريخ المستبصر، ص: ۲۹۳

فى الطريق القديمة و صاروا على الطريق المستقيم بالخيل إلى ظفار فباعوا و اشتروا، فلما أرادوا الرجوع قال لهم أحمد بن محمد: و كيف علمتم الطريق؟ قال أحدهم:

إنى سافرت مع أبى و أنا طفل على هذا الطريق مرة واحدة فسرت الآن فيها بقياس التعقل بمعرفة تامة و كتب اللّه السلامة حتى بلغنا المقصد، قال لهم: فمن أين تخرجون؟ قالوا: من مشهد الحسين بن على بن أبى طالب، رضوان اللّه عليهما، فإذا وصلنا إلى المنزل الفلانى افترق عنده الطريق طريقان يأخذ أحدهما إلى الحساء و القطيف و الثانى يجيء إلى مرباط و ظفار، فقال لهم: شاهد اللّه على بدوى سلك هذه الطريق ثانية لا يلومن إلا نفسه، قالوا: و لم؟ قال: نخاف أن يندرس الطريق لكثرة سلاكه فتجيء خيل أمير المؤمنين، غائرة فى تلك البلاد علينا و أنا مع ذلك خرّبت البلاد و بنيت المنصورة لأقطع الشر عنى، فدخلت البدوان من بلد ظفار و لم يرجعوا إليها و منها انقطع الطريق سنة ست عشرة و ستمائة.

صفة الرياح الثلاث

ريح عاصف قاصف ذات شدة و صلابة، فإذا هب الهوى سد الغبار جميع الطاقات فى الدور و أرواق الجدران، و يقال: إذا هبت هذه الأهوية فمن شدة هبوبها تدحرج الحجارة من أعلى ذروة الجبل إلى أن توصله البحر و بين الجبل و البحر يوم طراد، و الأصل فيه أن اللّه سبحانه و تعالى أهلك قوم عاد بهذه الريح و هى الريح العقيم، و الاسم فيه ثلاث مشتق من بلاء.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۹۴

و حدثنى ربان فى عدن قال: إنه من جملة الرياح الأزيب يعنى الجنوب و حدود هبوبه من رأس فرتك إلى مرباط، كما قال الشاعر الغزنوى:

تا بدان چايت فرود آرد كه باشد اندروناوك اندازانش قهر و خنجر آهنجان بلا

زهره مردان چو بر زنكار پاشى ناردان‌كرده كردان جو بر شنكرف مالى لوبيا

صفة المنصورة

هواؤها طيب وجوها موافق و ماؤها من خليج عذب فرات، يطلع بها الفواكه من كل فن: من فواكه الهند الفوفل و النارجيل، و من فواكه الساحلية قصب السكر و الموز، و من فواكه العراق الرمان و العنب و من النخل جمل، و من ديار مصر الليمون و الأترنج و النارنج، و من السند النبق، و من الحجاز الدوم و هو المقل، و جميع سكانها حضارم انتقلوا من بلادهم و سكنوا بها و مأكولهم السمك و الذرة و الكنب، و مطعوم دوابهم السمك اليابس و هو العيد، و لم يزبلوا أراضيهم إلا بالسمك، و يقال: إنهم يعقدون الهريسة إلا بلحم السمك لا غير، و نساؤهم سحرة يمشون من ظفار إلى الجاوة الميل فى ليلة واحدة لأنهم فى قرب جزيرة سقطرى، و المسافة فيما بينهم يومان و ليلة فى البحر، و أهل الجزيرة يؤدون القطعة لابن الحبوضى.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۹۵

ذكر جزيرة سقطرى

يقال: إن فى قديم الزمان كان جميع هذه الأمكنة بحر لا غير، و كانت سقطرى ما بين البحر و البر، فلما فتح اللّه الفم من مقابل الجبل غرق البحر إلى باب المندب ما بين عدن و زبيد و وقف الماء عنده، فلما فتح باب المندب وقف أواخر بحر القلزم، و جبل سقطرى صار الآن جزيرة فى لجج البحر يصح دور الجزيرة أربعون فرسخا.

حدثنى الحامى قال: يصح دورها ثمانين فرسخا و نيف، و ليس فى جميع هذه البحار أكبر منها جزيرة و لا أطيب منها و هى ذات نخل

و بساتين و زروع ذرة و حنطة، و بها إبل و بقر و ضأن ألوف مؤلفة، و فيها مياه سائحة على وجه الأرض، و هو عذب فرات، و هو خليج كبير ينبع أوله من الجبال، طويل عريض، و يغلب ما فضل منه البحر ذات أسماك، و يطلع منه شجر الصبر السقطرى و دم الأخوين، و يوجد فى سواحلها العنبر الكثير.

و سكانها قوم نصارى سحرة، و من جملة سحرهم أن سيف الإسلام جهز إلى الجزيرة، و الأصح سيف الدين سنقر، مولى إسماعيل بن طغتكين، خمس شوان ليأخذوا الجزيرة، فلما قرب القوم من الجزيرة انطمست الجزيرة عن أعين القوم و صاروا صاعدين منحدرين طالعين و نازلين ليلا و نهارا أياما و ليالى فلم يجدوا للجزيرة حسّا و لا وقعوا للجزيرة على خبر فردوا راجعين، و يقال: إن الروم الملاعين يكتب فى كتبها عن الجزيرة يعنى سقطرى: الجزيرة المحروسة بأرض العرب.

تاريخ المستبصر، ص: ۲۹۶

ذكر السبعة الطيور

قد ذكر مؤلف كتاب الرهمانج أنه إذا شاهد مسافر فى هذا البحر سبعة طيور فى لجج البحار يعلم أنه مقابل جزيرة سقطرى، و كل من جاز و يجوز هذا البحر و قطع جزيرة سقطرى يرى السبع الطيور ليلا و نهارا صباحا و مساء و من أى صوب أقبل المراكب تستقبله الطيور، و لم يجدهم أحد مستدبرين، و هذا دائم، و لو يتوهم أحد لا ثمانية و لا تسعة و لا ستة طيور بل سبعة كاملة، و هذا من جملة العجائب، و كم قد فكرت العلماء فيهم فلم يوجد عند أحد منهم ما الحكمة فيهم و لا كيف قصتهم و نعتهم.

قال ابن المجاور: سافرت من الديبول إلى عدن فى مركب الناخوذا خواجة نجيب الدين محمود بن أبى القاسم البغوى شركة الشيخ عبد الغنى بن أبى الفرج البغدادى آخر سنة ثمانى عشرة و ستمائة و رأيت الطيور السبعة فى لجة البحر، فلما أصبحنا رأينا الجزيرة، و فى الجزيرة أربع مدن كبار منه السوق و فاتك و مورى و ما حولها من القرى قرية ما شاء اللّه، و هى جزيرة و الجبل مستدير حوله و قد صعد ذروة الجبل إلى الأفق، و قد سكن الجبل قوم جبالية عصاة على أهل الوطاء، و هى ذات مزارع و عمائر و مدن و قرى لم يعرفوا بعضهم بعضا، و قد علق كلّ فى عنقه صليب كلّ على قدره.

و فى أطراف الجزيرة سواحل كثيرة مثل بندر موسى، و رأس ما فى سقطرى، و غاية معاش أهل هذه السواحل مع السراق لأن السراق ينزلون عندهم و يقيمون عندهم مدة ستة شهور يبيعون عليهم الكسب و يأكلون و يشربون و يجامعون نساءهم،

تاريخ المستبصر، ص: ۲۹۷

و هم قوم جلح قوّادون و عجائزهم أقود من رجالهم و فى رجالهم من هو أقود من أسود فى رأس جمل هائج، كما قال الشاعر:

عجوز لو رميت فى قعر بحر أتت للبر قائدة لحوت

تقود من السياسة ألف بغل إذا جرّوا بخيط العنكبوت

و هذه صفة جزيرة سقطرى و البحر و المركب على هذا الوضع و الترتيب:

تاريخ المستبصر، ص: ۲۹۸

و هذا جانب المطلع من جزيرة سقطرى، و هذه صورة تراها إذا كنت فى أوسطها و حاذيتها، و أما إذا تدنيها من البحر فربما تتغير هذه الصورة و تراها على صفة أخرى.

من المنصورة إلى ريسوت

ثلاثة فراسخ و تعبر جبل رأس الحمار آخر غب القمر، و أما ريسوت فكانت مدينة عظيمة و كان من بغداد إليها طريق مطبق مجصص

بالجص و النورة، و كانت القوافل صاعدة بالبربهار أو الخف منحدرة بالبضائع التى تدخل الهند مثل الصفر و الزنجفر و الماورد و الفضة و ما يشابه ذلك و خربت من طول المدى.

و إلى دخان ثلاثة فراسخ، و إلى حارب ثلاثة فراسخ، و إلى مراوة ثلاثة فراسخ، و إلى حلقات أربعة فراسخ، و تعبر جبل فرتك أول مبتدأ غب القمر و هو مندخ المراكب المقبلة من الهند، و إلى الحصوين ستة فرسخ، و إلى خيريج ستة فراسخ، و بهذه الأراضى سبع قرى مقلوبة و تسمى عند الفرس هو سكان، أى منكورين.

حدثنى أحمد بن على بن عبد اللّه الحمامى الواسطى قال: ما بين الشجر و أحور سبع قريات سود، أى سبع قرى مسودة الأرض، قلب اللّه عز و جل بها، و هى من قرى قوم عاد.

و إلى الريداء سبع فراسخ، و إلى الشحر خمس فراسخ، و إلى مرسى طيب بأعمال حضرموت، و إلى الشحير أربع فراسخ، و إلى المكلا فرسخ و إلى بلى ستة فراسخ، و إلى نسع خمس فراسخ، و إلى حصن الغراب أربع فراسخ حصن السموءل بن عاديا

تاريخ المستبصر، ص: ۲۹۹

اليهودى، و إلى مجداح أربع فراسخ و إلى الحوراء ثمان فراسخ، و إلى أحور ثمان فراسخ، و إلى أبين ستة فراسخ و إلى لحج أربعة فراسخ، و إلى عدن ثلاثة فراسخ.

من المنصورة إلى قلهات

اشارة

من المنصورة إلى مرباط أربع فراسخ، بناء الفرس، و يقال: إنما بنى و اشتق الاسم مرباط لأنها كانت مرابط الخيل التى للفرس من أهل سيراف.

و آخر من تولى بها من نسل الفرس أولاد منجو، و خربت على يد أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن مزروع الحبوضى.

و إلى أرحوب فرسخان، و إلى كنكرى أربع فراسخ، و إلى النوس ثلاث فراسخ، و تعبر بجبال عوال، و إلى حاسك فرسخان، و إلى كنكرى أربع فراسخ محاذاة خوريان و موريان، و هما جزيرتان فى لجج البحر.

و إلى مدركة أربع فراسخ، و إلى المصيرة أربع فراسخ، و تعبر غبة الحشيش، و أهل هذه الجزيرة قوم يقال لهم: المهرة، و اللّه أعلم.

ذكر نسبة المهرية

حدثنى على بن محمد بن أحمد الساعى فى المفاليس: حدثنى فهر بن عبد اللّه بن راشد، و هو سلطان حضرموت قال: إن أصل المهرية من قرية الدبادب

تاريخ المستبصر، ص: ۳۰۰

لم تجر فيه صلاة، لأن أمير المؤمنين، أبا بكر الصديق[۹۰] رضى اللّه عنه بعث بجيش إلى هذه الأعمال فعصت أهل هذه القرية عليهم، فلما انتصروا على أهل القرية ركبوا السيف على أهلها فما زالوا يقتلون فيهم إلى أن جمد الدم فيهم قدر قامة، فلم يسلم من القوم إلا قدر ثلاثمائة بنت بكر مخلخلات مدملجات ملبسات، فتعقلن بجبل مقابل، فلما رأى أهل الجبل ذلك أمهروهن و تزوجوهن فجاء من نسلهم المهرة.

و حدثنى أحمد بن على بن عبد اللّه الواسطى قال: إن أصل المهرة من بقية قوم عاد، فلما أهلك اللّه تلك الأمم نجا هؤلاء القوم فسكنوا جبال ظفار و جزيرة سقطرى و جزيرة المصيرة، و هم قوم طوال حسان لهم لغة منهم و فيهم و لم يفهمها إلا هم، و يسمونهم

السحرة، و ما اشتق اسم السحرة إلا من السحر لأن فيهم الجهل و العقل و من الجنون، يأكلون نعم اللّه بلا حمد و لا شكر و يعبدون غيره، و هم فى هذه الديار يشبهون الدواب سائرين ملء تلك السهول شبه السيول و الجبال شبه الخيال، و فيهم يقول الشاعر:

كم توعظون و لا تغنى مواعظكمفالبهم يزجرها الراعى فتنزجر

أراكم صور الناس الذين همناس و لكنكم فى فعلكم بقر

لو كنتم بشرا كانت تنهنهكمنوائب الدهر إلا أنكم حمر

تاريخ المستبصر، ص: ۳۰۱

و إلى درب جعلان ثلاثة فراسخ، و إلى صور أربع فراسخ، و إلى العاتب[۹۱] فرسخان، و إلى قلهات فرسخان.

بناء قلهات

اشارة

أول من سكن الساحل بقلهات الصيادون، قوم ضعف يترزقون اللّه، فلما طال مقام القوم طاب لهم و التأم إليهم بمقامهم خلق يستأنسون بهم، فكثروا و ازدادوا إلى أن سكن فى جملة الصيادين شيخ من مشائخ العرب و اسمه مالك بن فهم، و كان من حرصه على عمل البلد يقف على الساحل، فأى مركب يراه يقلع فى البحر ينادى لأصحابه: قل هات! أى: قل لهم فى دخول البلد، يعنى لأهل المركب، فسمى البلد قلهات.

و حدثنى أحمد بن على بن عبد اللّه الواسطى قال: إنما كانت تسمى فى سالف الدهر هات قل، قلت: و لم سمى بهذا الاسم؟ قال: لما هرب القوم من وقعة النهرين نزلوا بهذا الساحل كانوا يقولون لخدامهم: هات! يعنون به الزاد، و هو زاد صحبهم من العراق، فلما قل عليهم ذلك قال أحدهم لخادمه: هات! فرد عليه الغلام: قل، فسمى البلد هات قل، فلما دار الدهر دار الاسم مع دوران الزمان قلهات.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۰۲

و عمر المكان بمقام الشيخ مالك بعد أن أدار عليه سورا من الحجر و الجص سنة خمس عشرة و ستمائة و عدل فيها، و دخلتها المراكب من كل فج و خور و سائر الجهات تأتى من كل جهة، و صارت مدينة ذات عظم و مهابة.

فصل: [(مشى المقلوب)]

وجد زيد عمرا يمشى إلى داره فقال له: ما لك تمشى مقلوبا؟ قال:

لانقلاب الزمان نوافقه على فعله، كما قال الشاعر:

كان فى الغادين لى سكنفنأى فاغتاله الزمن

خلّف الغادون لى حزناو لبئس الصاحب الحزن

و هو على هذا الوضع و الترتيب

تاريخ المستبصر، ص: ۳۰۴

ذكر جبل السعترى

جبل عن البلد مقدار فرسخ و طريقه ذات طول و عرض و سعة فى ارتفاع و انحطاط، و كل ما يطلع فيه السعتر من أوله إلى آخره، و على ذروة هذا الجبل نجر سفينة نوح، عليه السلام.

حدثنى عبد الغنى بن أبى الفرج البغدادى قال: هو نجر حديد يصح مقدار بيت كبير، و كان العقب فيه أنه لما أرسى السفينة على هذا الجبل، لأن ماء الطوفان كان قد علا على جميع ما خلقه اللّه تعالى مقدار سبعة عشر ذراعا أرمى الأنجر، تعلق الأنجر فى حجر من الجبل و أبى أن يصعد معهم و غمر الريح قطعت السفينة الأنجرية و بقى الأنجر و الأنجرية موضعه يزار، و هو موضع فاضل، و اللّه أعلم و أحكم.

ذكر الإباضية

أصل القوم من ولد الرجل الذى أقر لعلى بن أبى طالب، رضى اللّه عنه، بالإلهية، و قد قال صلّى اللّه عليه و سلّم لعلى، رضى اللّه عنه: يا على، يهلك فيك طائفتان محب غال، و مبغض قال.

و أول من نسب الإلهية لعلى بن أبى طالب، رضى اللّه عنه، أبو الثديان[۹۲] فقال له على بن أبى طالب: كف عن المقالة و اشتغل عن البطالة، فإنى آكل و أشرب

تاريخ المستبصر، ص: ۳۰۵

و أنام و أنكح و من يتسم فيه هذه الخصال حاشا أن يعبد، لأن الإله، عز اسمه، و جل ثناؤه، متعال منزه صفاته عن الذات و اللذات فكيف عما ذكرناه من الأكل و الشرب و النوم، فلما انكف أبو الثديان عما كان عليه من الاعتقاد شرع فى هذا المذهب بين القوم و خرج طائفة منهم سكنوا أعمال البطائح و هم على هذا الاعتقاد إلى الآن و يراها صفة أخرى.

من المنصورة إلى عدن

اشارة

راجعا من المنصورة إلى ريسوت ثلاث فراسخ، و يعبر عنه بجبل رأس الحمار ...[۹۳] اخترعت و حينئذ خرج أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى اللّه عنه فصافف القوم بالنهرين و كسرهم و ركب عليهم السيف و ما زال يقتل فيهم إلى أن أفنى الجميع ورد البغلة إلى القنطرة فوقعت البغلة على نصف القنطرة، قال على بن أبى طالب رضى اللّه عنه: انظروا من تحت القنطرة، فإذا هم بأبى الثديين، فقال له أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه: جاء الحق و زهق الباطل، أسلم تسلم، فقال: كيف أسلم و البغلة تعلم علم الغيب أنى تحت القنطرة؟ فحينئذ جرد على بن أبى طالب رضى اللّه عنه السيف و ضرب عنقه و هرب من سلم من القوم، و ما زال السيف يعمل فيهم و وراءهم من الغيب إلى أن عبرهم البحر فسكنوا بهذه الأعمال، فبدلت تلك المحبة بالبغضاء فهم فيهم محب غال و المبغض القالى هو الهالك بين المحبة و البغضة، كما قال:

تاريخ المستبصر، ص: ۳۰۶

الحب فيه مرارة و حلاوةو الحب فيه شقاوة و نعيم

و قال آخر:

آه من لوعة التفرق آهما أمرّ الهوى و ما أحلاه

كتب الدمع فوق خدى سطرارحم اللّه من دنا فقراه

و يسمون على بن أبى طالب رضى اللّه عنه أبا تراب، و يقولون: إنه كان فى الصغر مؤمنا فلما كبر كفر، و ينشدون فى سماعاتهم:

صلى اللّه و سلم‌على شهيد ابن ملجم[۹۴]

هذا الذى ضرب الشرك‌بالسيف حتى تثلّم

و ينشدون بيتا من قول ابن سكرة:

سبوا عليا كما سبوا عتيقكم‌كفر بكفر و إيمان بإيمان

علم مكنون و سر مكتوم

إذا نزلوا المراكب أو كوّروها لم تصعد المراكب و لا تنحدر معهم إلى أن يقول الجميع بصوت واحد: يالعلى! و يقولون: إنهم يبقون فى جر المركب زمانا طويلا حتى يتعبوا و يضجروا فيقول بعضهم لبعض: اذكروا ذلك الرجل! يعنون به على بن أبى طالب، رضى اللّه عنه، فتقول المشائخ: كوروا مركبكم إن كنتم تكورون!

تاريخ المستبصر، ص: ۳۰۷

و لا يزال القوم فى عناء و تعب و صداع و كرب و صياح و شغب إلى أن يقول الجميع بصوت واحد: يالعلى! فيجرى معهم المركب أهون من شربة ماء بارد إلى فم رجل عطشان فيصبى المركب و يسبح فى البحر و يعوم، قال القائل:

علىّ طلابات و أنت وسيلتى‌إلى اللّه يا مولاى موسى بن جعفر

إذا جاءك الملهوف يطلب حاجة‌تيسر من مأموله كل معسر

و قال آخر:

لما تكاثر حسادى و أعدائى‌بغير جرم جعلت اللّه مولائى

و قد تمسكت بالميم التى فى محمد و عين على و بالحاءين و الفاء.

و قال محمود:

فوحق حرمة خمسةما مثلهم بين البشر

.....[۹۵]

بذاك جبريل افتخر

ذكر الإباضية

فكل رجل يبغض على بن أبى طالب رضى اللّه عنه يحيض من دبره رأس كل شهر، و يقال من ذكره، كما تحيض المرأة.

و فى أعمال صنعاء منهم قوم يسمونهم السمارة و علامته أن أحدهم يعلق كيسا من الجلد ملأه رملا فى ذكره كلما ابتل الرمل بدده و استعمل غيره و يسمى ذلك الكيس مطهرة، فهم الإباضية، و اللّه أعلم.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۰۸

ذكر السلقلقيات

و كل امرأة تبغض على بن أبى طالب رضى اللّه عنه تحيض من دبرها فهم السلقلقيات.

قال ابن المجاور: و كل من هو نسل أبى الثديان من رجل او امرأة أو من حضر وقعة النهرين فرجالهم الإباضية و النساء السلقلقيات لأنهم معروفون بهذه العلة، و اللّه أعلم و أحكم.

ذكر بلاد الخوارج و الإباضية

اشارة

حدثنى الصفار قال: إن جميع أهل أذربيجان كانوا ...[۹۶] فأسلم الجميع و رجعوا إلى مذهب الإمام أبى عبد اللّه محمد بن إدريس الشافعى، رضى اللّه عنه، و رجعت كلوة من الشافعية إلى الخارجية و هم باقون على هذا المذهب إلى الآن.

و فى المغرب نفوسة مثل راره و التمساح و رأس المخبز و تاهرت و سويقة ابن مدكول و جبال نصير و طارق، فهذه البلاد قديما على هذا المذهب، و أما الذين هم جدد فمن تولى محمد بن الحسن بن تومرت البربرى، و عبد المؤمن بن على الكوفى ملك المغرب، ساقوا الخلق إلى أطراف هذا المذهب، و بعض بأرض مصر، و بأعمال الشأم دمشق و حران، و من ديار بكر بغداد، و من أرض الجزيرة (باحربه

تاريخ المستبصر، ص: ۳۰۹

و احباره)[۹۷] مع جميع سواد الموصل، و جبال الأكراد و الدبابلة و جميع أصحاب الشيخ عدى، و من بغداد باب البصرة و الحربية و دار القز و السرية و باب الأزج و الحلبة و البصلية و الحريم رجال شتى، و بعض أهل واسط القصب و قرية بأعمال البحرين شذ على الراوى اسمها.

و من العراقين البصرة و همذان، و من اران سلماست، و من سفاهان درحوى باره و دكوك و درليان، و من خراسان هراة و اسراسير مع جميع اعمال تيم رور كريك مع جميع أعمال حوادر، و إلى حد ما كان طول فى عرض و من ...[۹۸] مان وادى ردمد بالطول من سيسان إلى وادى سول و به أكثر من ...[۹۹] قرية على خيط واحد.

و من أعمال اليمن زبيد و أعمالها مجهر، و من الجبال الشرف، و هو من أعمال زبيد مقابل قلحاح، و ليس هم الشرف أى الأشراف أهل الحسب و النسب، و هى أعمال تسمى الشرف كما صادف الاسم الكنية، و هم يؤدون القطعة لآل الشرف من آل الحسن بن على بن أبى طالب.

و سكن جميع اليمن منه كما يقال ...[۱۰۰] رفى و هم حنابلة المذهب لأن الحنابلة يقولون فيما بينهم: لا يكون الحنبلى حنبليّا حتى يبغض عليّا سويّا، و من الأديان اليهود خلاف جميع الملل، و يقال: إن أول من سب ابا تراب بالشأم معاوية ابن أبى سفيان و صارت عندهم سنة مؤكدة استمروا عليها إلى آخر دولتهم إلى الف شهر، فسبه جميع العالم ما خلا خوارزم، و قد تقدم ذكرهم.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۱۰

فصل: [(فى سب على)]

قيل: كان الوليد بن عبد الملك يذكر بالجهل فذكر يوما على بن أبى طالب رضى اللّه عنه على المنبر و لحن، فقال بعضهم: ما أدرى أى أمريه أعجب لحنه فيما لا يلحن أحد فيه، أو نسبته على رضوان اللّه عليه إلى اللصوصية.

حدثنى أحمد بن على بن عبد اللّه الوسطى قال: كتب و هساب الأبنوس على فص خاتمه ... ى وحيد من الأئمة جميعا معاوية و يزيد وح ... يوم الخميس الثانى و العشرين من رمضان سنة خمس و عشرين و ستمائة و حق معاوية بن أبى سفيان كاتب وحى اللّه و رديف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و هم أول من سبوه على منابر الإسلام[۱۰۱].

و قال إمام الحرمين فى كتاب اللمع: معاوية مخطئ، و علىّ مستمسك بالحق.

و جميع أعمال عمان و قلهات و الفرات و طيوى و مسقط وحى عاصم و صحار و خور فكّان و كمزار و جلّفار و الذين هم فى الجبال منح و ثروى شمائل.

ذكر استفتاح أعمال عمان

قرأت فى كتاب مسالك الممالك الثانى و يذكر فيه أن الغالب كان على أعمال عمان الإباضية إلى أن وقع بينهم و بين طائفة من بنى سامة بن لؤى بن غالب، خرج منها محمد بن القاسم الشأمى إلى الإمام أبى العباس أحمد المعتضد باللّه بن أبى أحمد محمد بن الموفق، و قيل: طلحة بن المتوكل، و قيل: ابن الموفق محمد ابن جعفر المتوكل، استنجد به فبعث معه بأبى النور ففتح عمان للمعتضد باللّه

تاريخ المستبصر، ص: ۳۱۱

و أقام له الخطبة بها، فارتحلت الإباضية إلى ناحية سردنجة[۱۰۲] فسكنوها إلى زماننا هذا، و لو فتحنا فى هذا الباب لطال الكلام و كثر، و التقصير فى مثل هذا أصلح و أجود، و اللّه أعلم.

ذكر استفتاح الخوارزمية قلهات

لما تولى خواجه رضى الدين قوام الملك أبو بكر الزوزنى ملك كرمان و مكران و فارس قتل السلطان علاء الدين محمد بن تكش ملك قلهات بالسيف، و يقال: إن مالك بن فهم مات فى أيام دولة رضى الدين قوام الملك، ففى تلك ...[۱۰۳] و العرضة انفذ رضى الدين قوام الملك مراكب تسلم قلهات مع جميع أعمال عمان، و كان له فيها شحان و عمّال و نوّاب يجبون دخلها و أعشار السفراء مع الضرائب و القوانين، و كان هو يرسل بالإبريسم من كرمان يبيعونه و يجمعون دخل البلاد و يشترون به خيل عربية ينفذونها إليه فى كل واقعة خمسمائة حصان إلى ما دونه و أعلاه، فكان يركب ما كان دون منها و يرسل نجاد الخيل إلى خوارزم يقدمها للسلطان.

فلما مات رضى الدين قوام الملك فى كرمان خلف فى قلهات أربعة و ستين ألف منّ، و يقال: ثمانون ألف منّ حرير مع خمس مائة حصان، فملك قلهات من أيدى الخوارزمية مع الخيل و الإبريسم سنة خمس عشرة و ستمائة، فملك قلهات بعد وفاته الشيخ مالك بن فهم بن مالك من ...[۱۰۴] ادار على قلهات سورا من الحجر و الجص سنة سبع عشرة و ستمائة.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۱۲

صفة بتان العنبر

وجد أهل قلهات يوما مقابل المدينة جزيرة كبيرة فقال الشيخ مالك بن فهم:

قصوا لنا أثر الجزيرة و ما هو؟ فغدا الصيادون و رجعوا إليه فقالوا له: بتّيان يطفو على وجه البحر، فقال لهم: جروه إلى البلد! فركب الصيادون الصنابيق و شدوا الأحربة فى البتان و جروه و أرموه الساحل، فصارت الخلق تتفرج عليه و على عظم خلقته إلى أن جاف و خاس، فظهر فى جوفه قطعة عنبر و زنها ثلاثة أبهرة، فلما علمت الناس بذلك قطعوه و نهبوه و وصل العنبر إلى جميع من فى البلد من قوى و ضعيف، و وصل إلى الشيخ مالك بن فهم بهار بالكبير عن مائتى منّ سنة عشر و ستمائة.

فصل: البتان صادف القطعة العنبر طافية على وجه البحر فابتلعها، فلما استقرت القطعة فى أمعائه ضعفت معدته عن هضمها فمات فطفا على وجه البحر فضربه الموج و أسنده إلى الساحل بقلهات، استغنى به من استغنى.

حدثنى محمد بن بندار الجوزى قال: إنى اشتريت من هذا العنبر تفاريق، صح لى جمل بأدنى شىء فأخذته و سافرت به إلى خوارزم بعته على تركان خاتون ...[۱۰۵] علاء الدين محمد بن تكش على سعر العشرة مثاقيل بثلاثين دينارا.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۱۳

صفة قلهات

قلهات بلد وضع على ساحل البحر و الجبل محيط به، و يقال: إنها على وضع عدن، ماؤها طيب يجلب من منده[۱۰۶] و بها نهر سقراط معينه من الجبل يجرى بين نخيل و بساتين خفيف مرىء عذب فرات.

قال أهل اللغة: أما عمان فإنما سمى بعمان بن نعسان بن إبراهيم الخليل، عليه السلام، و هو الذى بناها.

قال ابن المجاور: و ما سمى هذا الإقليم إقليم عمان إلا أنها تعم بالخير.

مأكولهم التمر و السمك، و لبسهم الأزرق مكشفين الرءوس، يشترون كل سبعة رجال منهم جارية، و كلما دخل واحد من السبعة خلع نعليه و خلاهما على الباب، فإذا جاء أحد السبعة رأى النعل عاد على أثره راجعا لعلمه أن أحد أصحابه عند الجارية.

و ليس فى جميع الربع المسكون أبغض منهم للغريب، يقول زيد لعمرو: إى بازق الغريب بالجندل، يعنى الحجر، و انزل عليه بالرويار[۱۰۷] و زيّده بالعصا.

و ليس أحد أذل منهم، إذا عاينوا السراق فى البحر يقول بعضهم لبعض: إى بالمال ما نعطيه أسلم تسلم؟ فيسلمون المركب للسراق و يخرجون عرايا الأستاه، و ليس فى جميع القبابين أصغر من قبان قلهات.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۱۴

من قلهات إلى مسقط

اشارة

من قلهات إلى طيوى ثلاثة فراسخ، و إلى مسقط ستة فراسخ، هذا الاسم الأصل فيه مسكت، و يقال: لما وصل إليه الصحابة سكت كل من كان بها فسميت مسكت، و اللّه أعلم.

صفة العنة

و فى مسكت عنة و على فم العنة ناطور لا يزال قاعدا، فإذا دخل العنة سرب سمك علم الناطور كم عددهم، فسئل عنه فقال: إذا شاهدت مقدم الأسماك أعلم كم يكون عدد أشياعه و أتباعه، و ذلك من كثرة التجارب و المخبرة.

و كانت هذه المدينة مرسى مدينة صحار، و فى هذه المدينة كانت ترسى المراكب القادمة من أطراف ...[۱۰۸] و كانوا يصعدون بالخف و البربهار إلى صحار يبتاعون و يتشارون، و منها كانت تصعد البضائع إلى كرمان، و من كرمان إلى سجستان، و كانت البضائع تتفرق فى خراسان و ماوراء النهر و زاولستان و الغور و كرميل، و إلى حى عاصم ستة فراسخ، و إلى أسرار ستة فراسخ، و إلى صحار أربع فراسخ.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۱۵

صفة صحار

حدثنى أبو المجد بن أبى محمد الكمال بن الكمال العلوى الحسينى قال: إن صحار كانت اثنى عشر ألف قرية مع اثنى عشر ألف قصر مع اثنى عشر ألف نهر مع اثنى عشر ألف جامع، و كان يسكن كل ناخوذة قصرا و يشرب أهله من نهر، فإذا كان يوم الجمعة يحتاز إلى الجامع فى تسعة و تسعين من خدمه و أشياعه و قرابته و أعوانه، فحدثنى بعضهم قال: كان بعد بنائها مائة و اثنين و تسعين قبان لوزن البضائع للطالب و المطلوب.

صفة دار الختمة

بنى ناخوذة دارا و أمر أن يكتب القرآن بالذهب فيها و الأصح فى خشب الساج توازير الدار مقطع مركب فى اثنى عشر كتبا، فصح فيه تمام الختمة فى سطر واحد من الدار و سعته، فسمى الدار دار الختمة، و كان بناء القوم بالآجر و الجص و الخشب الساج فخرب الجميع و صارت الجن تسكن حول القصور.

حدثنى الشيخ أبو بكر البصرى المحل قال: إن هذه الأعمال كانت لملوك كرمان من آل سلجوق فاندثروا و تغلبت الغز عليهم و خليت البلاد و تسلطت العرب على هذه الأعمال و أخربوها.

فصل: سافر زيد من وطنه و رجع فإذا هو يرى بحارة الحمال رجع قاضى

تاريخ المستبصر، ص: ۳۱۶

البلدة، و قال القاضى، يعنى الحمال لزيد: ابسط ما كان من الإبل الأوائل من الرفعة و ما نحن الآن فيه من الهبوط؟ قال زيد: كيف ذلك أدام اللّه مجلس مولانا القاضى و ثبت قواعده؟ قال القاضى: فى الدور الأول ارتفعت الأوائل إلى أن كنا حمالين للقوم الحطب و الأواخر رجعت قاضى حكمهم.

قال ابن المجاور: إذا كانت الأوائل حتى سكنوا تلك القصور و ما نحن فيه الآن حتى قنعوا مسكنى التصاريف من الخرابات، كما قال:

يا باكيا بعد الأحبة فى المنازل و الدمن

من بعد يوم فراقهم أعلمت ما طعم الوسن

فأجابنى: لا و الذى قلبى إليه مرتهن

كيف السكون إلى الرقاد و قد نأى عنى السكن

و متى تقر دموع من يغتاله صرف الزمن

و للقاضى أبى بكر الرافعى:

أستغفر اللّه للذى و دعاو نحن للغربة نبكى معا

سبل من أجفانه أدمعالما رآنى مبلا أدمعا

و قال لى عند فراقى له:ما أعظم البين و ما أوجعا

و للسيف الحكمى:

أحمائم الأثلاث من وادى الحماأنتنّ هيجتنّ صبّا مغرما

ما للعداة و ما لكن و للبكاجزعا و لكن لا ارى دمعاهما

إن الحمام إذا تنغّم شاقنىو يزيدنى شوقا إلى ذاك اللما

تاريخ المستبصر، ص: ۳۱۷

و قال آخر:

تشتاقكم كل أرض تنزلون بهاكأنكم لبقاع الأرض أمطار

فلما خربت ريسوت عمرت صحار و خربت صحار بنيت البين و هرمز و خربت البين و هرمز بنيت عدن.

و إلى العقر أربع فراسخ، و إلى كلبهٔ أربع فراسخ، و إلى خور فكّان أربع فراسخ، و إلى دبا أربع فراسخ، و إلى ليمهٔ أربع فراسخ، و إلى كمزار ثلاث فراسخ، و إلى ظفار ثمان فراسخ، و إلى قيس ثمان فراسخ عن يوم و ليلهٔ فى البحر.

بناء قيس .. سكنها المجوس

و كان الموجب كما ذكره سعد بن مالك بن داود بن سليمان الأنصارى أنه هربت المجوس لما تغيرت الدولهٔ لتغلب العرب على ملك العجم سكنوا الجزيرهٔ و بنوا مع طول مقامهم الدور العوالى الشواهق بالآجر و الجص بناء محكما، فلما دار الفلك داروا مع دوره و جوره فخلت الجزيرهٔ منهم و رجعت حبسا للملوك، ملوك فارس، و سميت فى عهدهم زندان انه، و صارت الملوك يجرون على العوائد إلى أن خربت سيراف، فحصل رجلان سيرافيان بجزيرهٔ سكناها فأعجبهم المكان فاستولوا على الجزيرهٔ و فيها جماعهٔ صيادون يصطادون السمك، فتغلب السيرافيان على الصيادين فأخرجاهم منها صاغرين و ملكوا الجزيرهٔ و بنوا فيها الدور الوثيقهٔ، و يقال:

إنهم بنوا على أساس بناء المجوس و غرسوا بها النخل و سكنوا فيها.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۱۸

حدثنى يحيى بن على بن عبد الرحمن الزراد قال: إنما تكون لجزيرهٔ قيس من يوم بنيت مائهٔ و عشرين سنهٔ، و كان هذا الحديث سنهٔ أربع و عشرين و ستمائهٔ، و قرروا على كل مركب يجوز عليهم دينارا واحدا، و قرروا فى العام الثانى و الثالث ثلاثهٔ دراهم، و هم فى الصعود إلى أن تقرر الأمر على العشرهٔ و ثبت عليه إلى الآن.

فلما قوى الرجلان و استظهرا بالأمر و الملك ادعى السلطنهٔ أحدهما و ثبت فيها إلى الآن و لكن اسم بلا جسم، و كان يخطب له يوم الجمعهٔ على المنبر سلطان الشرق و الغرب ملك الأرض، فقام رجل و قال: سلطان طاس و بيكاس[۱۰۹] ملك لدوكران، و هما موضعان طرفى الجزيرهٔ، و يصح دور الجزيرهٔ فرسخ، و يقال: ثلاثهٔ أيام، و له فى البحرين مراكب تسمى بالنوبيهٔ تضرب له فى (ال حس نوت)[۱۱۰].

و تؤدى العرب الذين هم ملاك فى البحرين كل عام عشرين ألفا لضرب تلك النوبهٔ فى بلادهم ...[۱۱۱] و سكر فى بعض الليالى فقال لرجل غريب حضر معهم: قد و هبتك سفاهات، فقبل الرجل الغريب، فلما أصبح قال الملك للوزير: اكتب لفلان منشور بتسليم نوابنا له سفاهات! فقال: سمعا و طاعهٔ! فبعد انقضاء أيام صادف الملك الرجل الغريب فقال له: ألم تتجهز إلى سفاهات؟ فقال له الغريب: أدام اللّه عز الملك، أريد نفقهٔ أنفق بها حتى أتوصل إلى سفاهات، فقال: أعطوه خمسمائهٔ ألف دينار، فأخذ الرجل المبلغ و رجع إلى بلده.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۱۹

و لماذا سميت جزيرهٔ قيس

تراهن قيس بن زهير بن جذيمهٔ بن أبى سفيان، و هو صاحب الداحس و الغبراء، مع ربيع بن ساس صاحب الخطار و الحنفاء، و كان

الخطار و الداحس حصانين، و الغبراء و الحنفاء فرسين، فغلب الداحس الخطار، و جرى بين القوم ما جرى، فخرج قيس بن زهير صاحب الداحس إلى ناحية عمان ليطفى نار الشر، فلما توطن فى عمان فتح دكانا و كان عطارا و قعد يبيع و يشترى، و إذا بأميرين من أمراء عمان تراهنا فيما بينهم و جرى بهم الكلام فى سباق الداحس و الخطار، فحضر الأميران إلى الشيخ العطار و سألوه عن قصة السباق و من غلب و غلب، فقال لهم الشيخ: ما لكم بسؤالى من حاجة، قالوا: بلى، قال: الداحس غلب، فلما سمع المغلوب اغتاظ من هذا و شتم الشيخ و تفل فى وجهه، فحينئذ أغلق الشيخ دكانه و جاء إلى بيته و أسرج و ألجم الداحس و ركب و قال لبنته ياقوته: اسبقينى إلى البئر الفلانية فاقعدى عندها، و قدم الشيخ إلى مجمع القوم و قال: أنا قيس بن زهير، و حصانى هذا هو الداحس، و من لم يعرفنى فليعرفنى، و حمل على الذى تفل فى وجهه فضرب عنقه، و ساق الداحس إلى البئر و أردف ابنته ياقوته وراءه فتبعته الخيل إلى الساحل، فركض الحصان فلم ينزل البحر فعصب عينيه و آماقه فنزل البحر و سبح إلى أن توسط البحر فتعب الحصان و غرق الثلاثة جميعا، و قال أهل جزيرة قيس:

سبح الحصان براكبيه إلى أن صعد بهم الجزيرة فسكنوا و أهل جزيرة قيس منهم، فلذلك يسمون جزيرتهم بجزيرة قيس، و هو قيس بن زهير بن جذيمة بن أبى سفيان، لأنه أبو القوم.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۲۰

و يقال: إن الجزيرة كانت ... فلما صعد قيس مع ياقوتة و الداحس ولّوه أهل الجزيرة على أرواحهم و أموالهم و تزوج منهم و أولد الجاشو، و زوج ياقوتة بأكبر من فى الجزيرة فأولدها الفرس، و إلى الآن فى رءوس الفرس حماقة العرب.

حدثنى رجل من أهل فارس ... به الجاشو من الديلم و كانوا يسكنون الفلاة بفارس و أعمالها، و هى ذات خيل و نعم و إبل، فلما طال السوط فى القوم تعلقوا فى الجبال و بنوا الحصون و سكنوها، فعرف القوم بسوا كاره، أى مرخين الشعور شبه الأكراد، فلما عمرت الحصون ركبوها الحصون و ازدادت العمارة، فسكن رجل منهم جزيرة قيس فطلع من نسله الجاشو، و هذا هو الصحيح.

نسبة الجاشو

اشارة

ثار بملك من الملوك علة البرسام و وصفت له الأطباء أن يفترش كل ليلة جارية نوبية بكرا يزول ما به من العرض و المرض.

قال ابن المجاور: و لم يكن فى جميع المخلوقات أحرّ من فرج الجارية النوبية، فمن حرارة فرج الجارية النوبية يتحلل البرسام و ينزل فى جملة المنى إلى الجارية النوبية، فإذا قامت المرأة نفضت المنى من فرجها و برئ المعلول من العلة، و لم يضر الجارية شىء، و يقال: إنه يضرها.

فلما سمع الملك ذلك أنفذ وزيرا له إلى بر السودان فأمر أن يشترى له مائة جارية نوبية أبكارا، فلما تجهز الوزير ترخم الآلة و تركه فى حق و ناوله الملك و سافر إلى أن وصل بلد السودان و اشترى الجوارى الأبكار، و قدم بهم إلى الملك، فلما

تاريخ المستبصر، ص: ۳۲۱

قدم الملك إلى إحداهن وجدها ثيبا، و كذلك الثانية و الثالثة و العاشرة إلى المائة وجدهن رجّعا على نسق واحد، فلما دخل الوزير إلى خدمة الملك قال الملك للحاضرين: جاشك، أى إنه شك فيهم، أى استفضهم، و قال: بل ما شك، أى جاء من شك فيه اليقين، فلما تحقق الوزير مقالة الملك استدعى بالحق و فتح رأسه فإذا فيه الآلة، فقال له الملك: ما حملك على هذا الفعل؟ قال: خفت هذا الذى بدا و قضية الذى جرى، و حينئذ نادى الملك جميع الجوارى و سألهن عن حالهن فقلن: إنا نزلنا فى الجزيرة الفلانية و سبحنا فى عين ماء عذب فما علمنا بأنفسنا إلا و كل منا معها جنى يستفضها، فقال الملك: تردهم إلى جزيرتهم، فسكنوا جزيرة قيس،

فبنوا الدور و تناسلوا و كثر الناس، فسموا جاشك، على ما جرى من لفظ الملك، فدارت عليهم اللغة فسموا جاشو.

فصل: [(نسبة قبيلة زناتا)]

حدثنى أبو القاسم بن إبراهيم بن محمد المرابط قال: تمت حالة مثل هذه الحالة فى أرض المغرب و أنفذ الملك بوزير له يسمى ... با أى إلى أعمال السودان يشترى له جوار، فلما دنا الملك من الجوارى وجد عندهن و ساعا، قال:

زناتا، يعنى الوزير ناوانا، فعرفت القبيلة بزناتا، و هم قوم من البربر رجل و خمسون ألف ضارب سيف.

قال ابن المجاور: و ما أظن القوم افترقوا فرقتين إحداهما سكنت أرض المغرب فعرفوا بزناتا، و الفرقة الثانية سكنت جزيرة قيس فعرفوا بالجاشو.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۲۲

صفة اللؤلؤ

أصله صدف يتربى فى قعر البحر المالح فإذا نزل الغيث فى فصل نيسان صعد الصدف ينفتح بعضه من بعض بعد أن يطفو على وجه البحر لأجل التقاط الغيث فكم ما وقع فى أحدهم قطرة انضم الصدف على قطرات الغيث الذى حصل بباطن الصدف إلى قزار البحر يربيه، كما قال:

أيلول دهرى منكم لا يفارقنىو حق غيرى أذار ثم نيسان

فصل: قال أنوشروان العادل لوزيره بزرجمهر: كم يساوى تاجى هذا؟ قال:

دخل مطرة فى نيسان، قال: و ما المعنى فيه؟ قال: إن وقع فى البر فهو برّ و إن وقع فى البحر فهو در.

أنشدنى محمد بن منصور بن محمد الواسطى:

هو حر و إن ألم به الضضر ففيه العفاف و الأنف

و الذل لا مرجىّ لمكرمةلأن فيه المزاج مختلف

كالقطر سمّ إن حل فى فم النصل و در إن ضمه الصدف

حدثنى محمد بن أبى سعد القاضى الرازى قال: سمعت من لفظ أبى عبد اللّه محمد بن عمر بن الحسين، المعروف بابن خطيبة بالرى قال: ليس ينفتح الصدف و يستقبل الغيث إلا فى البحر المحيط وراء عالم الكون و الفساد، فإذا نزل الدر فى الصدف سبح الصدف فى قعر البحر و هو ينتقل من موضع إلى موضع إلى أن يستقر فى مغاصه المعروف بالبحرين و كيش و المعبر و سيلان و فى مواضع شتى.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۲۳

و ما يصاد الصدف إلا يوم يطلع النخل و يبطل يوم يقطع العذق عند انصرام النخل لأن هذا الفصل هادئ الموج من قلة الموج، و كان المغاص فى ... مباحا للناس كلّ يغوص لنفسه و يأخذ ما قسم له من الرزق.

و كان اللؤلؤ من كثرته تحلية النساء و الأطفال و المشائخ، و هو موسم كموسم الغلال فى سائر العالم تحلية كل أحد إلا فى هذا الوقت فإنه بطل جميع ذلك و صار الصيادون يصطادون و عليهم كتبة و عمال و قبّاض يتسلمون منهم الأول فالأول من الآخر إلى الأول، و لو وجد حبة فى يد رجل لأخذ ما تحته و ما فوقه.

فصل: سفّر جمال الدين بختيار القابض إلى الهند رجلا برأس مال مبلغه ألف مثقال، فلما توسط الرجل الطريق أخذ به السراق و سلم

معه من جملة المبلغ عشرة مثاقيل ذهب، فدخل قيس فبينا هو ذات يوم قاعدا فى بيته إذ دخل عليه أسودان زنوج و قالا له: تشترى منا حبة لؤلؤة؟ فقال: نعم، فحينئذ أخرج أحدهم من فيه حبة أكبر من بيضة العصفور، فلما شاهد الرجل الحبة حار و دار و لفها فى فيه و بلعها، فقالوا له: هات الحبة، فقال لهم: و اللّه إنى تركتها فى فمى لأنظر صفاءها فنزلت إلى الأمعاء، فقالوا له: فما تعطينا ثمنها؟ فأخرج لهم العشرة و حلف باللّه العظيم لا يملك سوى ذلك، بل خذوا منها ما شئتم و خلوا إلى ما شئتم، فعدوا ثمانية أعداد و أعطوه عددين، و سافر الرجل بالسلامة إلى أن وصل سفاهات فأعطى الحبة لجمال الدين بختيار القاضى و قال له: تجعلنى فى حل من مبلغ كان لك علىّ، قال له:

أنت فى حل و أبرأت ذمتك من مبلغ ألف مثقال، وزن كل مثقال ستة دوانيق، كل دانق أربع طياسيج، كل طيسوج أربع شعيرات، و أعطاه فى يديه مائة مثقال، أى

تاريخ المستبصر، ص: ۳۲۴

يعيش فيها و يأكل فيها الخبز، فوصل خبر الحبة إلى بغداد فأنفذ الإمام أبو العباس أحمد الناصر لدين اللّه، أمير المؤمنين، إليه لينفذ الحبة، فلما وصلت الحبة إلى عينه الشريفة أنفذ له ثمنها ستة آلاف مثقال، و يقال: إنها قوّمت بأربعة و عشرين ألف دينار.

فصل: كان ملك من ملوك كشك و مات و ملك ابنه من بعده الملك فأبصر من البضائع جملا فأطلق يده فى البيع فباع و صار التجار يدخلون حوفا بعد حوف يشترى كل منهم ما أراد و صلح له، فدخل الشيخ أبو طالب بن على بن سويد، و يقال: عبد اللطيف ولد أبى طالب بن على بن سويد التكريتى إلى مخازن النيل بقى منها اثنا عشر قطعة و وزن ثمنها و رفعها و سافر بها و كتب اللّه له السلامة إلى أن وصل تكريت، فجاء يهودى صباغ يشترى منه قطعة فأخذ قطعة ليرى العين فإذا هى قطعة ملؤها لؤلؤ.

فلما أبصر الشيخ أبو طالب ذلك قال لليهودى: ادفع قطعة نيل و أنت فى حل منه و اكتم ما رأيت، و خرج اليهودى بما معه و قام الشيخ ابن سويد علّم ولده ثقب اللؤلؤ فصار الولد يثقب كل حبة تشبه بيض الدجاج، و صار الشيخ ينفذ بعقود اللؤلؤ من تكريت إلى أعمال القسطنطينية العظمى و إلى آخر أعمال المغرب و إلى آخر الهند و الترك و هو يبيع منه إلى الآن.

قال ابن المجاور: و كان السبب فى تلك القطعة أن الملك كان يبقى اللؤلؤ فما كان من حبة غالية كبيرة مليحة تركها فى كيس إلى أن كثر الشىء عليه، فلما زاد خيّط له كيسا و عبى اللؤلؤ المتغالية و خيّشه بخيش و ركّب عليه أربع عرّى و جلّده

تاريخ المستبصر، ص: ۳۲۵

بجلد بقر فرجع يشبه قطعة نيل و علّم فيها علامة يعرفها و عباها بين النيل، فلما حصلت فى نصيب ابن سويد فيقال: إنه لم يعرف لماله قياس و لا حد من بركات تلك القطعة، كما قيل:

يفوت الغنى من لا ينام عن السرىو آخر يأتى رزقه و هو نائم

صفة جزيرة قيس

جزيرة يصح دورها ثلاثة فراسخ مصارية، طول فى عرض، و هى ذات نخل و زراعات القرظ نخل الملك و ما والاها ساحل يحفر الإنسان الرمل بيده فينبع عليه الماء حلوا عذبا فراتا، و يقال: إن فيها كاريز جار فى بستان الملك، و حفرت الملوك بها أحواضا و صهاريج فى أول العهد و بقيت تعمر إلى الآن يملؤها ماء العيون و السيول.

مأكولهم السمك و يعملون منه الهرائس و يؤكل مع التمر، و ليس لأهلها مأكول سواه، و لم يتناولوا الطعام إلا باليد اليمنى، لا غير، و إذا كسر الإنسان بيديه فهو العيب العظيم.

و بناء القوم بالحجر و الجص و دورهم ذات علو و رفعة، يجعل أحدهم فى البناء سبع طبقات، و كل دار منها شبه حصن مانع، و لا يزال بها أشجار نقلت من البصرة، و يزرع به البقول و سائر الخضروات.

و فى أهلها عرق تكبر و عرق خفة و عرق جنون، كما يقال: الجنون فنون،

تاريخ المستبصر، ص: ۳۲۶

ينسبون إلى قيس بن الملوح، و يقال إلى امرئ القيس، و الأصح إلى قيس بن زهير، و قد تقدم ذكره.

لبسهم من أعمال المهدية بالمغرب، و يرجعون يرخون هدبات العمائم طوال، و هم رجال البحر، و ليس لصاحبها خيل و لا عسكر إلا الدوانيج و البومات و الهاسق، شبه العقارب، و تجرى على وجه البحر، و قد قنعوا ببلدة و سكن، و لبس نسائهم السواد.

و إذا تزوج رجل امرأة و أعطاها مائة دينار أعطته المرأة مائة أخرى و كتبت عليه قبالة دين حال قار بمبلغ مائتى دينار، و كلما زاد الرجل فى المهر زادت المرأة فى النقد، و إذا نقص من المهر نقص من النقد.

و هم قوم يعزون الغرباء، و لهم بهم عناية عظيمة.

و تحكم نساء هذه الأعمال على رجالها، و ما يفعل الرجل إلا ما تقول زوجته من صلاح أمر أو فساد حال، و هذا خلاف ما قاله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «شاورهن و خالفوهن، فإن فى مخالفتهن البركة».

فكانت خلفاء قيس يسلمون القطعة للسلطان الأعظم ركن الدنيا و الدين أبى الفتح ملك شاه بن محمود بن ألب أرسلان، فلما توفى و تولى بعده السلطان الأعظم معز الدنيا و الدين أبو الحارث سنجر بن أيوب شاه فلم يلتفت إلى الفقراء لاتساع الملك عليه و المال لديه قطع ذلك، إلى أن جدد الإمام أبو العباس أحمد، الناصر لدين اللّه، أمير المؤمنين، و كان السبب فيما ذكره أن تاجرا مات من أهل بغداد فى جزيرة قيس و خلّف ثلاثين ألف دينار ذهبا عينا فأخذ الملك ذلك المال،

تاريخ المستبصر، ص: ۳۲۷

و جاء الوارث بكتاب حكمى بعد أن أثبته عند الحاكم، فلما وصل الأمر إلى الملك استكبر عن أداء المال و تغلب على الوارث، ورد الوارث بكتاب الحكم إلى بغداد و عرض حاله و ما تم له على الإمام، فأمر الإمام الأمير بادكين[۱۱۲] صاحب البصرة أن يقطع عنهم المادة فقطع و ضاق ذلك على أهل الجزيرة، فلما رأى الملك نقصان حاله قرر على نفسه الثلاثين الألف دينار التى للمتوفى إلى ورثته ببغداد مع نصف دخل جزيرة قيس للخليفة سنة خمس عشرة و ستمائة.

ففى الجزيرة عامل للخليفة و عامل لصاحب كيش و كذلك فى نفس الجزيرة عامل للخليفة و عامل للملك، كما قال:

يا قاتلى جرما بغير مودةاحذر عليك، كما تدين تدان

و هذه الجزيرة حصينة طيبة نزهة و غالب سفر أهلها فى البحر و شراؤهم البربهار، و ليس يخرج عندهم من الضرائب الذهب إلا أبو نقطة، و لا يشترى أحد من هؤلاء قدور البرام و قصب القنا إلا الملك وحده، و لم يبع أحد قدور البرام و قصب القنا إلا الملك وحده، و إن لم يبع هذه صاحبها على الملك أخذها عنفا.

يقال: إن عنده مخازن برام و غضائر ملؤها قصب القنا، و لم يقع للمسافر وقت السفر فسح إلا بخط سبع عشرة علامة للنواب و الثامنة عشر علامة الملك.

حدثنى جوشن بام بن أبى بكر بن سليمان الجاشو قال: إذا وقع الملك على خط الفسح أعاد للرجل الخط، يعنى الفسح، من خلال خشب من عمل يده، و هو

تاريخ المستبصر، ص: ۳۲۸

خلال يخلل به الإنسان أسنانه عند أكل اللحم الحرام، فإن صح حمله غلام و لم يصح الخلال لمن يكتب الرقعة، قلت: فما المعنى فى الخلال؟ قال: لا أعلم إلا أنها رسوم جرت من قديم الزمان، قلت: و من ينحت هذه الأخلة؟ قال: الملك بيده.

ما الجزيرة فى الأصل

دفا و وادى الأحجار و عطفان و لوى و حوار و حصوين و محترقة و العقر و كلتا و صاحت و ليمن و كرار و حصب و جرعا و المجزرة و يخطب له فى كنبايت و السومنات و يدريسر[۱۱۳] و هذه البلاد بلاد واحدة، و إذا وصل مركب القيسى يحترم غاية الاحترام لا غير لأن الذين بها اختاروا الملك من قيس لأنه قريب منهم، و إذا خطب للخليفة خطب من بعده لصاحب كيش لا غير، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

ذكر ما فعل صاحب قيس

و قيل: صاحب كيش، و ما فعل معه صاحب مكران.

أنفذ الملك تاج الدين أبو المكارم بن الحسن و ابن الحسين كهرو بمال جزيل فاشتريا له من مسقط حصانا قيمته ألف مثقال، و ركّب الحصان فى مركب تعدّى به من بر العرب إلى بر العجم، فلم يخبر الحصان ملك قيس فأنفذ دوانيج و بومات قطعوا عليه الطريق و أخذوا الحصان.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۲۹

فلما سمع تاج الدين أبو المكارم قصة الحصان أخذ مراكب السراق و ميّلها على منادخ القيسى و قال لهم: كل مركب ترونه لصاحب قيس فخذوه أخذ عزيز مقتدر، فأخذوا من ذلك الموسم اثنى عشر مركبا موسوقا من سائر الأمتعة و الطرف و التحف و الأموال، فأنفذ صاحب كبش إلى تاج الدين بن مكران رسولا يقول له:

قل الحمد للّه على نعمه، و اللّه المستعان على أهل هذا الزمان، كيف رجع الملوك سراقا يقطعون طرق البحر على سلاكه؟ فقال تاج الدين بن مكران للرسول: و اللّه ما علمنى قطع الطريق إلا ملككم.

فقال الرسول على لسان ملكه: مثلى يقاوى مثلك، قال: ليس لك طاقة، قال:

أنا أعرفك نفسى، قال: بغير الاختيار قال: لأفدينك قدرك قال: هذا شهوتى، قال:

إنى مبلغ شهوتك، قال: إن شاء اللّه.

و اللّه لا كلمته أبدا و لو انه كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

و لأصبرن على مرارة هجره كيلا ترانى العذول فيشتفى

من صح قبلك فى الهوى ميثاقه حتى تصح و من و فى حتى تفى

و قال آخر:

من لا يزرك فلا تزره و لا .. كرامه

و امدد له حبل الجفاو احفر له فى الأرض قامه

فإذا برى و لقيته فالعذر يهنئك السلامه

و إذا انقضت أيامه فقد استرحت من الملامه

تاريخ المستبصر، ص: ۳۳۰

و قال آخر:

سألبس للصبر ثوبا جديداو أفتل للهجر حبلا طويلا

لعلّى بالرغم لا بالرضاأخلّص قلبى قليلا قليلا

صفة القالى

هى عين قير تنبع فى وسط البحر، فإذا كثر القير ضربه الموج قطعة بعد قطعة، وزن كل قطعة ألف من زائد و ناقص.

و حدثنى جوشن بام بن أبى بكر بن سليمان قال: إذا غاص الإنسان على يمين القير بقربة ينزل فم القربة على فم العين تملأ القرية ماء عذبا شبه الزلال، قلت:

و كيف؟ قال: لأن ما يخرج من العين إلا مع الماء الحار و الماء الذى يخرج من القير يكون حلوا شبه العافية.

قال حكيم: إن القير فى معدنه و ما يحله و يسلسله على الموج إلا حرارة الماء تحله و تدفق الماء من تحته و يخرج إلى وجه الأرض و البحر، و كذلك قياس العنبر، و هو عين سيالة فى بحار الخراب حيث لاـ عمارة فيه و لاـ سكن، و تخرج بخرج عين القير بالنعت و الصفة، و اللّه تعالى أعلم.

تاريخ المستبصر، ص: ۳۳۱

صفة البحرين

هى جزيرة فى صدر بحر فارس، كما أن القلزم فى صدر بحر الحبشة، و يقال:

إنها جزيرة فى بحر مالح فوق بحر عذب فلأجل ذلك سمى البحرين.

حدثنى جماعة من أهل البلاد قالوا: إذا غاص إنسان بين الماءين و شرب فشرب ماء عذبا فراتا و أعلاه ماء مالح ملحا أجاجا.

و قال: ما سمى البحرين بحرين إلا لأجل البحر، و أهلها العرب شبه البحر فى كرمهم، أى بلاد تسمى البحرين: بحر ماء و بحر خلق.

و تسمى الجزيرة أوال و بها ثلاثمائة و ستون قرية إمامية المذهب ما خلا قرية واحدة، و مأكولهم التمر و السمك من ماذى رائحة و طعم رفن.

و قال آخرون: إن جزيرة أوال فى أوسط مغاص البحرين، و لاـ أصفى و لا أكثر ماوية من لؤلؤه، و هى جزيرة فى صدر الغبة و بر العرب و فارس مستدار حولها، كما قال:[۱۱۴]

تاريخ المستبصر ؛ ص۳۳۱

درست صورت تو و دريا دو چشم منای در دور مانده ز دريا چكونئى

تاريخ المستبصر، ص: ۳۳۲

تم كتاب تأريخ المستنصر بعون الله و حسن توفيقه

تاريخ المستبصر، ص: ۳۳۳

[فهرس القسم الثانى]

الموضوع الصفحة

بناء حصن الدملوة ۱۸۱

من الجوة إلى عدن ۱۸۳

من الجوة إلى تعز ۱۸۴

صفة حصن تعز ۱۸۴

صفة جبل صبر ۱۸۵

فصل إذا رأيت الهلال ۱۸۷

ذكر بلاد ينزل فيها الغيث كثيرا ۱۸۸

ذكر المياه و الرياح ۱۸۸

من تعز إلى الجند ۱۸۹

بناء الجند ۱۸۹

صفة جبل البقر ۱۹۲

صفة أكمة سليمان ۱۹۳

صفة الجامع ۱۹۳

فصل: وفاة طغتكين ۱۹۵

فصل: وفاة الصليحى ۱۹۶

بناء ذى جبلة ۱۹۷

فصل: اشتراء المعاقل ۱۹۷

بناء المخلاف و نجا ۱۹۸

ذكر تغلب الفقهاء فى حصن التعكر ۱۹۸

صفة بناء ذى جبلة ۲۰۰

عجائب إقليم اليمن ۲۰۱

تاريخ المستبصر، ص: ۳۳۴

الموضوع الصفحة

نجد الحنشين ۲۰۲

حصن ثريد ۲۰۲

مثابة فيه بدر الفضة ۲۰۴

من ذى جبلة إلى صنعاء ۲۰۴

بناء صنعاء ۲۰۸

ذكر قصر غمدان ۲۰۹

فصل: بناء القصور ۲۱۱

صقة جبل المذيخرة ۲۱۲

صفة جبل شبام ۲۱۳

صفة صنعاء ۲۱۴

فصل: خروج الجيوش لاستفتاح البلاد ۲۱۵

ذكر تفصيل الفتوحى ۲۱۸

عجائب ذمار ۲۱۹

صفة جبل لشى ۲۲۰

صفة نكاح أهل هذه الأعمال ۲۲۰

صفة وادى الظهر ۲۲۲

من صنعاء إلى المحالب راجعا ۲۲۲

من صنعاء إلى مأرب ۲۲۴

ذكر هد سد المازمين ۲۲۴

فصل: فى المعادن ۲۲۸

من مأرب إلى الجوف ۲۲۹

تاريخ المستبصر، ص: ۳۳۵

الموضوع الصفحة

صفة هذه الأعمال ۲۲۹

من مأرب إلى صنعاء راجعا ۲۳۱

من صنعاء إلى صعدة ۲۳۲

ذكر خراب صعدة القديمة ۲۳۳

بناء صعدة، بناء الشرف ۲۳۳

فصل: فى أمر الزيدية ۲۳۶

من صعدة إلى ذهبان ۲۳۶

من صعدة إلى نجران ۲۳۸

صفة مدينة قرقر ۲۳۹

فصل: سوق العمدين و بنو عبد المدان ۲۳۹

صفة بئر الصفر ۲۴۰

صفة نجران تهامة ۲۴۱

فصل: اشتقاق بحران ۲۴۲

القول فى زوال ملك آل حمزة ... ۲۴۲

فصل: فى أحوال الإبل ۲۴۳

ذكر طريق الرضراض ۲۴۳

ذكر انقطاع طريق الرضراض ۲۴۴

ذكر الفيض ۲۴۵

صفة إقليم نجد ۲۴۷

صفة ماء الهباءة ۲۴۷

صفة بئر العاصمية ۲۴۹

تاريخ المستبصر، ص: ۳۳۶

الموضوع الصفحة

ذكر أودية نجد ۲۵۰

ذكر الكرم ۲۵۱

فصل: الشعراء و الأعرابى ۲۵۲

حكاية ۲۵۳

ذكر ذمام العرب ۲۵۳

فصل: دعبل و المطلب ۲۵۴

فصل: السقا و الأعرابى ۲۵۵

فصل: نزول الجراد ۲۵۷

فصل: أكل الجراد ۲۵۸

ذكر زواج أهل نجد ۲۵۸

من صعدة إلى صنعاء راجعا ... ۲۶۱

ذكر الرؤيا ۲۶۱

من تعز إلى زبيد راجعا ۲۶۲

صفة طير الدلنقوق ۲۶۳

من زبيد إلى حجة ۲۶۵

بناء حصن مسار ۲۶۵

فصل: حديث ... ۲۶۶

من زبيد إلى غلافقة ۲۶۷

فصل: فى ظهور البنات ۲۶۸

بناء غلافقة ۲۶۸

فصل: دور الزمان ۲۶۹

تاريخ المستبصر، ص: ۳۳۷

الموضوع الصفحة

فصل: منع الحطب و إشعال الخيوش ۲۶۹

فصل: قول إبليس ۲۷۰

فصل: جوار أبى دلف ۲۷۰

ذكر بئر الرباحية ۲۷۱

جزيرة فرسان ۲۷۲

ذكر جزيرة الغنم ۲۷۳

ذكر جزيرة الناموس ۲۷۴

من زبيد إلى الأهواب ۲۷۴

بناء الأهواب ۲۷۵

من عدن إلى شبام ۲۷۶

صفة العفو ۲۷۷

بناء شبام ۲۷۹

ذكر شبام ۲۷۹

صفة الدور ۲۸۰

صفة شبام ۲۸۱

فصل: قدوم المراكب إلى عدن ۲۸۳

فصل: فى الكنى ۲۸۳

صفة قرن ابن إبراهيم ۲۸۴

فصل: غزل نساء اليمن ۲۸۴

من شبام إلى ظفار ۲۸۵

فصل: قصة الراكبين ۲۸۵

تاريخ المستبصر، ص: ۳۳۸

الموضوع الصفحة

ذكر خراب ظفار ۲۸۹

ذكر مدن هدمت خوف الأعادى ۲۹۱

صفة الطريق القديمة ۲۹۲

صفة الرياح الثلاث ۲۹۳

صفة المنصورة ۲۹۴

ذكر جزيرة سقطرى ۲۹۵

ذكر السبعة الطيور ۲۹۶

من المنصور إلى ريسوت ۲۹۸

من المنصورة إلى قلهات ۲۹۹

ذكر نسبة المهرية ۲۹۹

بناء قلهات ۳۰۱

فصل: مشى المقلوب ۳۰۲

ذكر جبل السعترى ۳۰۴

ذكر الأباضية ۳۰۴

من المنصورة إلى عدن ۳۰۵

علم مكنون و سر مكتوم ۳۰۶

ذكر الاباضية ۳۰۷

ذكر السلقلقيات ۳۰۸

ذكر بلاد الخوارج و الاباضية ۳۰۸

فصل: فى سب على ۳۱۰
ذكر استفتاح أعمال عمان ۳۱۰
تاريخ المستبصر، ص: ۳۳۹
الموضوع الصفحة
ذكر استفتاح الخوارزمية قلهات ۳۱۱
صفة بتان العنبر ۳۱۲
صفة قلهات ۳۱۳
من قلهات إلى مسقط ۳۱۴
صفة العنة ۳۱۴
صفة صحار ۳۱۴
صفة دار الختمة ۳۱۵
بناء قيس، سكنها المجوس ۳۱۷
لماذا سميت جزيرة قيس ۳۱۹
نسبة الجاشو ۳۲۰
فصل: نسبة قبيلة زناتا ۳۲۱
صفة اللؤلؤ ۳۲۲
صفة جزيرة قيس ۳۲۵
ما الجزيرة فى البر الأصل ۳۲۸
ذكر ما فعل صاحب قيس ۳۲۸
صفة القالى ۳۳۰
صفة البحرين ۳۳۱
فهرس القسم الثانى ۳۳۳
تاريخ المستبصر، ص: ۳۴۰
رقم الأيداع ۷۷۴۸/ ۱۹۹۶
الترقيم الدولى.N .B .S .I .
۲- ۱۱۰۸- ۱۹- ۹۷۷[۱۱۵]

---

[۱] (۱) ثبت عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال عند خروجه من مكة مهاجرا إلى المدينة المنورة:« و اللّه-- إنك لأحب أرض اللّه إلى اللّه، و أحب أرض اللّه إليّ، و لو لا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت».

[۲] (۱) الآية: ۲۴ من سورة الفتح.

[۳] (۱) المذكور هنا قولان فقط.

[۴] (۲) الآية الأولى من سورة البلد.

[۵] (۱) الآية: ۱۱۲ من سورة النحل.

[۶] (۲) الآية الأولى من سورة الأنعام.

[۷] (۱) هو مؤلف الكتاب، و سبق التعريف به فى المقدمة، و سيتكرر كثيرا فى الكتاب.

[۸] (۱) فى الأصل:« و قد تقدم» و الصواب ما أثبتناه، و انظر ص: ۲۱۴ و ما بعدها.

[۹] (۱) الآية: ۳۳ من سورة النور، و انظر فى ذلك باب:« الإكراه على البغاء» فى كتاب:« سورة النور و مشكلاتنا الاجتماعية» إعداد/ ممدوح حسن محمد، ص: ۱۲۵ و ما بعدها، من إصدارات دار الأمين بالقاهرة.

[۱۰] (۱) اسم سيف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

[۱۱] (۱) الآية: ۱۴۴ من سورة البقرة.

[۱۲] (۱) أى: ابتعدت عن الصواب.

[۱۳] (۱) الآية: ۳۱ من سورة الزخرف.

[۱۴] (۱) الآية: ۳۷ من سورة إبراهيم.

[۱۵] (۱) لم نجد ما يؤكد صحة ذلك فيما بين أيدينا من مراجع، و الثابت فى ذلك فى عمرة رمضان لقوله صلّى اللّه عليه و سلّم:« ... و من أدى فيه نافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه» و ذلك من ناحية الأجر و الثواب فقط، لأن عمرة رمضان لا تسقط فريضة الحج عن صاحبها أصلا، و اللّه أعلم.

[۱۶] (۱) هكذا فى الأصول، و قد ورد لفظ البئر فى القرآن الكريم بصيغة التأنيث فى قوله تعالى\i:وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ\E[الحج: ۴۵] و اللّه تعالى أعلم.

[۱۷] (۱) الآية: ۲۳ من سورة النبأ.

[۱۸] (۱) صغار النمل.

[۱۹] (۱) هكذا فى الأصل الخطاب للعاقل.

[۲۰] (۱) الصواب أن يقال: لارتداده عن الدين الحنيفى، لأن المرتد هو الذى يحل دمه، و قد كان مسلما، فكيف يمتنع عن دخول شىء كان فيه أصلا.

أما النصارى و اليهود الباقون على ديانتهم فهم أهل كتاب، و لهم أحكامهم الخاصة بهم، و ليس منها سفك دمهم لامتناعهم عن الدخول فى الإسلام، و اللّه تعالى أعلم.

[۲۱] (۲) أسماء الشهور هنا قريبة من أسماء الشهور المعروفة لنا الآن، مثل شباط لفبراير، و نيسان لأبريل، و تموز ليولية، و آب لأغسطس، و أيلول لسبتمبر، و هكذا ...

[۲۲] (۱) و يعرف الآن بالبحر الأحمر، و القلزم هو الاسم القديم لمدينة السويس الحالية.

[۲۳] (۱) اسم مقصود لذاته، كما تقول: قرأت من سورة المؤمنون.

[۲۴] (۱) الصواب أن يقال: جزيرة، لأنها المكان الذى تحيطه المياه من جميع النواحى، كما هو الحال هنا، أما شبه الجزيرة فيحيط بها الماء من ثلاث نواح فقط.

[۲۵] (۱) الآية: ۸۸ من سورة طه.

[۲۶] (۱) الآية: ۸۹ من سورة الأنبياء.

[۲۷] (۱) فى الأصل:« فلا زال» و الصواب هو المثبت، لأن الفعل« زال» إذا نفى ب« ما» أفاد الاستمرار، كما هو هنا، و إذا نفى ب« لا» أفاد الدعاء، تقول: لا زلت بخير، أى: أرجو أن تكون بخير، و قد قال ذو الرمة:

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلاو لا زال منهلا بجرعانك القطر

[۲۸] (۱) فى الأصل:« فرج» بالجيم، و ما أثبتناه لتوحيد حرف الرّوىّ.

[۲۹] (۱) الآية: ۱۵ من سورة الإسراء.

[۳۰] ابن مجاور، يوسف بن يعقوب، تاريخ المستبصر، صفة بلاد اليمن و مكة و بعض الحجاز، ۱جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، ۱۹۹۶ م.

[۳۱] (۱) اسم مكان من الفعل:« قتل» أى المكان الذى قتل فيه الصليحى.

[۳۲] (۱) يراجع هذا الموضوع بتوسع فى كتاب:« الأشربة و ذكر اختلاف الناس فيها» لابن قتيبة، تحقيق/ ممدوح حسن محمد، من إصدارات:« مكتبة الثقافة الدينية».

[۳۳] (۲) الآية: ۱۰ من سورة ق.

[۳۴] (۱) الآية: ۸ من سورة النحل.

[۳۵] (۱) هو البحر الأحمر.

[۳۶] (۱) الآية: ۲۷ من سورة الفتح.

[۳۷] (۱) الآيتان: ۱، ۲ من سورة الإخلاص.

[۳۸] (۲) الآية: ۳ من سورة الأنعام.

[۳۹] (۱) يلاحظ هنا أن البيت به إقواء، و هو اختلاف حركة حرف الروىّ عن باقى القصيدة.

[۴۰] (۱) الآية: ۱۷ من سورة الكهف.

[۴۱] (۱) فى الأصل:« على ما» و الصواب هو المثبت، لأنه يجب حذف ألف« ما» الاستفهامية إذا جرّت مع إبقاء الفتحة دليلا عليها، فرقا بينها و بين الموصولة، و إذا كان الجار قبلها مختوما بألف مقصورة أبدلت ألفا محضة مثل:« إلام- علام- حتام».

[۴۲] ابن مجاور، يوسف بن يعقوب، تاريخ المستبصر، صفة بلاد اليمن و مكة و بعض الحجاز، ۱جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، ۱۹۹۶ م.

[۴۳] (۱) الآية: ۲۵ من سورة الكهف.

[۴۴] (۲) الآية: ۱۸ من سورة الكهف، و نقول: إن هذا الأمر ليس توقيفيّا، فليس هناك ما يؤكد أسماء أهل الكهف أو عددهم أو مكانهم على وجه التحديد، إنما هى أمور اجتهادية، و لا طائل من وراء معرفتها، لكن العبرة فى التمثل بهم فى قوة تمسكهم بدينهم.

[۴۵] (۱) بياض بالأصل.

[۴۶] (۱) الآية: ۲۲ من سورة الكهف.

[۴۷] (۲) بياض بالأصل.

[۴۸] (۳) هكذا وردت الجملة بين القوسين فى الأصل، و الأقرب للصواب أن تكون:« سميّت باسمه جبل فغيروا الباء إلى نون، و أبدلوا اللام دالا، فسميت الجند» و اللّه أعلم.

[۴۹] (۱) بياض بالأصل.

[۵۰] (۱) بياض بالأصل.

[۵۱] (۱) الآيات: ۲۸- ۳۲ من سورة الحاقة.

[۵۲] (۲) الآيات: ۲- ۹ من سورة الهمزة.

[۵۳] (۱) سبق ذكر هذه القصة فى ص ۹۱ برواية قريبة منها.

[۵۴] (۱) كلمة مطموسة فى الأصل.

[۵۵] (۱، ۲) غير منقوطة فى الأصل.

[۵۶] (۱، ۲) غير منقوطة فى الأصل.

[۵۷] (۱) كان ذلك فى غزوة الأحزاب، أو الخندق.

[۵۸] (۱) مضطربة فى الأصل، و ما أثبتناه أقرب لسياق المعنى.

[۵۹] (۱) هذه الكلمة غير منقوطة فى الأصل.

[۶۰] (۱) أورد ابن كثير هذه القصة فى البداية و النهاية، المجلد الأول، بصورة أكثر إيضاحا.

[۶۱] (۱) الآية: ۴۲ من سورة النمل.

[۶۲] (۱) الآية: ۴۲ من سورة الذاريات.

[۶۳] (۱) الآية: ۱۴۹ من سورة الشعراء، و قد وردت فى الأصل\i:\ ... بُيُوتاً آمِنِينَ\E و هو تداخل مع الآية: ۸۲ من سورة الحجر.

[۶۴] (۱) بياض بالأصل.

[۶۵] (۱) الآيات: ۴- ۶ من سورة البروج.

[۶۶] (۱) الآية: ۱۰۳ من سورة المائدة.

[۶۷] (۲) بياض بالأصل.

[۶۸] ابن مجاور، يوسف بن يعقوب، تاريخ المستبصر، صفة بلاد اليمن و مكة و بعض الحجاز، ۱جلد، مكتبة الثقافة الدينية - قاهره، چاپ: اول، ۱۹۹۶ م.

[۶۹] (۱) الآية: ۱۰۲ من سورة الصافات.

[۷۰] (۲) بياض بالأصل.

[۷۱] (۱) بياض بالأصل.

[۷۲] (۱) بياض بالأصل.

[۷۳] (۲) الكلمة غير منقوطة فى الأصل.

[۷۴] (۱) الكلمة غير منقوطة فى الأصل.

[۷۵] (۱) هذه الكلمة غير منقوطة فى الأصل.

[۷۶] (۱) الآية: ۱۶۰ من سورة الأعراف.

[۷۷] (۱) هكذا فى الأصول الضمير لجمع الذكور، و الصواب أن يكون لجمع الإناث.

[۷۸] (۱) هكذا ورد الشعر بين المعقوفتين فى الأصل.

[۷۹] (۱) الآية: ۳۷ من سورة الزمر، و قد وردت فى الأصل:« و من يهدى اللّه فلا مضل له».

[۸۰] (۲) الآية: ۱۷ من سورة الكهف، و قد وردت مضطربة الألفاظ فى الأصل.

[۸۱] (۱) الآية: ۲۱ من سورة الأحقاف.

[۸۲] (۲) هكذا ورد ما بين القوسين فى الأصل.

[۸۳] (۳) الصواب« أبو» و هكذا فى باقى الكنى المذكورة.

[۸۴] (۱) انظر الحاشية السابقة.

[۸۵] (۱) الآية: ۱۳۳ من سورة الأعراف.

[۸۶] (۱، ۲) وردت الكلمات بين القوسين غير منقوطة فى الأصل.

[۸۷] (۱، ۲) وردت الكلمات بين القوسين غير منقوطة فى الأصل.

[۸۸] (۱، ۲) وردت الكلمات بين القوسين مضطربة و غير منقوطة فى الأصل.

[۸۹] (۱، ۲) وردت الكلمات بين القوسين مضطربة و غير منقوطة فى الأصل.

[۹۰] (۱) معلوم أن لقب:« أمير المؤمنين» أطلق لأول مرة على الخليفة الثانى، عمر بن الخطاب، أما أبو بكر الصديق، رضى اللّه عنه، فكان لقبه: خليفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد استحدث لقب: أمير المؤمنين لصعوبة قول خليفة خليفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و استمر لقب« أمير المؤمنين» بعد ذلك إلى انتهاء الخلافة الإسلامية.

[۹۱] (۱) غير منقوطة فى الأصل.

[۹۲] (۱) الاسم المعروف له فى كتب التراث هو:« ذو الثدية».

[۹۳] (۱) بياض بالأصل.

[۹۴] (۱) هو قاتل الإمام على، كرم اللّه وجهه.

[۹۵] (۱) بياض بالأصل.

[۹۶] (۱) بياض بالأصل.

[۹۷] (۱) ما بين القوسين غير منقوط بالأصل.

[۹۸] (۲) بياض بالأصل.

[۹۹] (۲) بياض بالأصل.

[۱۰۰] (۲) بياض بالأصل.

[۱۰۱] (۱) هكذا وردت هذه الفقرة فى الأصل.

[۱۰۲] (۱) غير منقوطة بالأصل.

[۱۰۳] (۲) بياض بالأصل.

[۱۰۴] (۲) بياض بالأصل.

[۱۰۵] (۱) بياض بالأصل.

[۱۰۶] (۱، ۲) غير منقوطة بالأصل.

[۱۰۷] (۱، ۲) غير منقوطة بالأصل.

[۱۰۸] (۱) بياض بالأصل.

[۱۰۹] (۱) غير منقوطة بالأصل.

[۱۱۰] (۲) هكذا ورد ما بين القوسين فى الأصل، و الكلمة الأخيرة غير منقوطة.

[۱۱۱] (۳) بياض بالأصل.

[۱۱۲] (۱) غير منقوطة فى الأصل.

[۱۱۳] (۱) غير منقوطة فى الأصل.

[۱۱۴] ابن مجاور، یوسف بن یعقوب، تاریخ المستبصر، صفة بلاد الیمن و مکة و بعض الحجاز، ۱جلد، مکتبة الثقافة الدینیة – قاهره، چاپ: اول، ۱۹۹۶ م.

[۱۱۵] ابن مجاور، یوسف بن یعقوب، تاریخ المستبصر، صفة بلاد الیمن و مکة و بعض الحجاز، ۱جلد، مکتبة الثقافة الدینیة – قاهره، چاپ: اول، ۱۹۹۶ م.

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشـّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتَّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مركز القائمية اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹